

بحوث ومقالات



لغة العلم في الإسلام

للدكتور إبراهيم مدكور

لغة يؤدي بها ، ولا حياة
له بدونها ، يلتقى عندها
العلماء ، ويعول عليها الطلاب . وعلى
أساسها يقوم الشرح والدرس ، ويعتمد
التأليف والنشر . تسير بسير العلم ، وتقف
بوقوفه ، ولا سبيل لأن توجد في أمة جاهلة ،
ولا لأن تحيا في بيئة لا تغذيها ولا تنميها .
وعصور الازدهار العلمي في التاريخ
قديمه وحديثه هي عصور مجد الأمم
ونموضها ، فالعلم اليوناني وليد نهضة
أثينا في القرنين الخامس والرابع قبل
الميلاد ، والعلم الإسلامي ثمرة من ثمار الصدر
العباسي الأول ، ولا تزال الثقافة الفرنسية
المعاصرة تحمل في ثناياها جهود القرنين
السابع عشر والثامن عشر .

ولغة العلم صنيع أهله يصطلح عليها
العلماء ، فتصبح لغتهم الخاصة . ولكل
علم مصطلحاته ، وكلما تقدم البحث فيه
نمت وتحددت ، تبدأ هزيلة مترددة ،

ثم لا تلبث أن تقوى وتستقر ، وحياتها
في أن تستعمل وتتبادل . وتاريخ علم إلى
حدها هو تاريخ مصطلحاته ، لأنها جزء
من منهجه ، وتعبير دقيق عما يشتمل
عليه من آراء ونظريات . ويوم أن يصطلح
العلماء على دوال معينة تضيق مسافة
الخلف بينهم ، وقديما قال ليبنتز :
« إن معظم الخلافات العلمية يرجع إلى
اختلاف معاني الألفاظ ودلالاتها » .
والعالم ، وهو الباحث عن الفكرة ، من
حقه أن يضع لها اللفظ الذي يؤديها ،
وقد درج العلماء على هذا باطراد ، فلم
يكشفوا الحقائق وحدها ، بل قدموا لها
ما استطاعوا من وسائل التعبير . وهم
في خلاف أحيانا مع اللغويين الذين
ينكرون عليهم هذا الحق المطلق ، ويقيدونه
ببعض القيود ، وربما اقترحوا لهم ألفاظا
أخرى غير تلك التي ارتضوها ، ولكن
العلماء دائما هم أصحاب الحق الأول

في تخير اللفظ الملائم للمعنى الذي قصدوا إليه ، وبقدر تمكنهم من لغتهم يكون اختيارهم أدق وأحكم . وقد لا يجد الباحث الأول اللفظ الدقيق ، فيتدارك تلاميذه مافات . وهكذا يسير العلماء ، الواحد منهم تلو الآخر ، في ضبط المعاني وتحديد الألفاظ المعبرة عنها ، وتطور العلم تطور لمصطلحاته بقدر ما هو تطور لآرائه ونظرياته .

* * *

على هذا النحو تكونت لغة العلم في الإسلام ، فلم تنشأ دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت على مر الزمن . بذرت بذورها في القرن الأول الهجري ، وظهرت مصطلحات في الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها في القرن الثاني مصطلحات في علوم اللغة والتاريخ ، في الأخلاق والسياسة ، في الطب والكيمياء ، في الفلك والهندسة . واستكملت العلوم العربية في القرن الثالث لغتها ، وتوقرت لها أسباب الحياة . وما إن حل القرن الرابع الهجري ، وهو العصر الذهبي في تاريخ الثقافة الإسلامية ، حتى استقر المصطلح العلمي ، وتنوى معناه

الأول ، وأصبح حقيقة عرفية لا يفهم منها إلا مدلولها الجديد . وتداوله الباحثون في المشرق والمغرب ، ولم يختلف من قطر إلى قطر . فكانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان ، في الفسطاط ودمشق ، في بغداد وأصفهان . وبدئ بتسجيلها في معجمات خاصة تحت اسم مفردات أو تعريفات . ويمكن أن نذكر منها « كتاب الحروف » للفارابي ، « ومفاتيح العلوم للخوارزمي » اللذين ظهرا في القرن الرابع ، و « كتاب التعريفات » للجرجاني في القرن الثامن ، و « كشف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في النصف الأخير من القرن الثاني عشر . ومن المصطلحات العربية ما نقل إلى الفارسية والتركية ، ومنها ما سرى إلى اللاتينية ، بل إلى بعض اللغات الأوروبية الحديثة .

واستعان علماء الإسلام على تكوين لغتهم بوسيلتين هامتين ، وهما النقل والوضع ، والنقل طريق سهل مألوف في اللغات على اختلافها . ينقل اللفظ من مدلوله الأصلي إلى مدلول آخر جديد ، لا يلبث أن يستقر ويصبح حقيقة عرفية . وقد عول عليه مفكرو الإسلام الأول

فما وضَعُوهُ من مصطلحات ، ويلحظ بوضوح في مصطلحات الفقه والتشريع كالصلاة والصوم والزكاة ، وفي علوم النحو واللغة كالتمييز والاستثناء ، والجامد والمشتق . وكثيرا ما درج المؤلفون على شرح المصطلح في جانبيه اللغوي والعلمي . وعن طريق النقل قد يؤدي اللفظ عدة معان باختلاف الموضوعات ، فالرجعة مثلا عند الفقهاء الرجوع في الطلاق ، وعند الشيعة عودة الإمام بعد غيبته أو موته ، وعند المنجمين سير الكواكب المتحيرة على غير النظام المؤلف .

وليس الوضع أقل شأنا من النقل في تكوين المصطلح العلمي ، فيبتكر لفظ جديد لأداء معنى خاص عن طريق النحت أو التركيب أو الاختزال . والاشتقاق أيسر السبل لوضع المصطلحات لأنه يخضع لقواعد محددة ويؤدي معاني متعددة ، فمنه تؤخذ صيغة الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة وصيغة المبالغة ، واسم الآلة والزمان والمكان ، وقد أفسح المصدر الصناعي المجال للدلالة على أسماء طوائف ومذاهب مختلفة كالقدرية والجبرية واللا أدرية . وإن لغة اشتقاقية

كالعربية لا يعز عليها أن تؤدي المعاني في صورها المختلفة ، وليست في هذا أقل مرونة من بعض اللغات اللاتينية التي تعتمد على نظام السوابق (Tréfines) واللاحق (Suffines) .

على أن علماء العرب لم يقفوا عند النقل والوضع ، بل أخذوا بالتعريب كلما دعت إليه حاجة ، فعربوا عن الفارسية والهندية ، كما عربوا عن اليونانية والسريانية . وربما آثروا المعرب على العربي الأصيل إذا كان أدل على المعنى ، فأحلوا كلمة « جواهر » الفارسية الأصل محل كلمة « عين » العربية للدلالة على لفظ « أوسيا » اليونانية . ويطول بنا الحديث لوتتبعنا هذه المعربات جميعها ، وفي « مفاتيح العلوم » للخوارزمي قدر منها . ويكفي أن نشير إلى أن الألفاظ الفارسية كثيرة الورد في مستحدثات الحضارة والنظم والإدارة ، وأن اليونانية والسريانية ملحوظة في العلوم والفلسفة . وفي هذا ما يدل على المصادر التي أخذ عنها العرب بوجه عام ، ويحمل المعنى معه عادة اللفظ الدال عليه . فمن الفارسية مثلا « الرزنامة » وهي

مسك حساب الخراج ، « والدفتر »
 « والفهرست » وهما من مستلزمات
 الديوان ، و« البريد » ، وهو في الأصل دابة
 تحمل الرسائل ، أصبح نظاما متعدد
 الأشكال ، و« الدستور » ، وهو كلمة
 تنوسى اليوم تماما أصلها الفارسى .
 ومن اليونانية على سبيل المثال أيضاً
 « الناموس » « والسفسطة » في الفلسفة ،
 « والارتماطيقى » « والأنطُرلاب » في
 الرياضيات ، « والقولون » وهو المعى
 الغليظ « والترياق » وهو دواء السم
 في الطب ، ومن السريانية الكيان وهو
 الطبيعة في الفلسفة ، والبُحران وهوداء
 معروف في الطب .

* * *

والعلوم الإسلامية متعددة ومتنوعة ،
 بين دينية ولغوية ، طبيعية ورياضية ،
 ولكل علم لغته ومصطلحاته . ولا سبيل

لأن ندرس الآن نشأة هذه المصطلحات
 وتطورها ، وما أجدرنا أن نفعل ، ففيها
 تراث الماضي وذخيرة الحاضر ، وعون
 على تكوين لغة العلم المعاصر . وعسانا
 نوفق لعرض نماذج من ذلك في فرصة
 تالية . وقد سبق لمجمع اللغة العربية
 أن وجه في سنيه الأولى الباحثين لجمع
 المصطلحات العلمية القديمة من أمهات
 الكتب التي نشرت أو التي تعد للنشر ،
 ولا يأخذ المحققون أنفسهم بذلك في
 اطراد ، مع أنه جزء هام من أجزاء المنهج
 العلمى للنشر الدقيق . وينبغي أن يختتم
 كل نص قديم يخرج للقراء بفهرس
 يشتمل على ماورد فيه من مصطلحات ،
 نحى بها الماضي ونعين أبناء الحاضر
 على الدرس والبحث

ابراهيم مذكور
 الأمين العام للمجمع



الطير الأبابيل

في واقعة الفيل

وما يراه الشيخ محمد عبده في ذلك

للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

صاحبه ، فإنما ينبغى التعويل على القول ذاته وصحته وجودته ، لا على القائل ومكانته أو شهرته .

وإن من تلك الآراء الخاصة ، التي انفرد بها الأستاذ الإمام - عليه سحائب الرحمة - قوله في الطير الأبابيل^(١) التي أرسلها الله - سبحانه وتعالى - على جيش الأحباش في حادثة الفيل - إنها جماعات البعوض والذباب ، التي كانت تحمل جراثيم مرض الحصبة أو مرض الجدري ، وإنها ليست على ما يرويه المؤرخون والمفسرون من أنها أنواع من الطيور تشبه الخطاطيف ، وأن كل واحد منها كان يحمل ثلاثة أحجار على ما سنبيته فيما يلي بشيء من التفصيل .

المغفور له الشيخ « محمد عبده » تفسير الجزء الثلاثين من القرآن الكريم .

وله فيما كتب على بعض سور هذا الجزء آراء خاصة ، انفرد بها ، لم يقل بها - فيما نعلم - أحد ممن سبقه من أئمة التفسير القدامى ، ولا من جاء بعدهم . وليس على الباحث عيب ، ولا عليه تبعة إذا هو خرج من بحثه برأى لم يسبقه إليه أحد ، ما دام يعتمد في هذا الرأي على حجة واضحة ، وما دامت تويده فيه اللغة الصحيحة .

أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فإن المطالع المتبصر لا يسوغ له أن يأخذ بذلك الرأي أو يعتمد عليه مهما كان شأن

(١) الأبابيل جمع أبيل أو إبول أو إبالة : القطعة من الطير والحيل والإبل . والإبالة أيضاً الخزمة من الحشيش أو الحطب ، استعملت في جماعة الطير المتضامة التي فيها كثرة . وقيل إن الأبابيل جمع لا واحد له .

يرى الأستاذ الإمام رأيه الخاص في ذلك ويقول إنه الوجه الذي يصح اعتقاده والاعتداد به في تفسير قوله تعالى « وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل » .

وسنعرف قيمة هذا الرأي بعد عرضه ، بالتفصيل ومقابلته برأى العلماء الآخرين .

قد ورد في قصة الفيل - برواية الثقات - أن « أبرهة الأشرم » بن الصباح الحبشي - ملك اليمن من قبل « أصحمة النجاشي » ملك الحبشة - أنشأ كنيسة بصنعاء ، أحكم تشييدها ، وأبدع زخرفتها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر الثمينة ؛ وقد أراد بإنشائها أمرين :

(الأول) المبالغة في إرضاء النجاشي وإزالة ما قد يكون باقياً في نفسه من الغضب عليه لما كان منه من قتل « إرباط » قائد الجيش الحبشي إلى اليمن واستبداده بملك اليمن من بعده .

(الثاني) أنه - انتصارا للمسيحية - أراد أن يحول إلى تلك الكنيسة جموع العرب الذين كانوا يقصدون إلى « مكة » في موسم الحج ، وكتب بذلك إلى النجاشي .

وقد أثار هذا الأمر الثاني حفيظة العرب ، فخرج رجل من كنانة إلى تلك الكنيسة ليلاً متخفياً وقعد فيها أي أحدث ، ثم لطم محرابها بما أحدث . وقيل أيضاً : إن جماعة من العرب أوقدوا نارا في موضع كان قريباً من الكنيسة ، فتطابر إليها الشرر فأحرقها . وقد يكون الأمران جميعاً .

أغضب ذلك « أبرهة » غضباً شديداً فأقسم ليهدم الكعبة ، قبلة أولئك العرب ومتعبدتهم ، وأرسل إلى النجاشي يبلغه ذلك ، ويسأله أن يرسل إليه الفيل الأعظم المعروف عندهم ، ويقال إن اسمه « محمود » .

ثم تجهز بستين ألفاً من الأحباش ، وقدم الفيل الذي أعده ليهدم به ، الكعبة وسار بالجيش ، فخرج له في بعض الطريق ، ملك من ملوك اليمن ، يقال له « ذو نفر » ، فقائله ، ولكن أبرهة هزمه وأسره بعد ما فتك بأصحابه ، وقد هم بقتله ، فرجاه ألا يفعل ، فربما كان بقاؤه خيراً وأنفع من قتله ، فعدل عن قتله ، واكتفى بأن أوثقه وأخذ معه أسيراً .

(١) يقول المؤرخون : إن « أصحمة » هذا هو جد النجاشي الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك زمن بعثته عليه الصلاة والسلام .

ثم سار حتى بلغ أرض « خشعم » ،
فخرج له « نفيل » بن حبيب الخشعمي
بقبيلته ومن انضم إليهم من العرب ،
فقاتلوه ، ولكنه قهرهم أيضاً ، ووقع
في يده « نفيل » أسيراً ؛ ولما أراد قتله
قال له لا تقتلني ، وأكون لك دليلاً بأرض
العرب ، حتى تباع ما تريد. فعدل عن قتله ،
واتخذته دليلاً ، وسار حتى بلغ « الطائف »
فخرجت له « ثقيف » برئيسها « مسعود
ابن معتب الثقفي » ، يستقبلونه ويحيونه
ويظهرون له الطاعة والخضوع ، ويقولون
له إن بيت « اللات » معبودتهم ليس
هو البيت الذي يريد ، وإنما ذلك في مكة ،
وقدموا له رجلاً منهم ، يقال له : « أبو رغال »
ليكون دليلاً إلى ذلك البيت ، فانصرف
عنهم ، وسار معه هذا الدليل حتى بلغ
موضعاً يقال له « المغمس » بضم الميم
الأولى وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم
الثانية مفتوحة أو مكسورة . وهو في طريق
« الطائف » على بعد ثلثي فرسخ من مكة ؛
فمات هناك « أبو رغال » ، ودفن ،
ثم صار قبره بعد ذلك يرمم بالأحجار .
ومن المغمس بعث « أبرهة » قطعة
من الخيل بإمرة « الأسود بن مفسود »

« بالفاء » للغارة على مكة ، فمضى واستاق
إبلاً لقريش فيها مائتا بعير لعبد المطلب
وحده ، ولم تستطع قريش أن تصد هذه
الغارة أو تعرض لها .

ثم أرسل « أبرهة » مرة أخرى - وهو
بالمغمس - « حناطة الحميري » رسولا
إلى سيد مكة وشريفها يبلغه أن الملك لم
يأت لحرب ، وإنما جاء لهدم البيت ،
فإن لم يقاوم أهل مكة ولم يحولوا بينه
وبين مقصده فسوف لا تكون حرب .
وسينتهي الأمر بسلام ، فإنه ليس به
حاجة إلى دماهم .

وكان فيما أمر به ذلك الرسول أن
يستصحب إليه سيد مكة إذا عرف منه
أنه لا ينوي حرباً ولا مقاومة . فدخل
« حناطة » مكة وسأل عما يكون سيد
القوم ، فدلوه على « عبد المطلب بن هاشم »
فبلغه الرسالة وذهب معه إلى « أبرهة » ،
فاستقبله وأجله ، ونزل عن سريره ، وأجلسه
بجواره على البساط لما قيل له إنه سيد مكة
وشريفها . غير أنه عاب عليه أنه لم يهتم لذلك
الأمر العظيم الذي قدم له أبرهة ، وأنه لم
يطلب - لما سأل عن حاجته - إلا أن يرد إليه
إبله ، ولم يبال بما اعتزم أبرهة أن يفعله بالبيت

الذى هو متعبد انقوم ومحل عزهم
وشرفهم ؛ فقال له « عبد المطلب » :
إني أنا رب الإبل ، وأما البيت فله رب
يحميه .

ورجع عبد المطلب بالإبل فأهداها
جميعها - فيما يروى - للحرم .

ثم أعد أبرهة الخيل والجند والقييل
لدخول مكة ، فلم يستطيعوا سوق القيل
نحوها ، وكان كلما وجهوه إليها سقط
إلى الأرض ؛ فإذا وجهوه إلى جهة أخرى
أى جهة هروا .

ثم نزلت بهم الكارثة العظمى التى حدثت
عنها القرآن : أرسل الله عليهم أنواعاً
من الطير ، لم يكن لأهل مكة عهد بها من
قبل : فى أشكالها وألوانها وكثرتها وشدة
هجومها ؛ وكانت ترد جماعات جماعات ،
تحلق فوق الجيش وترميهم بحجارة من
سجيل ، كما قال القرآن ؛ فقضت عليه ،
ولم يبق منه إلا عدد قليل يحمل العبرة ،
ويكون شاهداً بالهول الذى حدث ، وبِعَظَمِ
المعجزة التى أرادها الله إرهاباً وتمهيداً
لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحفظاً
للبيت الذى هو كعبة الإسلام .

وفى ما يروى أن أبرهة قد أصابه الله
بمرض الجدري الذى تساقطت منه
أطرافه ، وانشق به صدره عن قلبه وكان
به فى آخر الأمر حتفه ، أما وزيره الذى
يدعى « أبا يكسوم » فقد فر راجعاً إلى
« أصحمة » وطائر يتبعه وهو لا يدرى ؛
حتى إذا فرغ من إخبار الملك بما حدث
للجيش ألقى عليه الطائر حجراً من تلك
الحجارة فمات لساعته ، والملك ينظر
فيعرف كيف كان هلاك الجيش .

ولقد كان هلاك الجيش بتلك الحجارة
أمراً عجيباً حقاً .

لكن هل كان بتلك الحجارة ذاتها
ومن غير توسيط شئ آخر ، كما يهلك
إنسان بصخرة تقع عليه ، أو بطعنة رمح
تنفذ منه فى مقتل ؟ أو أن الرمي بتلك
الحجارة كان ينشأ عنه مرض فتاك ،
يكون بسببه الهلاك ؟ ثم ما هى حقيقة
تلك الحجارة ؟

الذى قاله المفسرون والمؤرخون أن هذه
الحجارة كانت قطعاً صغيرة من طين
يابس ، شديد صلب ، وذلك هو معنى
السجيل ، فهى من طبيعة الطين ، وليست

من طبيعة أحجار الجبال ؛ وقد عبر عنها بحجارة نظرا إلى يابسها وشدتها وصلابتها.

هذا هو ما تشهد به اللغة في معنى السجيل ؛ وهو ما تدل عليه آيات قرآنية تحدثت عما رمى به قوم « لوط » عليه السلام من مثل ذلك ، مما كان به هلاكهم كذلك : قال تعالى : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . (٨٢ هود) وقال سبحانه : « فأخذتهم الصيحة مشرقين ؛ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . (٧٣ ، ٧٤ الحجر) .

وفي سورة ثالثة بيان عن تلك الحجارة التي رمى بها قوم « لوط » أنها من الطين ، ذلك هو قوله تعالى : « قال فما خطبكم أيها المرسلون ، قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ؛ لنرسل عليهم حجارة من طين » (٣١ - ٣٣ الذاريات) .

وقد حفظ أولئك المفسرون والمؤرخون - مما بلغهم عن حادثة الفيل - أن هلاك جيش « أبرهة » كان بتلك الأحجار ذاتها ، فكان الحجر يسقط على الرجل في

أعلاه فينفذ فيه ويخرج من أسفله ؛ حتى إنه إذا كان راكباً نفذ أيضاً في مطيته .

روى « ابن كثير » بسنده عن عبيد ابن عمير قال : « لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف ، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار : حجرين في رجليه ، وحجرا في منقاره ، قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ، ثم صاحت وألقت ما في رجليها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر ، وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة ، فزادتها شدة ، فأهلكوا جميعاً . (البداية والنهاية ج ٢ ص ١٧٤)

ثم إنه ليس في كلمة « حجارة » ، ولا في كلمة « سجيل » التي هي بمعنى الطين اليابس الصلب المتحجر كما قدمنا ، ولا في التعبير بالرمي ما يشعر بشيء غير الذي قاله أولئك العلماء ، فهو الذي يتبادر إلى الذهن من تلك الكلمات .

وليس بغريب في باب المعجزات وخوارق العادات - وحادثة الفيل - هي من هذا

القبيل - أن ينتقم الله من ذلك الجيش
الجرار الجبار الذي سار ليهدم الكعبة
المشرفة بيت الله الحرام ، فيرسل عليه
جماعات عظيمة من الطير تحمل أحجارا
صغيرة وشديدة ترمى بها ذلك الجيش
فيكون فيها هلاكه . .

إن الآيات الكريمة من سورة الفيل لم
تعبن ذلك الطير ، ولم تبين نوعه ، وإنما
أتت بكلمة طير تنكرة ، لإفادة الكثرة
التي قد تكون من أغراض التنكير ، لأنه
لا يتعلق غرض خاص بتعيين ذلك الطير
وبيان نوعه أو لونه ؛ إذ أنه يكفي فيما
يقصد إليه الإعلام بالواقعة ، أن يحمل
لفظ الطير على ما يتبادر إلى الذهن مما هو
معهود ، أو مما يماثل ما هو معهود منه ؛
أي أنه يكفي في تحقيق المقصود من
الإخبار بواقعة الفيل أن يحمل الطير
على نحو العصافير أو الحمام أو اليمام
أو الهدد أو الخطاف أو ما شاكل ذلك .

لكن هل يمكن أن يحمل لفظ الطير
في الآية الكريمة على البعوض أو الذباب ،
وأن يكون المراد بحجارة السجيل ما يعلق
بأرجل ذلك البعوض أو الذباب من المواد
المسمومة ، التي تشتمل على جراثيم

الأمراض الفتاكة ، ثم تكون ملامسة
أرجل البعوض أو الذباب لجسم الإنسان
هي المراد بالرمي بتلك الحجارة ؟
لا نظن أن أحدا من أئمة التفسير يعجز
مثل هذه الاحتمالات ، لا من طريق الحقيقة
ولا من طريق المجاز .

لكن الشيخ « محمد عبده » - رحمه
الله عليه - قد أجازها وقال صراحة بها ،
بل قال « إنه يجوز » أن يكون من
جماعات ذلك الطير ما يسمى الآن
بالميكروب ، فهو فرق وجماعات لا يحصى
عددها إلا بارئها .

إنه جائز من ناحية اللغة ذاتها أن يطلق
على البعوض « طير » وعلى الذباب
« طير » ، وحتى الميكروب يمكن أن
يحمل على ذلك ويطلق عليه أيضاً أنه طير ،
فالطير - كما يقول الأستاذ الإمام - كل
حيوان يطير في الهواء مما يرى وما لا يرى .

لكن الكلام في الطير المحدث عنه في
سورة الفيل : ذلك الطير الذي أخبر
القرآن أنه كان يحمل أحجارا يابسة
شديدة عبر عنها بالسجيل ، وأنه كان
يرمي بها جنود جيش الحبشة فيكون فيها
هلاكهم .

فهل يصح أن يفهم أن الذباب أو
البعوض أو الميكروب هو المراد بذلك
الطير ؟

إن السورة ليس فيها ما يشعر بشئ
من هذه الأنواع الثلاثة ، التي يريد
الشيخ « محمد عبده » من كلمة « طير »
وليس فيها ما يوجب صرف اللفظ إلى هذه
الأنواع ؛ فما هو السبب الذي جعل
الأستاذ الإمام يذهب في التفسير ذلك
المذهب البعيد ؟ لعله استنتاج يكون قد
اعتمد فيه على ما جاء في بعض الروايات عن
حادثة الفيل أنه قد وقع في الجيش الحبشى
الإصابة بمرض الجدري أو الحصبة . وقد
اختار الشيخ « عبده » رواية وردت في
ذلك لم تسعد عند المؤرخين وعلماء التفسير
بشهرة من مثل ما كان لكثير من وقائع
تلك الحملة الحبشية . تلك الرواية تحكى
أن ذلك المرض - الجدري أو الحصبة -
قد عم الجيش الحبشى كله وتفشى فيه .

فلعل « الشيخ » أراد أن يعلل هذا
المرض بما يعلل به عادة في عالم الطب ؛
ودلك بإسناده إلى الإصابة بالميكروب
الخاص به .

ثم لم يرد أن يذهب - مع الاحتفاظ
بذلك التعليل العلمى - مذهب أولئك
العلماء الذين ثبت لديهم أن ما ورد في
السورة من ألفاظ « الطير والرعى والحجارة
والسجيل » هى على معانيها الظاهرة ،
التي لم يصرف عنها صارف ، والتي
على أساسها تكون واقعة الطير ورميه
الجيش الحبشى بحجارة السجيل من
باب المعجزات وخوارق العادات .

لم يذهب الشيخ هذا المذهب ، واقتصر
على أن ما كان هناك من الطير هو من
نوع البعوض والذباب ، الذى حمل للجيش
جراثيم ذلك المرض .

وهنا نرى أنه لابد من وقفة بإزاء
ما قرره الشيخ « محمد عبده » في تفسير
السورة لإبداء بعض ملاحظات ، وهى التى
نورد ها فيما يلى :

١ - الملاحظة الأولى : « أنه ردد عبارات
« التواتر » و « المتواتر » وما اتفقت
عليه الروايات بمناسبة ما يروى من وقائع
حادثة الفيل ، ثم قال « إن الذى ذكره
هو واقتصر عليه من تلك الوقائع في
تفسير السورة هو الذى ثبت بالتواتر ،

وهو الذى يصح الاعتماد عليه . وما عداه فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته .

وغريب أنه يرفض هكذا رواية أخبار الأحداث التاريخية إذا لم تكن متواترة ولو كانت صحيحة لا سطعن فيها .

إنه معقول أن يشترط التواتر فى الأخبار عن أمهات الأحداث وأصول الوقائع ، التى تتحقق لها موجبات الديوع والشهرة ، كأن تكون مما تتوافر الدواعى على نقله والأخبار به ، والحديث عنه . وفى هذه الحالة لا يقبل من آحاد الناس ادعاء الانفراد بشهودها ومعرفتها والوقوف عليها .

أما فروع الأحداث وتفصيلها التى لا تتوافر لها موجبات الديوع والشهرة كما تتوافر لتلك الأصول فإنه يكون من الحيف ألا يقبل فيها ما يرويه الآحاد ولو كانوا عدولا صادقين غير متهمين بكذب ولا تدليس ولا تحريف ، وكان ما يخبرون به عن تلك الأحداث الفرعية لا يتعارض وما ثبت بالتواتر عن الوقائع الأصلية ، ولا يناقض روايات آحادية أخرى عن تلك الأحداث الفرعية ذاتها .

ونضرب لذلك مثلاً ما روى من أن « عبد المطلب » جد الرسول صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى « أبرهة » حينما كان أ بالمغمس طلب منه أن يرد عليه إبله التى كان قد استولى عليها قائده « الأسود بن مفسود » فى غارته على سرح مكة ، وأن « أبرهة » قد رد عليه الإبل ، وكانت مائتى بعير ، وأنها كانت كلها لعبد المطلب ، وأنه أهدها جميعها للحرم .

فهل مثل هذه الوقائع الفرعية يلزم لقبولها أن تكون مروية بالنقل المتواتر فتكون مرفوضة إذا لم يتحقق لها هذا التواتر ولو كانت صحيحة لا طعن فيها ولا تجريح ؟ إن هذا يكون من لزوم ما لا يلزم ، وهو شئ لم يقل به أحد فيما نعلم .

هذا - ونريد ألا نقف هنا طويلاً ، فإن هذه المسألة ليس لها من الأثر فى الموضوع الذى نحن بصدده إلا بالقدر الذى أشرنا إليه .

٢ - الملاحظة الثانية : أن الشيخ « محمد عبده » قد أورد فى القطعة التى قال إنها متواترة شيئاً لم يثبت بالتواتر ولم تتفق عليه روايات الرواة فإنه قال

ما نصه : « وفي اليوم الثاني - أى بعد وصول « أبرهة » إلى المغمس - فشا في جند الجيش الحبشى داء الجدري والحصبة قال « عكرمة » : وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب . وقال « يعقوب بن عتبة » فيما حدث : إن أول ما رُئيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام ؛ وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط ، فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين . وأصيب الحبشى ، ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأثمة أثمة ، حتى انصدع صدره ومات في صنعاء » .

ثم قال « الشيخ » : هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به » اهـ .

وهكذا يقرر الشيخ « محمد عبده » أن الإصابة بالجدري والحصبة قد أفرغت الجيش كله ، وفشت فيه ، وأن هذا مما ثبت بالتواتر واتفقت عليه الروايات .

ونحن نقول : إن حادثة مرض الجدري أو الحصبة وفشوه في الجيش لم تتفق

عليها الروايات ، ولم تثبت بالضرورة ثبوت التواتر ، فإن كثيراً من أعلام المؤرخين لم يذكروا شيئاً يدل على أن مرض الجدري أو الحصبة قد عم الجيش وفشا فيه ، بل إنهم لم يذكروا شيئاً أصلاً عن إصابة الجيش بهذا المرض . ومن ذكر من هؤلاء شيئاً عن مرض الجدري أو الحصبة لم يذكر أنه أصيب به أحد غير أبرهة .

إنه بعيد جداً أن تكون إصابة الجيش الحبشى بمرض الجدري هكذا إصابة عامة وبائية ثم يسكت عنها ويغفل أمرها أولئك العلماء الذين أشرنا إليهم^(١) ، إذ أنها حينئذ تكون جديرة أن يروى أخبارها كل معنى بحفظ الأحداث التاريخية العظيمة ، ولا سيما حادثة كحادثة الفيل .

ويستند المرحوم الشيخ « محمد عبده » في دعوى إصابة الجيش الحبشى بالجدري إلى ما روى عن « عكرمة » أن ذلك كان أول جدري ظهر ببلاد العرب ؛ ولكن هذه الرواية ليس فيها ما يفيد أن مرض الجدري قد تفشى في الجيش كله .

(١) من هؤلاء العلامة القسطلاني في المواهب الدينية والإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني في شرح المواهب ؛ وابن كثير في البداية والنهاية .

بل نحن نقول : إنه قد روى عن « عكرمة » ما هو أصرح من ذلك في الدلالة على وقوع الجدرى في الجيش وأنه قد تفشى فيه : ذلك هو ما أثبتته « الفخر الرازى » في التفسير الكبير إذ يقول : روى عكرمة عن ابن عباس قال : لما أرسل الله الحجارة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم إلا نفض جلده وثار به الجدرى ؛ قال : وهو قول « سعيد بن جبير » . ثم قال : وكانت تلك الأحجار أصغرها مثل العدة وأكبرها مثل الحمصة ^(١) .

ولكن هذه روايا . فأين هي من دعوى التواتر أو دعوى اتفاق الروايات ؟

ثم إننا لا نمتنع أن يكون جيش الحبشة قد وقعت فيه الإصابة بالجدرى ونفترض أن هذا المرض قد عم أفراد الجيش وتفشى فيهم ، وأنه كان أثرا لما رماهم به الطير الذى أرسله الله عليهم ؛ لكن يجب أن يكون ذلك كله على أساس أن تكون ألفاظ الطير والرمى والحجارة الواردة في السورة مأخوذة في معناها الظاهر الذى

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٨ ص ٤٨٤

يتبادر إلى الذهن من تلك الألفاظ ، وهو الذى بيناه فيما سبق واتفق عليه جميع المفسرين ، والمؤرخين ، وهو الذى روى أيضاً عن « عكرمة » الذى يستند إلى روايته المرحوم الشيخ « محمد عبده » .

وهو غير ما ذهب اليه « الشيخ » الذى يحصر سبب إصابة الجيش الحبشى بالجدرى فيما نقل إليه من الجرائم بواسطة الذباب أو البعوض ؛

٣ - الملاحظة الثالثة : أن الشيخ « عبده » الذى يقرر أنه إنما يعتمد على التواتر في أخبار هذه الأحداث ، أو على ما اتفقت عليه الروايات - لم يأخذ بما اتفقت عليه الروايات جميعها فيما حدثت به عن الطير وعن الحجارة التى كان يلقي بها على الجند وكيف كان الهلاك بتلك الحجارة على ما بيناه فيما سبق ؛ بل نحا في ذلك ناحية لم يذهب إليها أحد قبله ، فقال بالبعوض والذباب والميكروبات ، ولم يقل بما قاله سائر العلماء الذين نقلوا أن هلاك جيش « أبرهة » كان بذلك الحدث الذى هو من المعجزات وخوارق العادات .

٤- الملاحظة الرابعة : هي أن المرحوم الشيخ « عبده » يقول : وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ، مما يرسله الله مع الريح .

ونحن نرجع إلى السورة فلا نراها تبين شيئاً أو تقول شيئاً عن الجدرى أو الحصبة . لم تعرض السورة لشيء من ذلك ، ولم تقل إن تلك الحصبة أو ذلك الجدرى كان من أثر الجراثيم التي كانت عالقة بحجارة سقطت على الجيش من الطير الذي يرسله الله مع الريح ، تعنى الذباب والبعوض .

فالسورة لم تذكر تعليلاً للإصابة بمرض حصبة أو جدرى ، لأنها لم تذكر في آياتها الحصبة والجدرى .

ثم لم يثبت ثبوتاً قاطعاً متواتراً أن الجيش أصيب إصابة عامة بهذا المرض ، على ما يرى المرحوم الشيخ « محمد عبده » حتى يمكن أن يقال إن السورة قد عرضت لبيان العلة في هذه الإصابة مكتفية بذلك عن التصريح باسم الحصبة أو الجدرى .

هذا - وفي ختام هذه الملاحظات نقول : إنه ليس بمثل تلك التكاليف والمحاولات ؛ تكون الإجابة أو التجديد ، في تفسير الآيات البيّنات ، من كتاب الله المجيد . والحمد لله رب العالمين .

عبد الرحمن تاج

عضو المجمع



وديان أودية

للدكتور ناصر الدين الأسد

(١)

بعض المحدثين . فمن لهم
عناية باللغة ، إلى تخطئة
استعمال « الوديان » جمعاً للوادي ،
ونبّهوا على أن الصواب « أودية »^(١) .

وحاولت أن أتتبع جمع « الوادي »
في أساليب القدماء ، فرجعت إلى نحو
ثلاثين ديواناً لشعراء العصور المختلفة :
الجاهلية والأموية والعبّاسية ، وقرأت
جميع ما فيها من أبيات على قافية النون

وقبلها ألف . فلم أجد فيها « الوديان »
على كثرة الحاجة إليها في مثل هذه
القافية . ووجدت في بعض هذا الشعر
« أودية » في دَرَج البيت . ثم رجعت
إلى ما تيسر لي من كتب المسالك والبلدان
ومعاجم الجغرافيا . فلم أجد كذلك أحداً
من مؤلفيها يستعمل « الوديان » ووجدتهم
جميعاً يجمعون « الوادي » على « أودية » .

واشتد ظلي للوديان وحرصى على
التنقيب عن هذا الجمع ، ولكني لم أجده
فيما قرأت من كتب تراثنا في اللغة أو
الأدب أو التاريخ أو غيرها . حتى أفسدت
على شهوة البحث عن هذا الجمع لذة
قراءة تلك الكسب وربما فوّتت على فوائد
أخرى كثيرة .

ولجأت إلى المعاجم وكتب اللغة لعلّي أجد
فيها ما لم أجد في غيرها ، فلم أفر بظائل .

فالأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) يقتصر على
إيراد جمع واحد للوادي هو « الأودية »^(٢) .

(١) كتاب المنذر إلى المجمع العلمي العربي في دمشق ١ : ١٢ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٢٧ ؛ والكتابة
الصحيحة ، لزهدى حار الله . ٣٢٩ . الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨

(٢) تهذيب اللغة ١٤ . ٢٣٢

وكذلك فعل أبو بكر الزُّبَيْدِي (ت ٣٧٩هـ) ولكنه أضاف فائدة جليلة ، قال :^(١) « والوادي : كل بطن مطمئن من الأرض ، وربما استقر فيه الماء ، والجمع أودية ، على غير قياس . . . »

الوادي يجمع أوداء ، على أفعال . . . أممية ، وطبي تقول : أوداء ، على القلب ، ثم أورد ما ذكره الجوهري في صحاحه عن مخالفة الجمع « أودية » للقياس .

وتابعه الجوهري (ت ٣٩٣ - ٤٠٠ هـ) في النص على مخالفة هذا الجمع للقياس ، ثم أضاف فائدة أخرى جليلة ، قال :^(٢) « والجمع : الأودية ، على غير قياس ، كأنه جمع وديّ ، مثل : سريّ وأمريّة للنهر » .

واقتصر الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) على ذكر « أودية » في جمع واد^(٥) . أما مجد الدين الفيروزابادي (ت ٨١٦ أو ٨١٧ هـ) فقد أورد أربعة جموع ، هي : أوداء ، وأودية ، وأوداة ، وأوداية^(٦) .

ولم يذكر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) الجمع ، واقتصر على ذكر المفرد^(٣) .

وكذلك فعل المرتضى الزُّبَيْدِي (ت ١٢٠٥هـ) فقد أورد هذه الجموع الأربعة وزادها بيانا مما ذكره الجوهري وابن منظور^(٧) .

وأورد ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ثلاثة جموع ، قال^(٤) : « والجمع : الأودية . . . وقال ابن الأعرابي :

أما في كتاب الله فقد جاءت كلمة « واد » منكّرة ومعرفة ، مجرورة

(١) لحن العوام ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٤ ، ص : ٢٤٠

(٢) الصحاح (ودي) .

(٣) أساس البلاغة (ودي) .

(٤) اللسان (ودي) .

(٥) المصباح المنير (ودي) .

(٦) القاموس المحيط (ودي) .

(٧) التاج (ودي) .

ومنصوبة ، في ثمانى آيات من ثمانى سور^(١) ، ولم يجرى الجمع إلا في صيغة « أودية » وحدها ، وذلك في آيتين من سورتين ، قال الله تعالى : (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا)^(٢) وقال تعالى (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا)^(٣)

وكان في كل هذا غناء ومفنع ، وكان بعضه حرياً أن يصرفنى عن متابعة البحث لولا اللجاجة وشهوة التنقيب .

(٢)

ثم عثرت في تاج العروس^(٤) - في آخر مستدرك الزبيدى حيث لا يظن أحد أنه سيعود إلى الحديث عن الوادى وجميعه بعد أن طال حديثه في أمور أخرى غيرهما - على قوله :

« . . . والوديان مشئى وديى كغنى : أرض بمكة لها ذكر في المغازى ، وقد يجمع الوادى أيضاً على وُدَيان بالضم . . . »

ولكن انفراده وحده بهذا الجمع ، دون غيره من أصحاب المعاجم واللغة ، أمر يدعو إلى التوقف والبحث عن مظانه ، فليست قيمة الزبيدى في ذاته ، ولكنها فيما يجمع لنا عن غيره ممن سبقه ، ولا بد من العثور على مصدره الذى استقى منه . وقد أورد عبارته دون نسبة إلى صاحبها ، وأنزلها منزلاً مبهماً . ولم يهتدى طول التنقيب إلى كتاب آخر قبل تاج العروس يُحتمل أن يكون قد أخذ منه .

ومع ذلك فهذا عالم أورد في كتابه ما كان يحوك في النفس . وليس أقل من أن أثبت هنا ما جمعته عن هذا الأمر عسى غيرى أن يصل إلى ما عجزت عنه من اليقين القاطع .

(٣)

لا نعرف أحداً من أصحاب اللغة والنحو ذكر أن صيغة (فاعل) في أى معنى من معانيها : سواء أكانت صفة أم اسماً ، مذكراً أم مؤنثاً ، تجمع على (أفعلة)

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٧٤٧

(٢) الرعد : ١٧

(٣) الأحقاف : ٢٤

(٤) الفضل في ذلك للصدى العلامة الأستاذ حمد الجاسر .

سوى ما استدركه بعضهم من نصهم على
شذوذ ثلاث كلمات ذكرها المرتضى
الزبيدي نقلاً عن غيره^(١) . وهى ناد
وأندية ، وناج وأنجية ، ووادٍ وأودية .

أما جمع ناد فقد استوفيت الحديث
عنه فى مقالة نشرت فى هذه المجلّة^(٢) .
ودهبت إلى أنّ (أندية) جمع (نديّ)
بمعنى (ناد) ، أما جمع (النادى) فهو
(النوادى) وهو جمع قياسى مطّرد
لا ينكسر فى « فاعل » إذا كان اسماً
أو صفة غلبت عليها الاسمية لغير العاقل^(٣) .

أما (أنجية) جمع (ناج) فلم أعر
عليه فى شىء مما اطلعت عليه من المعاجم
وكتب اللغة - سوى هذا الذى نقله
لزبيدي فى التاج عن أبى العباس الحلبي
المعروف بالسّمين فى كتابه عمدة الحفاظ -
فجميعها تنصّ على أن الناجية هى « الناقة
السريعة تنجو من ركبتها » ، والبعير :
ناج^(٤) ، ولا يورد له جمعاً . أما أنجية
التي وردت فى هذه المعاجم فهى جمع

نَجَى ، والنص عليه وشرحه وأمثله من
الشعر وغيره ، كل ذلك واضح الدلالة
على أن (أنجية) هم القوم الذين يتناجون
فهى جمع (نجى) وليست جمع (ناج)
بمعنى البعير .

أما جمع (واد) فهو موضوع الحديث
فى هذا البحث . وقد رأينا أن المعاجم
وكتب اللغة لم تنص إلا على جمع واحد
هو (أودية) ، ولكننا رأينا كذلك أنها
نصّت على أن هذا الجمع « على غير قياس »
لأن صيغة (فاعل) لا تجمع على (أفعلة)
وزاد الجوهري فى صحاحه : « كأنه
جمع وديّ . مثل : سريّ وأسرية ،
للنهر » .

فإذا كان هذا صحيحاً فنحن نعرف
أن (أفعلة) من جموع القأّة ، وأنها
تطرّد فى صيغة (فعيّل) ، وأن جمع
الكثرة لهذه الصيغة هى (فعلان) بضم
الفاء أصلاً وكسرها أحياناً . وقد وضّح

(١) تاج العروس (ودى) .

(٢) الجزء السابع والعشرون ، ذو الحجة سنة ١٣٩٠ هـ ، فبراير سنة ١٩٧١ ، ص : ٩٠ - ١٠٣

(٣) انظر « اللسان » مثلاً .

سيبويه وجوه استعمال هذا الجمع بما لا مزيد عليه^(١) ، ومما قاله :

« . . . فأما ما كان من بنات الياء والواو فهو بمنزلة ما ذكرنا ، وقالوا : فرى وأقربة وقريان ، حين أرادوا بناء الأكثر ، كما قالوا جريب وأجربة وجربان ، ومثله سري وأسرية وسريان . . . »

وقال المبرد (ت ٢٨٥ هـ)^(٢) .

« . . . ولكن باب جمع (فُعَل) في العدد الكثير (فُعْلَان) ، كما أن باب جمع (فُعِيل) (فُعْلَان) ، نحو : ظليم وظلمان ، رةضيب وقضبان . . . »

وقال ابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ)^(٣) :

« . . . وإذا سميت بصفة مما يختلف جمع الاسم والصفة فيه جمعته جمع نظائره من الأسماء ولم تُجره على ما جمعو حين كان صفة إلا أن يكونوا جمعو جمع الأسماء فتجريه على ذلك ، كرجل سمّيته بسعيد أو شريف تقول في أدنى

العدد : ثلاثة أشرفة وأسعدة ، وتقول في الكثير : سُعدان وُسُرفان وسُعد وُسُرف ، لأن هذا هو الكثير في الأسماء في جمع هذا البناء ، تقول : رغيف وأرغفة ، وجريب وأجربة ، وقالوا : رُغفان وجربان . . . »

ونص السيوطي على الصيغ التي يستعمل فيها هذا الجمع فبدأها بقوله^(٤) : « فُعْلَان ، بالضم ، ويطرّد جمعاً لاسم على فُعِيل . . . »

ونحن نرى من هذا كله أنهم حين نصوا على أن جمع (واد) على (أودية) إنما هو على غير قياس ، ذكروا أيضاً « كأنه جمع وديّ ، مثل : سري وأسرية ، للنهر » ، وهذا سيبويه ينص ، كما رأينا ، نصاً واضحاً على أن (سري) يجمع على (أرية) حين يريدون جمع القلة ، ويجمع على (سريان) حين يريدون جمع الكثرة . فإذا استعملوا لواد جمع قلة هو في الأصل لصيغته

(١) الكتاب ٢ : ١٩٢ - ١٩٤

(٢) المقتضب ٢ : ٢١٢

(٣) المحقق ١٧ : ٨٥

(٤) معجم المصنف ٢ : ١٧٨

(وَدَى) ، فهل لنا أن نتساءل لِمَ لا
لا نستعمل جمع الكثرة لمثل هذه الصيغة ،
فيكون (وديان) للكثرة و (أودية)
للقلّة ؟

(٤)

وذكر رضى الدين الاسترأبادى
(ت ٦٨٨ هـ) أن (الوادى) لم يجمع
الجمع القياسى المطرد على (فواعل)
وكذلك لم يجمع على (فُعْلان) ، وإنما
جمع على (أفعلة) لعلة محدّدة ، قال ^(١) :
« كأنهم استثقوا الواوين فى أول
الكلمة لو جمعوه على (فواعل) ، وانضمام
الواو وانكسارها لو جمع على (فعْلان) ،
وإذا سلّمنا بصحة العلة الأولى وهى
استثقالهم الواوين فى أول الكلمة لو
جمعوه على (فواعل) ^(٢) فإن العلة
الثانية يصدق عليها قولهم : أوهى من

حجة نحوى ! وذلك أن الواو : مضمومة
أو مكسورة ، فى أول المفرد وفى أول الجمع
كثير فى كلام العرب ، لم يجدوا فيها
ثقلا ، أو لم يمنعهما ما فيها من ثقل أحس
به رضى الدين الاسترأبادى من أن تكثر
فى كلامهم . وحسبنا أن نذكر من أمثلة
الجمع ، وهى كثيرة على أبنية متعددة ،
جمعين على بناء (فعْلان) - وهو مدار
حديثنا هذا - أحدهما بضم الواو
والآخر بكسرها ، وهما : وُحْدان (بضم
الواو) جمع واحد ، ووِلْدان (بكسر
الواو) جمع ولد .

وقد استعمل العرب هذين الجمعين
منذ أقدم ما نعرف من عصور العربية ،
وما زلنا نستعملها إلى يوم الناس هذا ،
وسنظل نستعملهما إلى ما شاء الله ، لانحس
فيهما ثقلا يمنع من استعمالهما . فكيف

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٢ : ١٥١ مطبعة حجاى .

(٢) وكانوا يتخلصون أحيانا من اجتماع الواوين فى أول الكلمة بقلب الأول منها همزة ، قال نشوان الحميرى
(ت ٥٧٣ هـ) : « وإذا اجتمع فى أول الكلمة واوان قلبت الأولى منها همزة ، وذلك فى جمع (واصل) وتصغيره ،
فتقول فى جمعه : أو اصل ، وفى تصغيره : أو يصل . والاصل : وواصل ، وورصل . وذلك لكرامية اجتماع
واوين فى أول الكلمة وثقل النطق بهما . فأما قوله تعالى : (ما وورى عنهما) فأنما ذلك على أن الواو الثانية مدت لأنها
بدل من ألف (وارىت) ، وقال الشاعر فى الهزلة « هو مهلهل بن ربيعة » :

ضربت صدرها إلى وقالت يا عديا لقد وقتسك الأواق

والأصل الواو فى جمع واقية ، كعافية وعواف . (المحور العين ، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٨ ،
ص : ٧٣) وانظر أيضاً المعاجم (وقى) .

نستثقل انضمام الواو أو انكسارها في (وديان) جمع (واد) ، وهى مثل (وحدان) جمع (واحد) ؟ والجمع (وديان) بكسر الواو مستعمل في عصرنا هذا على ألسنة العرب كافة في أحاديثهم من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب . وقد سألت نفرا من أهل كل مصر من هذه الأمصار عما يستعملونه في أحاديثهم اليومية جمعاً لواد فلم أسمع من أحد منهم أنهم يستعملون (أودية)^(١) ، وإنما يستعملون جميعاً كلمة (وديان) . والعامية تجنح دائماً إلى استعمال الأخف والأسهل والأبعد عن الاستكراه والاستثقال ليكون ذلك أعون على دوران الكلمة على الألسنة !

(٥)

أو عاميائهم ، في جميع ديارهم في عصرنا هذا وربما فيما قبله من عصور ،

وإذا كان مثل هذا الجمع هو من مألوف كلام العرب الفصحاء ومن صحيح أبنيتهم وأساليبهم وقياسهم المطرد في جمع ما جاء على وزن (فَعِيل) من الأسماء حين يريدون الكثرة ،

وإذا كانوا قد جمعوا لفظ (واد) على (أودية) على غير قياس ، كأنه جمع (ودي) مثل : سري وأسرية ، بمعنى نهر . فهل نستطيع نحن أن نقرر استعمال (وديان) جمعاً لواد ، حين يشبهه جمعه بجمع ودي ، كما استعملوا لفظ (سريان) ولفظ (أسرية) معاً جمعاً لسري ، الأول للكثرة والآخر للقلّة ؟

ذلك كله إذا أخذنا بغير القياس ، على تشبيهه ببناء (فاعل) ببناء (فَعِيل) فنستعمل في جمع (واد) جمع (ودي)^(٢)

فإذا كانت (وديان) جمع (واد) هى وحدها المستعملة في عامية العرب ،

(١) سوى ما أخبرني به - بعد طبع تجارب هذه المقالة - صديق ثقة من أنه سمع رجلاً من السراة وآخر من بعض أنحاء نجد يستعملون « الأودية » جمعاً للوادي في حديثهما .

(٢) كان العرب يشبهون بناء ببناء ، ويجمعون أحد البناءين بجمع الآخر ، جاء في اللسان (شعر) : « ... ورجل شاعر ، والجمع شعراء . قال سيبويه : شبهوا فاعلاً بفعيل كما شبهوه بفعول ، كما قالوا : صبور وصبر ، واستغنوا بفاعل عن فمّيل ، وهو في أنفسهم وعلى بال من تصورهم لما كان واقعاً موقعه ، وكسر تكسيره ليكون أمانة ودليلاً على إرادته وأنه مفعن عنه وبدل منه » .

وفي المصباح المنير (شعر) : « ... قال ابن خالويه : وإنما جمع شاعر على شعراء لأن في العرب من يقول شعر ، بالضم ، فقياسه أن تجيء الصفة على فعيل ، نحو : شرف فهو شريف ، فلو قيل كذلك لا لتلبس بشعير ، الذي هو الحب ، فقالوا : شاعر ، ولجوا في الجمع بناءه الأصل ... » .

ولكن ما لنا نلجأ إلى هذا التشبيه والتغيير في بناء المفرد التماساً لتعليق الجمع ؟ وما لنا لا نعود إلى أصل البناء وهو (فاعل) لنرى ما قال فيه علماء اللغة والنحو ؟ قال سيبويه^(١) : « وما كان من الأسماء على (فاعل) أو (فاعل) فإنه يكسر على بناء (فواعل) ، وذلك : تابل وتوابل ، وطابق وطوابق ، وحاجر وحواجر ، وحائط وحوائط .

» وقد يكسرون (الفاعل) على (فعلان) نحو : حاجر وحجران^(٢) ، وسال وسالان^(٣) ، وحائر وحوران^(٤) وقد قال بعضهم : حيران ، كما قالوا : جان وجنان ، وكما قال بعضهم : غائط وغيطان ، وحائط وحيطان ، قلبوها حيث صارت الواو بعد كسرة ، فالأصل (فعلان) . وقد قالوا : غال وغلان^(٥) ،

وفالق وفلقان^(٦) ، ومال وملان^(٧) . ولا يمتنع شيء من ذا من (فواعل) . « وأما ما كان أصله صفة فاجرى مجرى الأسماء فقد يبنونه على (فعلان) كما يبنونها ، وذلك : راكب ورُكبان ، وصاحب وصُحبان ، وفارس وفُرسان ، وراع ورُعَيان . . . فلما لم يخافوا الالتباس قالوا (فواعل) كما قالوا (فعلان) . »

فهل بعد هذا البيان بيان ؟ ودل يحتاج الأمر إلى مزيد من التمثيل والاستشهاد وضرب الأمثلة ؟ إن ما أورد سيبويه يتردد بعبارات متقاربة في كتب النحو الأخرى ، وحسبنا أن نضرب مثلاً برضى الدين الاسترباذى الذى يقول^(٨) : « قياس فاعل - بفتح العين وكسرها - فى الاسم : فواعل ، قياساً لا ينكسر

(١) الكتاب ٢ : ١٩٨

(٢) الحاجر من مسایل المياه ومنايت العشب ما استدار به سند أو نهر مرتفع .

(٣) السال : المسيل الضيق فى الوادى .

(٤) الحائر : المكان المظلم الوسط المرتفع الحروف .

(٥) الفال : نبت ، أو نبات الطلح ، أو الوادى الغامض فى الأرض فيه شجر .

(٦) الفالق : المكان المنحدر بين ربوتين ، والقضاء بين شقيقتين من رمل .

(٧) المسال : فى اللسان (ملل) : « وحكى سيبويه مال ، وجمعه ملان ، ولم يفسره » ..

(٨) شرح الشافية ٢ : ١٥١ - ١٥٢ ، وله رأى طريف وملحظ دقيق فى الفرق بين صيغتي الجمع فى المعنى ، قال : « وإذا انتقل فاعل من الصفة إلى الاسم ، كراكب الذى هو مختص براكب البعير ... وفارس المختص براكب الفرس ، وراع المختص برعى نوع مخصوص ، ليست كما ترى على طريق الفعل من العموم ، فإنه يجمع فى الغالب على فعلان ، كحجران فى الاسم الصريح ... » .

وقد جاء فعْلان كحُجْران ، وفِعْلان
كجِنّان ، والأول أكثر - أى مضموم
الفاء - ويجوز أن يكون حيّطان من الأول
قلبت الضمة كسرة لتسَلَم الياء . . . »

وأورد ابن منظور في تعليل جمع (راعٍ)
على (رُعَيان) ما ذكره من أنه مثل
« شَابٌ وشُبَّان ، كَسَرُوهُ تكسير
الأسماء ، كحاجر وحجران ، لأنها صفة
غالبة^(١) » .

وهذه العبارة توضّح ما جاء في كلام
سيبويه وما أورده سائر علماء النحو من
أن الأسماء التي على وزن (فاعل) يجوز
جمعها جمع تكسير على بناء (فعْلان)
وأن الصفات حين تجرى معجى الأسماء
يجوز كذلك جمعها على (فعْلان) كما
جاز في الأسماء .

وربما كان من المفيد أن نعيد ترتيب
الأسماء والصفات التي وردت في النصوص
السابقة ترتيبا يكشف عن نوع هذه
الأسماء والصفات من حيث حروفها
الأصلية .

فمن أمثلة الأسماء والصفات ذات
الحروف الصحيحة : فالتق وفلقان ،
لأوراكب وركبان ، وصاحب وصُحبان ،
وفارس وفُرسان ، وحاجر وحُجران .
ونضيف إليها : راهب ورهبان ، وراجل
ورُجلان .

ومن أمثلة المضعفة اللام : شابٌ
وشُبَّان ، وسالٌ وسُلَّان ، وغالٌ وغُلَّان ،
ومالٌ ومُلَّان ، وجانٌ وجِنَّان .

ومن أمثلة المعتلة العين : حائط
وحيطان ، وحائر وحُوران أو حيران ،
وغائط وغيطان . ونضيف إليها : جائز
وجُوزان^(٢) .

ومما يحسن أن يضاف كذلك استكمالا
لمعالم هذا التقسيم :

من أمثلة المعتل الفاء : واحد ووُحْدان .
ومن أمثلة المهموز اللام : شاطى
وشُطَّان .

(١) اللسان (رعى) .

(٢) الجائز : الخشبة التي يوضع عليها أطراف الخشب في سقف البيت .

فهذه تسعة عشر لفظاً من الأسماء والصفات التي أُجريت مجرى الأسماء ، من الصحيحة الحروف الأصلية ، أو من معتلة الأول أو الوسط أو الآخر ، أو من مضعفة الآخر أو مهموزته . وكلها على وزن (فاعل) وتجمع على (فُعلان) بضم العين أو بكسرها ، مع أن لها كلُّها جمعاً آخر أو جموعاً أخرى على أبنية مختلفة . وجمع هذه الالفاظ على (فُعلان) ورد في المعاجم وكتب اللغة وجرى به أسلوب الفصحاء .

(٦)

وبعد

فما كنت لأتكلّف ما تكلّفت لو لم تكن كلمة (وديان) هي الجمع الجارى على السنة العرب في هذا العصر في مختلف ديارهم ؛ ولو لم يتصدّد نفر - من الحريصين على نقاء هذه اللغة وسلامتها - لتخطئة هذا الجمع .

٣٨

ومن الطبيعي أن يتسرّب الفساد ويتطرّق الخطأ إلى بعض ألفاظ اللغة أو أساليب العبارة عند بعض الناس ، في كل عصر من العصور ومنها هذا العصر الذي نعيش فيه ، خاصة بين جمهرة المتعلمين الذين يتأثرون بما يقرأون مما تدخله العجمة وتشوبه آثار الترجمة . أمّا أن تُجمع الأمة كلها دون استثناء - في أي عصر - على استعمال كلمة في لغتها تجرى في بنائها على بناء مشيلاتها التي تُعدّ من الكلام الصحيح الفصيح ، ثم يأتى من يخطئ تلك الكلمة ، فهذا أمر يدعو إلى التوقف أولاً ، وإلى النظر ثانياً ، ثم إلى الإِسْمَاك عن العجلة في التخطئة آخر الأمر .

ونخاطب كل ما تقدّم :

١ - أن كلمة (وديان) هي المستعملة جمعاً لَوَادٍ في كلام العرب وأحاديثهم اليومية في العصور الأخيرة ، وقد أنس

إليها ذوق جمهور المعاصرين ، وجرت
على أقلام بعضهم^(١) .
وهي قاعدة غالبية ، وإن لم تكن شاملة
جامعة .

٢- إن هذا الجمع (فعلان) من أبنية
الجموع العربية التي نصت عليها معاجمهم
وكتب لغتهم ، ودارت على ألسنتهم
وعلى أقلامهم في شعرهم ونثرهم .
٤- أن القدماء نصّوا على أن بناء
(فاعل) للاسم أو للصفة التي تجري
مجرى الاسم ، قد يكون على (فعلان) .
وقد أوردنا أمثلة متعددة على ذلك .
و (الوادي) على بناء (فاعل) .

* *

٣- إن القدماء نصّوا على أن جمع (وادٍ)
على (أودية) هو على غير قياس كأنما هو
جمع (وديّ) ، مثل : (سريّ) .
و (سريّ) جمعه : أسرية وسريان .
وهذه الصيغة (فعيل) تجمع جمع قلّة
على (أفعلة) وتجمع كثرة على (فعلان)
وأمثلة ذلك من كلام العرب كثيرة ،
فهل من حرج ، بعد هذا ، على من
لا تطمئن نفسه إلى تخطئة (وديان)
إذا ما رآها في بعض ما يُكتب أو سمعها
في بعض ما يقال ، حتى تقوم على تخطئتها
بيّنة قاطعة ؟ وهيها ! !
ناصر الدين الأسد
عضو المجمع

(١) وذلك كثير في الشعر والنثر ، وحسبنا أن نسوق ثلاثة أمثلة من الشعر ، أحدها من مصر ، والثاني من
لبنان ، والثالث من الجزيرة العربية .

قال حافظ إبراهيم (ديوانه ، طبع دار الكتب سنة ١٩٣٧ ، ج ١ ، ص : ٢٩) :

نظرت للنيل فاهترت جوانبه وفاض بالخير في سهل ووديان

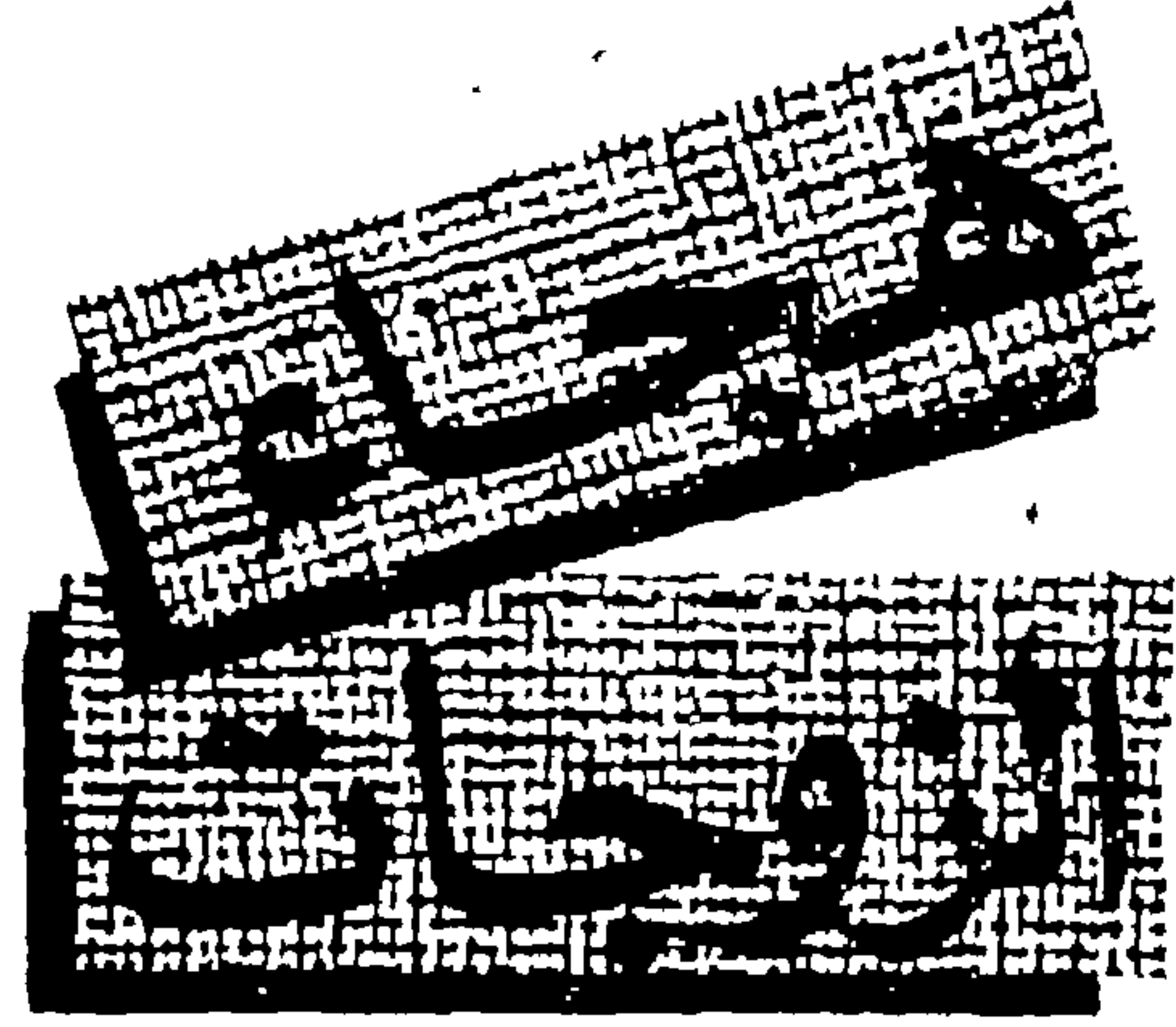
وقال إلياس أبو شبكة (من صعيد الآلهة ، بيروت ١٩٥٩ ، ص : ٤١) :

يمشي وللنار في أجفائه زيد على لظى الرمل ، من راد لوديان

وقال حسن عبد الله القرشي (فلسطين وكبرياء الجرح ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ ، ص : ١٠٢) :

يتنادون يا لغارات « مروا ن » فيسري النداء في الوديان

فلو أنهم كانوا على حظ من سمو الخلق ،
ورقة الشعور ، وسلامة الذوق ، لكظموا
غيظهم ، ولطووا كشحا على المكروه ،
ولأثروا الصمت على الكلام في مثل هذه
المواطن التي تُهجن سمعة الفراش ،
وتثني بمساوى البيوت ! فكل ما يتعلق
بالنساء يجب ستره كالنساء ! ولو كان
حسناً ! فما الظن به إذا كان مما يقبح
نشره !



للأستاذ على الجندی

أدرى من فتح باب الشر ،
لست وإن كان يغلب على الظن :
أنه الحطيئة بقوله :

أطوف ما أطوف ثم آوى
إلى بيت قعيلته لكاع

وإن صح أن منهم أشرافاً ، فينضح
عنهم اللوم ! أنهم كانوا يُعانون ثورة
نفسية عَزُب معها جِلْمهم ، فنطقوا
بما لا يريدون ! وكثيرا ما يستفز النساء
- بخُرْقهن وكيدهن - أرحب الرجال
صدراً ! وأكثرهم صبراً ، وأبعدهم
أناة !

ولكن ما لنا نلومهم ، وهذه ساحات
المحاكم الشرعية يقف فيها الزوجان

ومع أن هذا الشاعر كان خبيث اللسان ،
كثير الفُحش والبذاء ، حتى لم تسلم
نفسه من شر نفسه ! فمن الإنصاف له
أن نعترف : بأنه سلك سبيل القصد
في هجاء زوجه ! فلم يُمعن في الثلب ،
ولم يتقص العيوب كما فعل غيره ، فمن
وردوا هذا المستنقع الوخيم !

وهذا اللون من الأدب قد كشف لنا
عن ضعف بَيِّن في أخلاق هؤلاء الشعراء !

« الكريمان » بين سمع الجمهور وبصره ،
يتراشقان بحصائد الألسنة ! ويهتكان
الأسرار عن مخبّآت تقنّعهما بالعار
والشّار ؟ !

قلت : إنّ هذا اللون من الأدب كشف
لنا عن ضعف في أخلاق الشعراء ! وقد
يسوغ لي أن أقول : إنه كشف لنا كذلك
عن ضعف في أبدانهم ! ذابوا أنفسهم
بسطة في الجسم ، وشدة في الأسر ؛ لأغنتهم
بسطة أيديهم عن بسطة ألسنتهم ،
ولعملوا بالحكمة العربيّة الماثورة :

« علق سودك حيث يراه أهلك »

ولكن أننى لهم العضل المجدول ،
والساعد المفتول ، والتركيب الموثقة ،
يُردبون بها نساءهم ! وقد أنحل الشعر
أبدانهم ، ونزف قوتهم ، وأورثهم الضعف
والأبول ! وألبسهم الهرم قبل الأوان !
فلو زين لأحدهم شيطان القوافي أن يمدّ
يده بسوء إلى قعيدة بيته ، لراغت عليه
ضرباً باليمين ! فإطارت مركز الشعر
من مخّه ! وردّت إليه صباية عقله !

فلما لم يجدوا ما يشفون به غيظ
قلوبهم ، فزعوا إلى ألسنتهم يصبّونها

صاباً وعلقماً على الزوجات ! ولكنه انتقام
الذليل ، وقدرة الخمر التي يصورها
أبو تمام في قوله :

وضعيقة فإذا أصابت فرصة

قتلت ، كذلك قُـدرة الضعفاء

وهل يستطيع الشاعر أن ينتقم بغير
لسانه ؟ إذا ما ساق إليه القدر القاهر
زوجة ، كذاك التي يتول فيها خالد الحذاء :
خطبت امرأة من بني أسد ، فجئت لأنظر
إليها - وبينى وبينها رواق يشف - فدعت
بجفنة مملوءة ثريدا ، مكلّلة باللحم ،
فأتت على آخرها ! وأتت بإناء مملوء لبناً
ونبيذا ، فشربته حتى كفّاته على وجهها !
ثم قالت : يا جارية ، ارفعى السجف ،
فإذا هي جالسة على جلد أسد ! وإذا هي
شابة جميلة !

ثم قالت : يا عبد الله ، أنا أسدة !
من بني أسد ! على جلد أسد ! وهذا مطعمي
ومشربي ! فإن أحببت أن تتقدم فافعل !
فقلت : أستخير الله وأنظر ! فخرجت
ولم أعد !

على أن هؤلاء الشعراء ، إن كانوا
قد أساءوا من جهة ، فقد أحسنوا من

جهات ، فأقوالهم قد حُشيت مُلحاً
وفُكاهات مستعذبة ، وظرفاً بارعاً ؛ يبسط
النفوس المنقبضة ! ويُطلق بالضحك
فم الذُّكلى والذُّكلان !

وهى - إلى ذلك - تُرينا قدرة الشاعر
على وضع لسانه حيث شاء ، وبراعته على
أقاب الزُّين شَيْننا ، وتبديله الحسنات
سيئات !

وفيها وصف دقيق لكثير من أعضاء
المرأة ، أكسبت البيان ثروة طائلة من
التشبيهات الرائعة ، والاستعارات الجميلة !
وفيها تصوير للعلاقة الزوجية ، حين
تستحكّم النفرة والشُّقاق ! ويستحيل
غير الطلاق !

وبعسن أن نشير : إلى أن هذا الشعر
قد عرض لمذمة النساء في خلقهن - بفتح
الخاء وسكون اللام - أكثر من خلقهن -
بضم الخاء واللام - والحكمة من ذلك
واضحة ، فهو لاء النساء زوجات أو كنَّ
زوجات ، ورمى الغرائب المحصنات جُرم
شنيع ! وإسفاف ودناءة ! يَمَسُّ عارها
الرجل نفسه ؛ فكيف إذا كنَّ حليلات ؟!

فلم يكن وَكْذُ الشعراء من هذا الهجو ،
عَصَب النساء بِسَبِّة لا تُمَحَى ! وإنما كان
الغرض التَّشْفِي بِإِغَاظَتِهِنَّ ! ولا شئ
أشدَّ إيلاًماً للمرأة ، ولا أسرع في هدم
كبريائها ، من وصفها بالقبح والدَّمامة !

هذا هو الوتر الحساس ، الذى يهزها
من أعماقها هزاً عنيفاً ! ولو كانت
تؤمن فى نفسها : بأنّها خلقت على صورة
القرد والخنزير ! ولن تنسى ما عاشت
هذه الإساءة من مخلوق !

فمماً ورد فى ذم الزوجات ؛ ما حكاه
الأصمعى ؛ قال : كنت أختلف إلى
أعرابي ، أقتبس منه الغريب ، فكنت
- إذا استأذنت عليه - يقول : يا «أمامة»
ليدنى له .

فاستأذنت عليه مرارا ، فلم أسمع
يذكر أمامة ؛ فقلت : يرحمك الله !
ما أسمعك تذكر أمامة !

قال : فوجم وجمة ! فندمت على ما كان
منى ! ثم أنشأ يقول :

ظننت أمامة بالطلاق
وتجوت من غلّ الوثاق

بانَتْ فلم يَأْلَمْ لها
 قلبي ، ولم تَبْكِ المسافر
 لَوْ لم أَرْحُ بطسلاقتها
 لأرحت نفسي بالإبْـاق^(١)
 ودواء ما لا تشتهيهِه النَّـفْسُ
 نفس تعجيب... لُـ الفراق
 والعيش ليس يطيب بين اثْنِـ
 نَيْن من غير اتفاق
 وقال أبو موسى في زوجته - وقد طَلَّقها -
 تَجَهَّزْ لِلطَّلَاق وارْتَحِلْ
 فإِذَا دَوَاءُ الْمَجَانِبِ الشَّرِيسِ
 مَا أَنْتَ بِالْحُبَّةِ الْوَدُودِ وَلَا
 عِنْدَكَ نَفْعٌ يُرْجَى لِلتَّمَسِ^(٢)
 لَيْلَتِي حِينَ بَيْتٌ طَالِقَةٌ
 أَلَدُّ عِنْدِي مِنْ لَيْلَةِ الْعُرْسِ
 بَيْتٌ لِيَدِيهَا بَشْرٌ مَنْزِلَةٌ
 لَا أَنَا فِي لَذَّةٍ ، وَلَا فَرَسِي

تلك على الخسف لا معين لها
 وذا أنا لا يسوغ لي نفسي
 ومن الملح : أن بعض الأدباء تزوج
 امرأة فلم توافقه ! فقبل له : إن حمي
 دمشق سريعة في موت النساء !

فحملها إليها وأنشد هذه الأبيات :

دَمَشَقُ خُذِهَا وَأَعْلَمِي أَنَّ لَيْلَةَ
تَمَرٍ بَعُودَى نَعَشَهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ
أَكَلْتُ دَمَا إِنْ لَمْ أَرُعَاكِ بِضُرَّةِ
بَعِيدَةٍ مَهْوَى الْقَرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ^(٣)
أَمَا لَكَ عُمْرٌ إِنَّمَا أَنْتَ حَيَّةٌ
إِذَا هِيَ لَمْ تُقْتَلْ تَعِشْ آخِرَ الْمَدَى
ثَلَاثِينَ حَوْلًا لَا أَرَى مِنْكَ رَاحَةً
لِيَهْنَكَ فِي الدُّنْيَا لِبَاقِيَةِ الْعُمْرِ
فَإِنْ أَنْفَلْتُ مِنْ حَبْلِ « صَعْبَةٍ » مَرَّةً
أَكُنْ مِنْ نَسَائِهِ النَّاسِ فِي بَيْضَةِ الْعُقْرِ^(٥)

(١) الإبقاء : الحروب والذهاب .

(٢) الحبة - كقبة - الحبيبة .

(٣) أكلت دما : كناية عن أنه يرضى بالدية عن أخذه الثأر وهو عندهم ضعف وذلة . وبمعينة يهوى القرط : كناية عن طول العنق .

(٤) لهنك : لأنك ، أبدلت الهمزة هاء .

(هـ) بيضة المقر : يضم فسكون - : آخر بيضة الدجاج ، أو بيضة الديك يبيضها في السنة مرة . يريد أنه لا يتزوج بعد ذلك .

وهذه الأبيات وما قبلها تجلو لنا حكمة
الطلاق في أبي معرّض ! فإنه وإن كان
أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، فإنه كثيرا
ما يكون نعمة على الزوجين ، لا تطيب
لهما الحياة بدونه ! والشارع أعلم بمصالح
العباد !

وقال آخر يهجو امرأته : بأنها مضياح
خرقاء ، وهما خصلتان عمّت بها البلوى
في عصرنا الحاضر ! فكل زوج منهما
في هم مُفْعِلٍ مُقِيم !

يقول :

وإنّ بلائي من « رُدِينَة » كلّما
رجوت انتعاشا أدركتني بعائر
تُبِرْدُ ماء « السَّعْن »^(١) في ليلة الصُّبا

وتستعمل الكركور^(٢) في شهر ناجر

أما الهجاء بذكر العيوب البدنية ،
فقد قدّمنا أنه كثير ، وسنقتصر على
أمله وألفه وأعفّه !

فمن ذلك قول بعض الأعراب :
لها جسمٌ برغوثٍ وساقٌ بعوضةٌ
ووجهٌ كوجه القرد بل هو أقبح
وتبرق عينها إذا ما رأيتها
وتعبس في وجه الضجيع وتكلج

وتفتح - لا كانت - فما لو رأيتَه
توهّمته بابا من النار يُفتحُ
فما ضحكت في الناس إلا ظننتها
أمامهم كلّها يهوّ وينبّح

إذا عاين الشيطان صورة وجهها
تعوّد منها حين يُغشى ويُصبح
وقد أعجبتها نفسها فتملّحت
بأى جمالٍ ليت شعري تملّح^(٣)

وقال آخر :

الأم على بُغضٍ لما بين حيّة
وضبع وتمساح تغشاك من بحر
تُحاكي نعيما زال في قُبْح وجهها
وصفحتها - لما بدت - سطوة الدهر

(١) السَّعْن - كسبن : قرينة تقطع من نصفها وينبذ فيها .

(٢) الكركور : من أدوات التسخين . وناجر من شهر الصيف .

(٣) تملّحت : تحسنت .

هي الضَّرْبَانُ في المفاصِل نازلا
 وشُعْبَة بِرْسَامٍ ضَمَمَتْ إِلَى النَّحْرِ^(١)
 إِذَا سَفَرَتْ كَانَتْ لَعِينِكَ سُخْنَةً
 وَإِنْ بُرِّقَتْ فَالْفَقْرُ بَلْ غَايَةُ الْفَقْرِ
 وَإِنْ حَدَّثَتْ كَانَتْ جَمِيعَ مَصَائِبِ
 مَوْفَرَةٍ تَأْتِي بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ
 حَدِيثُ كَقْلَعِ الضَّرْسِ أَوْ نَتْفِ شَارِبِ
 وَدَلَّ كَحَطَمِ الْأَنْفِ عَيْلَ لَهُ صَبْرِي
 وَتَفَتَّرُ عَنْ قُلْحٍ - عَدَمَتْ حَدِيثُهَا -
 وَعَنْ جَبَلِي طِيٌّ وَعَنْ هَرَمِي مَصْر^(٢)

وقال الحنفى :

مُنِيتْ بِزُمُرْدَةٍ كَالْعَصَا
 أَلْصُ وَأَخْبِثُ مِنْ كُنْدُش^(٣)
 لَهَا شَعْرُ قَرْدٍ إِذَا أَزْيَنْتْ
 وَلَوْنُ كُلُّونِ الْقَطَا الْأَبْرَشِ

وَسَدَى يَجُولُ عَلَى نَحْرِهَا
 كَقَرْبَةِ ذِي انْغُلَّةِ الْمُعْطِشِ
 وَسَاقٌ مُخَلَّخُهَا حَمْشَةً
 كَسَاقِ الْجَرَادَةِ أَوْ أَحْمَشِ^(٤)
 كَأَنَّ الثَّالِيَةَ - ل - فِي وَجْهِهَا
 إِذَا سَفَرَتْ بِدَدُ الْكَشْمِشِ^(٥)
 لَهَا جُمَّةٌ فَوْقَهَا جَنْلَةٌ
 كَمَثَلِ الْخَوَافِي مِنَ الْمَرْعَشِ^(٦)

وقد يكون للهجاء سبب ؛ لا تملك معه
 إِلَّا أَنْ تَمَهَّدَ بَعْضُ الْعَذْرِ لِلشَّاعِرِ ؛ فَمَنْ
 ذَلِكَ مَا حَكَاهُ الْكَلَابِيُّ : مَنْ أَنْ أَعْرَابِيًّا خُطِبَ
 شَابَّةً بِالْبَصْرَةِ ، فَدَسُّوا إِلَيْهِ عَجُوزًا !

فلما دخل بها وأرخيت الستور ،
 وغُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ ، ضَجَرَ وَطَالَتْ لَيْلَتُهُ !
 حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ وَأَرَادَ الْخُرُوجَ ، مُنِعَ مِنْ
 ذَلِكَ ! وَقِيلَ لَهُ : لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَخْرُجَ

(١) الضربان - كسرطان - : نخسة ووجعة . والبرسام - بكسر الراء - : علة يهلئ منها .

(٢) قلع - كعمر - : أى أسنان صفر . من القلع - كسبب - وهو صغرة في الأسنان .

(٣) كندش : - بضم فسكون - : المعقق ، وهو طائر عطف .

(٤) حمشة الساق : دقيقتها .

(٥) الثاليل : بئر صغار صلب مستدير على صور شئ . والكشمش - كسيم - : عنب صغار يكون
 أصفر وأحمر وأسود .

(٦) المرعش - ككرم بفتح العين وكقعد - : جنس من الحمام يحلق في الهواء .

إلا بعد سبعة أيام ! فقال - يشكو مصابه
ويبكي حريته ! - :

أقول وقد شدوا عليها حجابها
ألا حبذا الأرواح والبلد القفر
ألا حبذا سيني ورحلى ونمرق
ولا حبذا منها الوشاحان والشذر^(١)

أتوني بها قبل المحاق بلياسة
فكان محاقا كله ذلك الشهر
عجوز ترجى أن تكون فتية

وقد يبس الجنبان وأحدوب الظهر
وما غرني إلا خضاب بكفها
وكحل بعينها وأثوابها الصفر
تسألني عن نفسها هل أحبها
فقلت ألا لا والدي أمره الأمر

تفوح رياح المسك والعطر عندها
وأشهد عند الله ما ينفع العطر

ويشبه ذلك ما قصه عبد الملك بن
عفان ، قال : تزوج ابن عبدل امرأة

من ههنا . فلما دخل بها ، لم تقع عنده
بموقع ! فقال :

أعاذلتى - بربكما - دعانى
أقلا اللوم إن لم تغدراى
فإني قد دلت على عجوز
مبرقة مخرقة مخرقة البنان

تغصن جلدتها واخضر إلا
إذا ما ضربت بالزعفران

فلما أن دخلت وحادثتنى
أظلتنى بيوم أرونان^(٢)

تحدثنى عن الأزمان حتى
سمعت ندا المؤذن بالأذان ؟

فقلت قد نكحت اثنين شتى
فلما صاحباني طلقاني

وأربعة نكحتهم فماتوا
فليت عريف حتى قد نعالى^(٣)

(١) الفرق - كفتدق - : الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرجل . والشذر : قطع من الذهب تعلق من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار .

(٢) يوم أرونان : صعب .

(٣) العريف : رئيس القوم أو النقيب وهو دون الرئيس .

وقالت ما تِلَادُكَ قلت مالى
 حمار ظالع ، ومزادتان^(١)
 وبورى^٢ وأربعة زُيوف
 وثوباً مُفْلِسٍ مُتَخَرِّقَان^(٣)
 فقالت قد رضيت فسم ألفا
 ليسمع ما تقول الشاهدان
 ومالك عندنا ألف عتيد
 ولا تسع تُعد ولا ثمان
 ولدعبل الخزاعي في هذا الباب قدم
 راسخة ، ولكن المبالغة والإغراق في تصوير
 العيوب ، وإبرازها في إطار من التهويل ،
 قد أفسد عليه قصده ، فاستحال هجاؤه
 ضرباً من المفاكهة والتندر ، حتى ليخيل
 إليك أنه كان يقصد العبث والتلعب ،
 لا حقيقة الهجاء ! ولا أظن زوجه وجاريتيه
 حين هجاهما بهذا الشعر الذى سنسوقه
 للقراء ، إلا قابلاتاه بالضحك والسخرية !

يقول فى امرأته .
 يا رُكبتى جَزُر وساقٍ نعامسة
 دزبيل كنَّاس ورأسٍ بغير^(٣)
 يا من أشبهها بحمى نافض
 قَطَاعَةٌ للظهر ذاتُ زئير^(٤)
 صدغاك قد شَمِطاً ونحرك يابس
 والصدر منك كجُوجِر الطنبور^(٥)
 يا مَنْ مُعانقهما يَبِيت كأنه
 فى مَجْبِسٍ قَمِل ، وفى ساجور^(٦)
 قبَلتِها فوجدت طعم لثاتِها
 فوق اللثام كلْسَعَةُ الزنبور
 ويقول فى جاريتيه « غربال » :
 رأيت « غربالاً » وقد أقبلت
 فأبَدت لعينى عن مَبْصَقِهِ

(١) ظالع : يغمز فى مشيه . والمزادة : ما يحمل فيه الماء « القربة » .

(٢) البورى : الحصير .

(٣) الجرر - كجبر - الشاء . والزبيل - كزميل - : القفة .

(٤) النافض من الحمى : ذات الرعدة .

(٥) شَمِطاً : من الشمط - كدبب - وهو بياض الشعر يخالطه سواد . والجُوجِر : الصدر . والطنبور من آلات الطرب « العود » .

(٦) قمل - كفرح - كثر من القمل . والساجور : خشبة تجعل فى عنق الكلب .

قصيرة خلق ودَحْدَاحَة
تَدَخَّرَجُ في المشى كَالْبُنْدَقَةِ^(١)

كَأَنَّ ذِرَاعاً عِلَتْ كَفُهَا
- إِذَا حَسَرَتْ - ذَنْبُ الْمَلْعَقَةِ

تُخَطِّطُ حَاجِبَهَا بِالسِّدَادِ
وَتَرْبِطُ فِي عَجْزِهَا مِرْفَقَهُ

وَأَنْفٌ عَلَى وَجْهِهَا مُلْصَقٌ
قَصِيرُ الْمَنَاحِرِ كَالْفُسْتُقَةِ

وَتُدْيَانٌ : ثَدْيٌ كَبَلُوطِيَّةٌ
وَأَخْرَ كَالْقَرِيصَةِ الْمَفْهَقَةِ^(٢)

وَصَدْرٌ نَحِيفٌ كَثِيرُ الْعِظَامِ
مُتَقَعِّعٌ مِنْ فَوْقِهِ الْمِخْنَقَةُ^(٣)

وَتَغْدِرُ إِذَا كَثُرَتْ خِلَتَيْهِ
- يُخَالِجُ - ذَاوِيَّةٌ مُغْلَقِيَّةٌ

وَقَالَ آخِرُ :
أَلَيْمٌ بِجَوْهَرٍ بِالْقَضْبَانِ وَالْمَدَرِ
وَبِالْعَصَى الَّتِي فِي رَأْسِهَا عُجْرٌ^(٤)

أَلَيْمٌ بِهَا لَا لِتَسْلِيمٍ وَلَا مِقْسَمَةٍ
إِلَّا لِيَكْسَرَ مِنْهَا أَنْفُهَا الْحَجَرِ

أَلَيْمٌ بِرُطْبَاءٍ فِي أَشْدَاقِهَا سَعَةٍ
فِي صُورَةِ الْكَلْبِ إِلَّا أَنَّهَا بَشَرٌ^(٥)

حَدْبَاءٌ وَقَصَاءٌ صِيغَتٌ صِغَةً عَجَباً
وَفِي تَرَائِبِهَا عَنْ صَدْرِهَا زَوْرٌ^(٦)

وَقَالَ آخِرُ :

تَمَّتْ عُيَيْدَةٌ إِلَّا مِنْ مُحَاسِنِهَا
وَالْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(٧)

قَلٌّ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبِ حَنِقٍ
أَقْصَرُ فِرَاسُ الَّذِي قَدِ عَيْتَ لَالِحِ

وَقَالَ آخِرُ :

لَا تَنْكَحَنَّ الدَّهْرَ مَا عَشَتْ أَيْمًا
مُخْرَمَةٌ قَدْ مُلَّ مِنْهَا وَمَلَّتْ^(٨)

تَحُلُكُ قَمَاهَا مِنْ وَرَاءِ خِمَارِهَا
إِذَا فَقَدَتْ شَيْئًا مِنَ الْبَيْتِ جُنَّتْ

(١) دَحْدَاحَة : قصيره .

(٢) المفهقة : المستلثة .

(٣) المخنقة : القلادة .

(٤) العجر : العقد جمع عقدة .

(٥) الرطباء : العظيمة الثديين .

(٦) الوقصاء : قصيرة العنق . والترائب : عظام الصدر . والزور - كسبب - : الميل .

(٧) الملح : الملاحه . أى تمت في كل شيء إلا في الملاحه ، وبعدت منها المحاسن بعد الشمس والقمر .

(٨) الأيم : التي فارقتها زوجها بموت أو طلاق . مخرمة : كثر الدعاء عليها باحترام المنية لها .

أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ، ثم
يسئ إليها !

فأهوى الزوج ، فألقى النقاب عن
وجهها ! فقال العامل : عليك اللعنة !
كلام مظلوم ، ووجه ظالم !

على الجندي
عضو المجمع

ولنختم مقالنا بهذه الطرفة ؛ يذكر
بعض أتياخ البصرة : أن رجلا وامرأته
اختصما إلى أمير من أمراء العراق ؛ وكانت
المرأة حسنة المتعقب ، قبيحة المنظر ،
كانت ذات لسان فصيح !

فكان العامل مال إليها ، وظن أن
تحت القبح غادة فاتنة ! فقال : يعمد



ابن العوام

للدكتور عبد الحليم منتصر

أسبانية سنة ١٨٠٣ . وينقسم الكتاب إلى أربعة وثلاثين فصلا ، تبحث الفصول الثلاثون الأولى في الفلاحة ، بينما تبحث الأربعة الأخيرة في تربية الماشية . وقد أعطى « مايرن » خلاصة لهذا الكتاب في : "Geschichte der Botanik" ونشر كليان ميرليه « ترجمة فرنسية لهذا الكتاب ١٨٦٤ ونقد « دوزي » ثم « هنكاده » كلا من المترجم والناشر .

وقد قدم ابن العوام لكتابه بمقدمة طويلة رائعة ضمنها بعض الأحاديث الشريفة مثل « أطلبوا الرزق في حنايا الأرض » وقوله « من غرس غرساً أو زرع زرعاً . فأكل منه إنسان أو طائر أو سبع كان له صدقة » وقوله « من غرس غرساً فأثمر ، أعطاه الله من الأجر بقدر ما يخرج من الثمر » كما أورد بعض الأقوال الماثورة مثل قول قيس بن عاصم لبنيه « عليكم بإصلاح المال ، فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم » ومن ذلك أن يتفقد صاحب الضيعة ضيعته بنفسه ، ولا يغيب عنها ، ولا سيما في وقت عملها وفلاحتها ومن الأمثال في هذا تقول الضيعة لصاحبها « أرني ظلك آعمر »

أبوزكريا بن محمد بن العوام الأشبيلي ، اشتهر بكتاب كبير في الفلاحة عنوانه « كتاب الفلاحة » لانكاد نعرف شيئاً عن حياته ، إلا أنه كان يعيش حوالى نهاية القرن الثاني عشر الميلادى ، وأن أصله من أشبيلية ، وقد ذكره ابن خلدون ، دون أن يعرف له هذا المصنف ، الذى كان يعتبره مرجزاً لكتاب « الفلاحة النبطية » لابن وحشية ، ولم يذكره « حاجى خليفة » . ولا ابن خلكان .

وكان « كازبرى » فى فهرسه ، أول من نبه الأذهان إلى المخطوط الكامل لهذا الكتاب المحفوظ بمكتبة الأسكوريال . وقد نشر بانكوير هذا الكتاب مع ترجمة

وقد سمي ابن العوام المراجع والمصادر التي استقى منها ، ورمز لمؤلفيها بحروف ، لا يفتناً يذكرها ، كلما أراد ، فهذا الغرناطي (غ) ، وجالينوس (ج) وقسطوس (ق) ، وأرسطوطاليس (ط) وطامثري (ط) وهكذا . ويقول إنه لم يُثبت إلا ما جربه مرارا فصيح ، ويقول أحياناً إنه لم يقطع بأن هذا يصح في بلادنا ، لبعد بلادهم عنا كما أنه حدد المقاييس وعرف المصطلحات كالطمر ، والكمخ ، والنبش .

وقسم الكتاب إلى جزأين ، يقع الأول في ستة عشر باباً ، كما يقع الثاني في ثمانية عشر باباً . ونخص الجزء الأول في معرفة أنواع الأراضي ، وأنواع الأسمدة ، وأنواع المياه ، والبساتين ، واتخاذ الأشجار والثمار ، ثم في تطعيم الأشجار وتسمية الأشجار المعتاد زراعتها ، ويقول في أغلب بلاد الأندلس . الجبلى والريفى والسهلى ، نحو خمسين نوعاً . ويتكلم في الباب الثامن عن تركيب الأشجار بعضها في بعض ، أوقاته وكيفية اختيار الأقلام ثم تقليم الأشجار ، وتحدث في الباب العاشر عن حرارة الأرض المغترسة

وتسمية الأشجار التي توافقها . ثم يذكر تزييل الأرض والأشجار المغروسة وغير المغروسة وما يوافق كل نوع من الزبول ، وعلاج الأرض المالحة ، وكيفية التسميد ، ثم صفة العمل في سقى الأشجار والخضر بالمياه ، وما يحتمل السقى الكثير ، ويصف عملية تذكير الأشجار ، ويتحدث عن الأشجار المتحابة والمتنافرة ، ويفرد باباً خاصاً لعلاج الأشجار من الداء والأمراض وكذا علاج البقول والخضر . ويتحدث في باب آخر : عما سماه دُلُهاً مستطرفة تُعمل في بعض الأشجار والخضر ، وتغيير لون الورد ، وتدبير في الورد حتى يورد والتفاح حتى يشمر في غير أيامه . ويشرح كيفية العمل في اختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة والتخليل وغيره مما يمكن أن يسمى الصناعات الزراعية .

ويتحدث في الباب السابع عشر عن كيفية عمل القليب ومنفعته وإصلاح الأرض بعد كلالها وما يريح الأرض ويصلحها من الحبوب والقطاني واختيار البذور ، واختيار ما يصلح لكل نوع من أنواع الحبوب من أنواع الأرض ، ومعرفة أوقات الزراعة ، وصفة العمل في زراعة الرز والذرة والدخن

والجلبان واللوبيا سقيا وبعلا ، ثم زراعة
القطاني سقيا وبعلا ، وكذا الكتان والعنب
والقطن وبصل الزعفران والقوة ثم اتخاذ
المباقل واختيار أرضها ، وذكر ما يصلح
أن ينقل ، ويخصص أبواباً متتابعة لزراعة
البقول ذوات الأصول مثل السلجم والجزر
والفجل ثم القثاء والبطيخ والدلاع
والباذنجان والحنظل ثم البذور المستعملة
في الأدوية كالكمون والكزبرة والكرامية..
ما يمكن أن نسميها النباتات الطبية .
ويخصص فصلاً للرياحين وثاني لأنواع
النبات التي تتخذ منه الجنان وثالث
لاختيار البيادر والمدارس حيث تجمع
المحاصيل وتدرس . وخص الباب الثلاثين
لاختيار مواضع البنيان ووقت قطع الخشب
ومعاصر الزيت .

أما الأبواب الباقية من الكتاب فقد
خصصها ابن العوام لما نسميه تغذية
وتربية الحيوان وكذا أمراض الحيوان ،
فتحدث عن كيفية اختيار الجيد ، ومدة
الحمل ، وما يصلح من العلف . وعلاج
بعض أدوائها ثم التسمين والعلف ، ورياضة
الأمهار ثم علاج بعض علل الدواب ، مما
يمكن أن يسمى بيطرة . وتحدث في فصل
خاص عن اقتناء الحيوان الطائر في البيوت

مثل الحمام والأوز والدجاج ونحل العسل ،
ثم اقتناء الكلاب للصيد والزرع .

وكذلك نرى أن الكتاب على بعد عهده
يعالج كل العلوم الزراعية تقريباً في
أسلوب سهل جذاب ، لا تمل قراءته إن
اتسم بالأمانة في العرض والاستشهاد ،
ثم يتبع ذلك بقوله : لي ، وذلك حين
يعرض رأيه هو . وفيما عدا ذلك فإنه
ينسب الأقوال إلى قائلها من ابن حجاج
إلى يוניوس أو قسطوس . الخ

يقول ابن العوام أول مراتب علم الفلاحة
معرفة الأرض ، والسواد دليل الحرارة
كذلك الحمرة ، إلا أن حر الحمرة أقل
من السوداء ، ثم يتلوها الصفرة ، إن أنت
مارست الطين بيديك فأصبتة شبيهاً
بالشمع يلصق شديداً فاعلم أنها أرض غير
موافقة للبقول ولعله يقصد الأرض الطينية
الناعمة ، ويقول هذا قول « يוניوس »
ويقول إن بعضهم يستدل على طيب
الأرض ودناتها بأعشاب نبتتها ، لا تكاد
نخطئ الاستدلال بها ويمثل بنباتات
لا تنبت إلا في الأرض الجيدة ، وأخرى
تنبت في الأرض الدنيئة ، والبعض ينبت
في كليهما . وهذا ما يسمى في العلم الحديث

أن النباتات كواشف للبيئة ، وهى كما يقول ابن العوام لا تخطئ أبدا .

يقول : وأجود الأرض البنية سجية ثم شديدة الغبرة ، فيها تخلخل وطعم ترابها عذب ، لعله يريد أن يقول إنها مسامية خالية من الأملاح . وأنه ليجرى التجارب ، وإن كانت بدائية إلا أنها تدل على اعتماده على المنهج التجريبي . فهو يطلب إليك أن تأخذ قدرا معينا من التربة ، وترجه بالماء الحار ، وتتذوق الماء وتبين رائحته ، ويطلب أن تلاحظ ما ينبت بها من نبات برى ، إن كان قميا أو قويا . ويقول إن البعض يكتفون فى امتحان الأرض بالنظر إلى ما ينبت فيها ولو بحشيشة واحدة مثل السوس والعوسج والشرك والعليق فيأخذون من أغصانها وأوراقها المتوسطة ، فيدقونه ويقيسونه طعمه إلى طعم مثله مما ينبت فى أرض سليمة من الآفات . فيستدلون بالخلاف والوفاق . وهذه دراسة مقارنة لها قيمتها العملية . وعلى أسس علمية سليمة يقول ابن العوام . وهناك الأرض المالحة ، والنزه ، والغدقه ، والرخوة ، والدسمه المفرطة فى ذلك والقابضة والحامضة الحارة ، والمفرطة التخلخل ، والمفرطة الاستحشاف والمفرطة

التكرز ، وما أظن علم الأراضى الحديث يزيد على هذه الأنواع ، وإنما ابتكر المقاييس والتعاريف المختلفة . ثم يذكر ما يصلح لكل منها من نبات . وكيفية معالجة كل نوع من هذه الأراضى . ويقول : والأرض المالحة ، وهى أنواع منها ما يشرب طعمها مع الملوحة حموضة ومنها ما يشوبه معها مرارة ، ومنها ما يشوبه معها قبض ، ويضيف وللملوحة علاج عام وعلاج خاص وإن زرع فى هذه الأرض حب الأزادرخت واللوز المر والآس وشجر الغار ، لقطت هذه الأشياء المرارة كلها حتى تصلح صلاحا تاما ، ويتم صلاحها بتكرير التزييل الحصوص المرافق . ويقول اهرب كل الهرب من الأرض المالحة والرمل المالح ، يقول من صفات الأرض التخلخل والرخاوة والتكرز والتنكيد . ويذكر تجربة لمعرفة نوع الأرض ويقول يحفر ثلاث حفر ، عمق نصف ذراع ويجمع التراب فى آنية من الخزف بعناية شديدة ثم يأخذ من أرض متخلخلة غير مكتنزة ويوضع فى الحفائر فإن بقى شئ كانت مكتنزة ، يقول والأرض المتخلخلة تصلح للغرس . والصلبة المكتنزة لا تصلح ، وشديدة التلزز من طبعها تحبس الماء

فلا تمص كثيرا ، ولا تجذبه إلى باطنها
ويقول : ويصالح في الجبلية منها على حال
مع كثرة العمارة ، شجر الزيتون والخروب
والبلوط والشاه بلوط والغبيراء والكمثرى
والأجاص والقراصيا . ثم يقارن بين
أنواع الأسمدة البلدية . ويقول : هذا رأى
يونيوس أما قسطوس فيرتبها الأزبال
والأتبان والأرمدة ، إما مفردة أو مركبة .
ويخصص فعلا لكيفية استعمال الأزبال
في الشجر والخضر . ويقول : وهذه مع منفعتها
للنبات فإنها تنفع الأرضين التي فيها النبات
والتي لا نبات فيها ولا شجر ، وذلك أنه
إن طرحت في أرض رديئة أصلحتها ،
وإن كانت الأرض صالحة زادت صلاحية
في طبيعتها وقوتها ، وكذلك هو فعلها في
النبات والشجر . التقوية والصلاح ودفع
العوارض الردية عنها .

ويتحدث عن أنواع المياه المستعملة
في سقى الأشجار والخضر ، فيقول هناك
الماء العذب ، والماء المر ، والماء المالح الزعاق .
والماء القابض العفن ، والماء الذي غاب
عليه طعم بعض المعادن .

يقول : ويستدل على قرب الماء بأنواع
النبات وبلون وجه أرض وطعمه وريحه .

وأنه ليوصى بتجربة اشعة لمعرفة ما إذا
كان في البشر بخار مؤذى . وطريقة إخراج
هذا البخار ، وهي طريقة مؤكدة
صحيحة وأنه ليوصى في غرس البساتين ،
بالا يكون غرس الأشجار غرساً مختلطاً ،
لكن يغرس كل واحد منها قريباً من جنسه ،
لئلا يغلب القوى منها الضعيف ، فيعدم
ذلك الضعيف منها ، وينبغي أن تكون الفرج
التي بين الغروس على قدر طبع الأرض
وقوتها ، ويضعف وأجود جميع الغروس
التي تحرل ، وخير غرس الشجر ما يكون
من غصون ، وأن الغروس التي من البذور
في الجملة أضعف من جميع الغروس
ولا تغرس الأشجار التي تعظم مع الأشجار
التي لا تعظم ، ولا التي تتعري من أوراقها
مع التي لا تتعري منها وكذلك ما يأتي
منها فائدة في وقت واحد ، يغرس دعاً
في جهة واحدة ، مثل التفاح والأجاص
والكمثرى والمشمش لتخف المونة في
حراستها . وبعد أن يذكر ما يصلح غرس
من زوى أو بذر ، يذكر إجماع حذاق الفلاحين
على ألا تقرر هذه الأشياء في مواضعها ، بل
تنقل ، وذلك مثل الجزر واللوز وشاه
بلوط والخوخ والأجاص والنخل والصنوبر
والسرو والغبيراء والغار والصنوبر والمشمش

والفستق ، فإذا حال عليها حولان ،
حوالت كلها إلى مكان آخر .

يقول : وما ينبغي أن يغرس من فروع
تنزع من الشجر ، التفاح فالقراصيا ،
والآس ، والزرور ، ثم يضيف ؛ ومن الناس
من يعمد إلى زرع هذه الأشجار فيميلها
ويطمرها في التراب ، حتى يصير لها
أصول ثم ينقلها ، وهو بذلك يصف
ما نسميه « الترقيد » . يقول والأشياء
التي تغرس في أوتاد التوت ، والأترج
والسفرجل والزيتون والطرفا والمحور ،
وهذه هي أيضا إن نقلت فغرس
تكون أجود . وأما شجرة التين ، وإن
كانت من الأشجار اللابثة (المعمرة)
فلمحريف عودها وخوره ، رأوا غرسه من
القضبان الرقاق . ويتابع وصفه لطرائق
التكاثر الخضرى في الأشجار المختلفة ،
فيقول : تنقل القضبان من الترميدانات
(المشاتل) بطيئها ، وتطمر ثلاثة أرباعها
ويبقى الربع بارزا ، وينبغي أن تكون
الترميدانات في أرض لم تفاح ، جافة وأن
تكون الشمس مشرقة عليها ، وتصل إليها
الرياح الجارية ، وينبغي أن تقلب هذه
الأرض قلبا مستقصى لتنزع أصول

الحشائش ، ويحفر حول الغرس مرة كل
شهر ، وأن تكون الآلات صغارا جدا
لئلا يضر ذلك الحفر بالغرس ، وتلقط
الفروع التي تنبت في الغرس ، وهي
غضة قبل أن تخشن وينبغي أن تكون
الأرض التي تحول إليها الغرس من
وضع تربتها مقاربة في الصفة للأرضين
التي ابتداء زراعتها فيها أو مثلها ، ولا تحول
من أرض جيدة إلى أرض رديئة .

ويقول : في أوقات الغرس ، أنها تختلف
على قدر اختلاف البلدان والأمم ، أو الربيع
أو الخريف ويضيف : وإذا أردت أن تأخذ
الغرس من أى نوع شئت كان ، قطعا ،
أو خلا ، أو ملحا ، أو وتدا ، أو غرسا
بأصله ، فلا تأخذ إلا ما يلي الشمس ،
فهي تحره وتديفه ، وكلما أحترت الشمس
فهو أجود ولا تأخذ غرسا أبدا من ناحية
الشمال ، وما جاوز الشمال فإنه ظليل قليل
الحمل ، قليل التعلق . ينبغي أن تأخذ
الأغصان من أعلى الشجرة . ويضيف قول
سيداغوس : « ينبغي ألا ننقل ما كان من
من الملاح والقضبان والنوى والأوتاد
منشوه على السقى والرطوبة الدائمة إلا إلى
مثل ما كان عليه ، فينبغي أن ينقل السقى

إلى السقى ، والبعل إلى البعل ، وأنه
ليقارن بين أقوال يونيوس وديمقراطيس ،
وبنهاريس وتسطوس ، وابن حجاج ،
والحاج الغرناطى وغيرهم ، ثم يقول :
وتختار للغرسة من الأشجار أكثرها حملا
وأطيبها طعماً ، فإن المؤونة والنفقة في
غرسة النوع الجيد وعمارته والردىء
سواء ، فغرسة الجيد أولى ، وأنه ليدكر
ما آثرت ذلك فيضيف : قالوا نغرس
الأشجار في زيادة القمر ، فإنها تطول
وتغلظ وتفطر في ذلك ويكثر حملها إذا
غرس في ذلك الوقت . وبالنسبة من ذلك
فيما يغرس أو يزرع في نقصانه ، وأنه ليؤيد
آراءه أحيانا بقوله « قال ابن الحجاج
رحمه الله : هذا إجماع من حذاق أصحاب
الفلاحة على كراهة غدران الناس وكراهة
الافراط في الزبل لشجر الزيتون ، فبعد
أن يذكر آراء سلفه يقول : جربت ذلك
فصح . كما يورد بعض الأحاديث النبوية

أو بعض الوصفات البلدية ، أو الملح
الطريفة ، ويقول لم أذهب إلا إلى التأنيس
باتفاق المتقدمين على الأشياء التي قصصتها ،
وليعلم أن هذا إجماع من حذاقهم ، ليعمل
به ويعقد عليه . ولو أتى أوردت قول
أحدهم دون أصحابه لم آمن أن يظن أنه
قد شذ عن نظرائه ، فأوردت أقوالهم
بحسب ما لقيتها ليكون الأمر أوكد عنده
وألزم له . وفضلا عن ذلك فإنه حين
يتحدث مثلا عن غرسة الخوخ والشمش
والنارنج والجوز والدردار وقصب السكر...
الخ يلزم في كل حالة باختبار الأرض ،
وطريقة الغرس ، وموعده ، وطريقة السقى
والتعهد ، مما لا يبقى معه زيادة لمستزيد .

ذلك هو ابن العوام عالم الزراعة القديم ،
وتلك طريقته في البحث ، كما عرضها
في كتابه الفلاحة الذي نقدمه في هذا
الحديث .

عبد الحليم منتصر
عضو المجمع

بين القافية في الشعر العربي والقافية في الشعر الإنجليزي

الدكتور إبراهيم أنيس

وإذا كان هذا هو حكمنا على لغتنا
العربية في مجموعها ، أى من حيث
أصواتها وصيغها وتراكيبها في جل صنوف
الكلام وأساليبه ، فأولى بهذا شعرها ، لأن
الموسيقى أهم ما يتسم به الشعر. ليس من
المغالة إذن أن نتوقع في تلك البيئة
الجاهلية ، شعرا كملت موسيقيته فأطرب
السامعين في أسواقها ، وهز قلوبهم ونفوسهم
هزا عنيفاً .

وحدث أن كنا أخيراً نندرس بعض
ظواهر الشعر الإنجليزي في كتب الأدب
والنقد فراعنا أن وجدنا شيئاً لا تسمح
به قافية الشعر الإنجليزي ونعلم في نفس
الوقت أنه جائز في شعرنا العربي . ولم
يكن هذا الأمر قد خطر لي وأنا أولف
كتابي « موسيقى الشعر » منذ ما يقرب
من عشرين عاماً .

لنا في بحث سابق أن الامية
التي سادت في شبه جزيرة
العرب قبل الإسلام كان لها دور
كبير في صيغ ألفاظ اللغة العربية
وأساليبها بصيغة موسيقية . وذلك
لأن القوم قد اعتمدوا ، من حيث اللغة ، على
الآذان في تلقيها ، وعلى الألسنة في أدائها ،
فمرنت الآذان والألسنة ، وأصبحت
الآذان مرهفة حساسة تميز الجرس الجميل
المطرب من النابي النشاز ، كما أصبحت
الألسنة ذلقة لبقة تنطق بأصوات اللغة
في وضوح وتطريب. وترتب على كل ذلك
كلف القوم بنغمات كلامهم ، وحرصهم
على جرسه ، واستمتاعهم بجمال أصواته ،
وتحاشيهم لكل ما يتعثر فيه اللسان وينبو
في الآذان^(١)

(١) دلالة الألفاظ : ص ١٩٥ - ٢٠٦

ولإزاء تلك الظاهرة التي وقفنا عليها في القافية الإنجليزية ، خيل إلينا لأول وهلة ، أن القافية الإنجليزية ، أدق في موسيقيتها من القافية العربية .

فبدأنا نتساءل : هل يعقل مع ماقررناه من اتسام العربية بالموسيقية ، وحرص أهلها على تلك السمة أن تتسامح فيما لا تتسامح فيه لغة أخرى ؟ وأن يجوز شعرها ظاهرة مهما كانت لطيفة في السمع ولا تكاد تدركها الأذن ، في الوقت الذي تأبأها لغة أخرى ؟ !

ثم اطمأنت النفس حين تذكرنا أن القافية العربية في أغلب حالاتها من النوع الذي يسمى بالقافية المطلقة وهي التي يحرك فيها الروى بحركة قد تستطيل في الإنشاد حتى تصبح حرف مد ، بل قد يكون حرف المد الذي تنتهي به قافيتنا العربية جزءاً من بنية الكلمة التي ينتهي بها البيت . فلنستمع لأمير الشعراء «شوقي» يقول :

ريم على القاع بمن البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
لما رنا حدثني النفس قائلة
يا ويح جنبك بالسهم المصيب رُمي

فالروى في هذه القصيدة هو حرف «الميم» وقد حرك بالكسرة التي قد تستطيل في الإنشاد حتى تصبح ياء مد ، ولذلك قابلتها وانسجمت معها ياء المد الأصلية في الفعل « رمى » وهي جزء من بنية الكلمة . ويعتمد الروى على هذه الحركة في تردد وصدى القافية وحسن موسيقاها . ويتصور مَنْ لا دراية لهم بطبيعة الأصوات أن مثل هذه الحركة صوت تافه لا أثر له في السمع ، غير أن الدراسة الصوتية الحديثة تبين بجلاء أنها أوضح في السمع من الروى نفسه ، وتتعلقها الآذان في وضوح وقوة لا تقل عن الروى . فهي مما يسميه الصوتيون بأصوات اللين أو ال Vowels التي تعد أوضح الأصوات في كل لغة وأقبل المتغنى بها . ليست العبرة هنا بوظيفتها النحوية وإنما العبرة بوقعها في الأذن .

وقد تبين لنا في إحصاء سابق أن نحو ٩٠٪ من الشعر العربي ، قديم وحديثه وقعت فيه القافية المطلقة وهي التي لا يكاد يعرفها الشعر الإنجليزي الذي تنتهي أبياته بحروف ساكنة كما هو معروف ؛ أي أن المقارنة بين القافية العربية والقافية

الإنجليزية تقتصر على ما نسميه في شعرنا بالقافية المقيدة التي لا تتجاوز في الشعر العربي ١٠٪ بل نحن هنا نقصر المقارنة على ما قبل الروى من حركة أو حرف مد في تلك القافية المقيدة .

وقبل أن نعرض لملك الظاهرة التي أزعجتنا لأول وهلة ، وقبل أن نحاول تفسيرها وبيان الحقيقة في أمرها ، يجدر بنا أن نبين بما لا يدع مجالا للبس أو الوهم أن القافية في الشعر العربي بوجه عام أكثر موسيقية وأجمل وقعا في الآذان من القافية في الشعر الإنجليزي مؤسسين هذه الحقيقة على الأسس الصوتية التالية :

أولا : أن القافية المطلقة أوضح في السمع وأشد أسرا للأذن ، لأن الروى فيها يعتمد على حركة بعده قد تستطيل في الإنشاد وتشبه حينئذ حرف مد . ومن المقرر في علم الأصوات أن حروف المد أوضح في السمع من الحروف الأخرى كالعين والفاء مثلا . وإذا كان قد ثبت لنا عن طريق الإحصاء أن القافية العربية في الكثرة الغالبة من صورها من النوع المسمى بالقافية المطلقة وأن القافية

الإنجليزية لا تكاد تعرف هذا النوع ، اتضح من ذلك جنوح أكثر نحو الموسيقى في القافية العربية .

وقد يتوهم بعض الدارسين أن القافية المطلقة قد وقعت أيضاً في الشعر الإنجليزي حين يقرأ تلك الأشعار الإنجليزية القليلة أو النادرة التي فيها يجد أن القافية قد انتهت بكلمتين مثل : Fro مع Free. So مع Blue. Sea مع Woe. Draw مع Below . ويتصور لذلك أن القافية هنا تشبه القافية العربية المطلقة لأنها تنتهي في كل من القافيتين بحرف مد ! !

وفي الحق أن القافية المطلقة في الشعر العربي لم تسم كذلك لمجرد انتهائها بحرف مد ، بل لا بد فيها من أمرين : الروى أولا وهو حرف عادى كالسين أو الميم مثلا ويضاف إليه حرف المد ، ففيها عنصران أساسيان هما : الروى + حرف المد في حين أن الإنجليزية في الأمثلة الآتية الذكر قد اعتمدت كل منها على حرف المد وحده . فكأن القافية العربية إذا قورنت بالإنجليزية ، تشبه ما يسمى بلزوم مالا يلزم ، أو بعبارة أدق يكثر فيها تردد.

الأصوات فيكسبها جمالا موسيقيا أكثر مما قد يتصور في نظيرتها الإنجليزية ، إذ ليس في القافية الإنجليزية في هذه الحالة ما يناظر الروي العربي .

ولعل الذي سوغ على كره ، قبول ذلك في الشعر الإنجليزي أن النبر في الأمثلة السابقة يقع على الحركة الطويلة أو حرف المد الذي تنتهي به القافية ، في حين أن طبيعة اللغة العربية تأبى وقوع النبر على المد الأخير من الكلمة ، ولذلك لا يقنع به السامع في الاعتماد عليه وحده لتكوين النغمة الشعرية ، ويتطلب معه ما يسمى بالروي . فإذا أريد في بعض الحالات الوقوف على حرف المد الأخير من الكلمة العربية ونبره حينئذ ، استحسنت لغتنا العربية أن يوصل حرف المد بهاء السكت ، أو بهزة الوقف ، أو بما يسمى نون الترنم .

وهذا هو السر في تردد معظم العروضيين بصدد وقوع حروف المد رويًا ، ولم يجوزوا منها إلا الألف استئناسا بتلك القصائد التي تسمى بالمقصورات وأشهرها مقصورة ابن دريد التي يروي أن مطلعها :

شرّد عن عيني الكرى طيف سري
من أم عمرو في غياهيب الدجي

أما في حالة واو المد وياء المد فيأبى معظم أهل العروض اعتبارهما رويًا ، ويتطلبون أن يسبق كل منهما في القافية العربية بحرف عادي هو الروي الحقيقي للقصيدة كاللاد أو النون مثلاً .

ومع أننا لا نكاد نعثر على شعر عربي محقق النسبة فيه واو المد أو ياء المد بمثابة الروي ، نجد أن بعض المتسامحين من العروضيين يقبلون ذلك حين تكون واو المد أو ياء المد حرفاً أصلياً من بنية الكلمة ، فإذا كان زائدا رفضوا الاعتراف به رويًا . ويستقبحون لذلك ما يروي عن مروان بن الحكم أنه قال :

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا
نموت كما ماتوا ونحيا كما حيوا
وينقص منا كل يوم وليلة
ولا بد أن يلقي من الأمر ما لقوا

* * *

ومع أن معظم المستنيرين من العروضيين لا يسمحون بقبول حتى الأصلية من واو المد وياء المد بوصف كل منهما رويًا ، نجد أن قلة من العروضيين يقنعون بذلك ويمثلون له بهيتين تبدو عليهما الصنعة

العروضية ، ويترددان بعينهما في كتبهم
وهما :

نروح ونغدو لحاجاتنا

وحاجات من عاش لانتقضى^{٢٤}

تموت مع المرء حاجاته

وتبقى له حاجة ما بقي

* * *

وفي الحق أننا لا نكاد نعثر في الشعر
العربي ، قديمه وحديثه ، على أمثلة محققة
النسبة لهذا النوع الذي يعتبر فيه الروى
واو مد أو ياء مد .

وهكذا نرى أن القافية العربية المطلقة
وهى التى يتألف منها الكثرة الغالبة من
الشعر العربى تعد فى الحقيقة إذا قورنت
بالنادر من القوافى الإنجليزية التى فى مثل
blue مع dew ، أكثر عناية بالموسيقى
وأجمل وقعا فى الأسماع .

ثانياً : تبين أن الكثرة الغالبة من
الشعر الإنجليزي قافيته تشبه القافية
المقيدة أى تنتهى بحرف ساكن مثل :

Street مع Rough. Sweet مع Enough

وتعتمد القافية فى هذه الحالة على ذلك
لحرف الساكن اعتمادا كبيرا .

ولكننا نعرف من الدراسة الصوتية أن^{٢٥}
الحرف الساكن Consonant حين يقع
فى نهاية الكلمة ثم يراد الوقوف على
كلمته ، قد يتعرض ذلك الحرف الغموض
أو الإبهام فيقل وضوحه فى السمع أو قد
يسقط فى النطق ، ولا سيما حين يكون
من الحروف المهموسة الشديدة كالتاء
والكاف ، فلا يكاد يتضح فى الأذن
ولا يكاد السامع يدرى حقيقة أمره
ولا يحسن بموسيقاه .

ومما تقدم نرى أنه ليس من الإسراف
أو المغالاة أن نقرر أن القافية فى الشعر
العربى بوجه عام تعد أدق حساسية
بالموسيقى وأكثر عناية بإبرازها من القافية
فى الشعر الإنجليزي التى تعتمد اعتمادا
يكاد يكون كليا على النوع المسمى
بالقافية المقيدة .

نشرع بعد ذلك فى الحديث عن تلك
الظاهرة التى راعتنا فى أثناء مدارس حديثه
محاولين تفسيرها تفسيراً موضوعياً ،
وفى حيدة وإنصاف ، لكل من الشعر العربى
والشعر الإنجليزي .

ولنبداً بالقافية الإنجليزية ، حين
يكون ما قبل الروى حركة قصيرة ، أى

ما يشبه الفتحة والضمة والكسرة مثل
الكلمات :

dead, said, bed التي تنسجم معاً حين
تكون في قواف متوالية ، مثل met مع set ،
ومثل but مع cut ، ومثل bit مع sit ،
ومثل rod مع tod ، ومثل ox مع rocks ،
ومثل flex مع sex .

وهكذا نرى أن القافية الإنجليزية تُصرُّ
على التزام الحركة القصيرة قبل الروى ،
فإذا كانت ما يشبه الفتحة التزمت ، وإذا
كانت ما يشبه الضمة التزمت ، وإذا
كانت ما يشبه الكسرة التزمت . ولا
تسمح القافية الإنجليزية أن يرد فيها sex
مع ox ، ولا مثل put مع met ، أو sit
مع cut .

في حين أن الشعر العربي قد وقع فيه شيء
من هذا ، فلنستمع إلى قصيدة شوقي تحت
عنوان انتحار الطلبة :

ناشيء في الورد من أيامه
حسبه الله أباالورد عثر ؟

راحلا في مثل أعمار المنى
ذاهباً في مثل آجال الزهر

هارباً من ساحة العيش وما
شارف الغمرة منها والغدُر

وكذلك قصيدته في أبي الهول :
أبا الهول طال عليك العصر
وبلغت في الأرض أقصى العمر
فيالدة الدهر لا الدهر شاب
ولا أنت جاوزت حد الصغر

* *

ففي القصيدة الأولى وعدتها ٥٧ بيتاً
نلاحظ أن ما يقرب من ٤٩ بيتاً سبق
الروى فيها بالفتح ، وسبق الروى بالضم
في خمسة أبيات ، وبالكسر في ثلاثة .
وفي مشهد من مشاهد مسرحية عبدالرحمن
الناصر للشاعر الكبير عزيز أباظة نجد
أن هذا المشهد القصير الذي يتألف من ١١
بيتاً ومطلعه :

بعض العنان يا شفق
حطم قلبي يا شفق

يشتمل على ٧ فتحات ، ٣ كسرات ،
وضمة واحدة قبل الروى .

وفي الحق أن جميع الشعراء المحدثين
قد تناوبت الحركات الثلاث وبكثرة

في قوافي شعرهم التي من هذا النوع ، فلا يكاد أحدهم يلتزم حركة واحدة في قصيدة من قصائده .

ورأينا إزاء هذا أن نرجع إلى الشعر الجاهلي الذي نظمته أصحابه بآذانهم المرهفة ، واعتمدوا فيه على الجرس الموسيقي وحرصوا فيه إلى أبعد حدود الحرص على الانسجام بين نغمات القوافي . فدهشنا حين تبين لنا أن في القدر القليل المروى من هذا النوع في الشعر الجاهلي قد تناوبت الحركات الثلاث ، وإن التزم بعض الشعراء في القليل من الأحيان حركة بعينها ولا سيما حين تكون الفتحة . ففي قصيدة من قصائد المفضليات عدتها تجاوز ثمانين بيتا التزمت الفتحة : مثل (وقع ، نفع) ، إلا في بيت واحد يؤكد لنا محققو الديوان أنه ينتهي بالكلمة « كنَّع » بهذا الضبط . ولست أدهش حين يتضح لنا بالبحث في المعاجم أن هذه الكلمة ينطق بها « كَنَع » أيضاً ، أو أن لام الكلمة هنا وهي من حروف الحلق ، تسمح بفتح الوسط كما هو الشأن في كثير من الصيغ العربية .

ولما عرض أصحاب العروض لهذه الظاهرة في كتبهم عدوها من عيوب القافية

وسموها « سناد التوجيه » ، ثم روي لنا فيه ثلاثة آراء :

- (أ) رأى الأخفش وفيه يقرر أن سناد التوجيه لا عيب فيه ، أو على الأقل يمكن أن يعدّ رخصة شعرية ولا يلام الشاعر عليها .
- (ب) رأى الخليل الذي يجوز التناوب بين الضمة والكسرة فقط . ولا شك حين نسترشد بعلم الأصوات نجد أنهما حركتان متشابهتان وأن الموجة الصوتية الأساسية معهما واحدة ، والاختلاف بينهما في الموجات الفردية . هذا إلى أنهما من الأصوات الضيقة التي يتخذ أول اللسان معها في حالة الكسرة وضعا يشبه ما يتخذه أقصى اللسان مع الضمة . ولا غرابة لذلك أن الأذن تسمعهما وكأنهما أختان أو توأمان . ويقلل من قيمة الفرق بينهما أنهما حركتان قصيرتان تتطلبان زمناً قصيراً في النطق بكل منهما ، مما قد يساعد على ضلالة الأثر السععي في تمييز الفرق بينهما .

ولذلك نطمئن كثيراً إلى رأى الخليل
ونرى أنه استلهم في هذا حمسه الموسيقى
المرهف .

فإذا كان من الضروري المناوبة بين
الحركات في القافية المقيدة^{٦٤} فليقتصر في
هذا على الضمة مع الكسرة ، وإن كان
التزام أحدهما أحسن وأجمل .

(ج) أما الرأى الثالث وهو المنسوب
لكراع فهو رأى عجيب غريب
لا يستند إلى طبيعة الأصوات
في شيء ، ولا يبرره ما روى فعلا من
الشعر ، ولذلك نؤثر أن نتجاهله إذ ليس
له أى سند علمى .

فلنطمئن إذن على موسيقى القافية
العربية ، ذلك لأن القافية المقيدة في الشعر
العربى قليلة أو نادرة ، والحكم على شعرنا
يجب أن يؤسس على الشائع منه وعلى
الكثرة الغالبة من حالاته ويتمثل هذا
في القافية المطلقة التى لا تكاد توجد
في الشعر الإنجليزى ، والتى يعتمد الروى
فيها على الحركة التى بعده ويتجاهل

الحركة التى قبله ، ولا هيب لذلك
أن يقول شوقي :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

لأن السمع في هذه القافية يتعلق بالروى
والصوت الذى بعده وهو الحركة . ولذلك
لم يتحدث علماء العروض عما يسمى
بسناد التوجيه إلا في القافية المقيدة .

أما ما يزعمه بعض أصحاب العروض
من وقوع تلك الظاهرة التى يسمونها
بالإقواء حين تختلف حركة الروى في
القافية المطلقة بين الضمة والكسرة ،
ويسمى بالإصراف حين يكون الاختلاف
بينهما وبين الفتحة ، فليس كل هذا في
الحقيقة إلا صناعة عروضية ، أو مؤسسا
على وهم منهم . فلا يعقل مطلقاً أن تقع
مخالفة في حركة الروى حتى بين المتشاعرين
المبتدئين . فالشاعر في القافية المطلقة يلتزم
حركة واحدة لا يحيد عنها أبداً ، ولكنها
في الأمثلة المروية مما يسمى بالإقواء أو
الإصراف قد حاد عن الحركة الإعرابية
التي يتطلبها الوضع الإعرابى ، وضحى بهذا
في نظير التزام حركة واحدة ،

أى كما يقضى النظام الشعرى وتقضى موسيقاه ، أو بتعبير آخر يمكن أن يقال إن الشاعر فى هذه الأمثلة أخطأ فى الإعراب ولم يخطئ فى موسيقى الشعر . وسواء كان هذا الخطأ الإعرابى كما يقول النحاة من الضرورة الشعرية أى يقع من الشاعر عن عمد وهو مدرك لهذا الانحراف الإعرابى مستغلا فى ذلك الضرورة الشعرية ، أو أن الشاعر وقد ملكت عليه الموسيقى عقله وقلبه لم يفتن إلى ما قد تتطلبه القاعدة الإعرابية ، أقول سواء هذا أو ذاك فالنتيجة واحدة وهى اتحاد حركة الروى فى كل أبيات القصيدة .

ومع قلة أو ندرة القافية المقيدة فى الشعر الجاهلى ، فلا أظن أن ما روى فيه من أمثلة هذه القافية يجاوز نسبة ٢ ٪ من مجموع الشعر الجاهلى ، ومع أن العروض العربى يصم اختلاف الحركة هنا ويعده من عيوب القافية ، لا يزال فى النفس شئ من تلك الأمثلة القليلة أو النادرة التى انحدرت إلينا ونسبت لشعراء جاهليين ! ! إذ نتساءل كيف يقع هذا فى شعرهم وهم الذين كانوا يعتمدون فى النظم على الآذان المرهفة ، ويحرصون

كل الحرص على كمال الموسيقى فى التقفية ؟ ! ومن واجبنا إزاء ذلك أن نلتمس مسوغاً معقولاً مقبولاً لورود تلك الأمثلة على قلتها أو ندرتها .

وليس من الضرورى هنا أن نشير إلى ما يقرره كثير من الدارسين من أن بعض الشعر الجاهلى قد وقع فيه الانتحال ، لأن كل ما يمكن أن يترتب على ذلك هو أن النسبة نقل ولا تنعدم ، ولا مفر من الاعتراف بصحة بعض المروى من هذه القافية ، وأننا لا نزال بحاجة إلى تفسير هذا الصحيح ، وإن كان من العسير فصله فصيلاً تاماً عن المنتحل .

وفى رأى المتواضع أن الشاعر الجاهلى برئ من هذا النوع فى القافية المقيدة ، أى لم يقع فى شعره ما يسمى بسناد التوجيه ، وأما ما ظنه المتأخرون تخالفاً فى حركة ما قبل الروى من القافية المقيدة فيشبه ما تصوره بعض العروضيين مما يسمى بالإقواء أو الإصراف ، وهو التخالف فى حركة الروى نفسه ، وقد أنكرنا آنفاً وقوع التخالف فى حركة الروى من القافية المطلقة ، وتبين لنا أن الشاعر حرص دائماً على حركة واحدة بعد الروى،

مضحياً في سبيل موسيقاه سواء عن عمد أو عن غير عمد، بما نقضى به قواعد الإعراب.

وكذلك الشأن مع القافية المقيدة نتصور أن الشاعر الجاهلي حرص دائماً على وحدة الحركة التي قبل الروى ، وأن رواة النصوص في عصر التدوين هم المسئولون وحدهم عن إبراز أمثلة التخالف التي نراها في دواوين الشعر الجاهلي ، لأنهم ربما اعتمدوا على رأى واحد في نطق الكلمة العربية ثبت لديهم أنه وحده الصحيح .

ولابد لنا هنا أن نفترض أحد فرضين:

١- بأن نقول كما قلنا في القافية المطلقة إن الشاعر قد ضحى بشيء من بنية الكلمة وأحدث فيها تغييراً طفيفاً اقتضته القافية وموسيقاها ، وهكذا نطق بالكلمة المضمومة الوسط مفتوحة أو مكسورة على حسب ما جاء في معظم أبيات القصيدة. فالذى لا شك فيه أن كل مثل من الأمثلة التي قيل إن التخالف في الحركات قد وقع فيها ، يعتمد في معظم الأبيات على حركة بعينها ، وأن قدراً ضئيلاً جداً من الأبيات جاء مخالفاً لهذه الحركة . ففى مثل من تلك الأمثلة المروية يلحظ بوضوح

أن معظم أبيات القصيدة التزمت فيه الفتحة ، ووقعت الضمة أو الكسرة في القليل أو النادر من أبياتها . وقد نجد في مثل آخر أن الضمة التزمت في معظم الأبيات قبل الروى ونجد معها الكسرة أو الفتحة في حالات قليلة أو نادرة .

٢- والفرض الثانى هو أن نقرر ونحن مطمئنون أن الشاعر في كل مثل من هذه الأمثلة المروية ، قد اتخذ حركة معينة ليؤسس عليها القصيدة ، وأنه أنشد جميع الأبيات بحركة واحدة قبل الروى ، مستلهماً في هذا حسه الموسيقى ومعتداً على نطق آخر للكلمة جائز أو سائد في لهجة قومه .

ولم يزعم أحد من اللغويين أن ما ورد في المعاجم التي بين أيدينا هو كل الوجوه الجائزة في ضبط الكلمات ، بل يكادون يجمعون على أن كثيراً من الوجوه الصحيحة في ضبط الكلمات العربية ، قد نددنا وافتقدناه فيما روى لنا .

وإذا سلمنا بصحة القول المشهور عن أبي عمرو بن العلاء (ما انتهى إليكم من كلام العرب إلا أقله ، ولو قد جاءكم كله

لجاءكم علم وأدب كثير) ، فلا شك أن
مما فقدناه بعض الوجوه الجائزة في ضبط
الكلمة العربية .

ليس من الإسراف إذن أن ندعو
الدارسين للشعر الجاهلي إلى إنشاد تلك
الأمثلة المروية من القافية المقيدة بحركة
واحدة أى قبل الروى ، وإلى أن ينزهوا
هذا الشعر عن ذلك العيب الموسيقى

أما ما جاء في شعر المحدثين والمولدين
مما يشبه تلك الأمثلة المنسوبة للجاهليين
فليس في الحقيقة إلا نوعاً من التقليد
على توهم أن ما جاز للقدمات أصحاب اللغة
يجوز من باب أولى للمحدثين أو المولدين .
أى أن الشعراء المحدثين والمولدين لم
يستلهموا في هذا قريحتهم الشعرية وحدها ،
بل اعتمدوا أيضاً على المروى من شعر
نسب للقدمات فقلدوه وحذوا حذوه .
ولو قد استلهموا قريحتهم الشعرية وحدها
واحتكموا إلى آذانهم المرهفة ما وقع في
شعرهم هذا التخالف في حركة القافية
المقيدة ، ولكانوا كابن الرومى الذى التزم
في كل شعره حركة بعينها اعتمدت
عليها قصائده التى من القافية المقيدة ،
فلا يكاد يشذ عن هذا ، فلم نعثر في

(١) ص ٣١٠

(٢) ص ٣٢٣

ديوانه على مثل واحد فيه تختلف الحركة
قبل الروى من القافية المقيدة .

وكنا نتوقع أن تسترعى هذه الظاهرة
الموسيقية في شعر ابن الرومى انتباه أستاذنا
العقاد رحمه الله في كتابه المشهور عن
ابن الرومى ، غير أننا لم نجد في كتابه
سوى بضعة سطور في فصل من الكتاب
بعنوان (صناعة ابن الرومى) فيها يقول
العقاد ^(١) (كان ابن الرومى يركب
القوافى الصعبة ويتعمد رياضة الحروف
العصية فيذل له أعصاها ، حتى الثاء والخاء
والذال والزاي والظاء والغين والهاء ،
وغيرها من الحروف المتروكة في الروى
الناقصة في شعر أقدر الشعراء . . .)
ثم يقول في موضع آخر من نفس الفصل ^(٢)
(نقول إن ابن الرومى كان من أقل الشعراء
تجوزاً في عروضه وأكثرهم حرصاً على
أوزانه) ، ثم يدافع عن ابن الرومى في
بيتين روياء عنه وهما :

أبا عثمان أنت قريع قومك

وجودك للعشيرة دون لومك

تمتع من أخيك فما أراه

يراك ولا تراه بعد يومك

ذلك لأن أبا العلاء المعري في رسالة
الغفران قد عاب على هذين البيتين أن
القافية فيهما مقيدة وأن هذا الوزن (يعنى
الوافر) لم يجيء عن الفصحاء مقيدا إلا
حين يكون في القافية ألف التأسيس .
ولكن الأستاذ العقاد يرى ونحن معه أنه
لا عيب في موسيقى البيتين ، مخالفًا بهذا
الرأى ، رأى أبي العلاء .

ويعتد ابن الروى من هذه الناحية فريدا
بين الشعراء القدماء منهم والمحدثين ،
فقد تخيرنا من بين أعظم شعراء العربية
« البحتري » وهو الذى تروى في شأنه
كتب الأدب أنه - في رأى المتنبي وقيل
في رأى أبي العلاء - حين سأل سائل عن
شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي فكان
الجواب المشهور في كتب النقد الأدبي
« أبو تمام والمتنبي حكيمان والشاعر
البحتري » ! !

ولسنا ندعى القطع أو الجزم في فحوى
هذه القولة المشهورة ، فقد تكون الموازنة
هنا مقصورة على الصور والأخيلة والأغراض
والموضوعات . على أننا مع هذا نفترض
أن وصف البحتري بأنه الشاعر يتضمن

أيضاً عنايته بموسيقى الشعر . وعلى
أساس هذا الفرض نظرنا في ديوانه لنتبين
موقفه من القافية المقيدة التى سبق رويها
بحركة فلم نجده يختلف عن الشعراء
الآخرين فى شئ ، فنسبة القوافى المقيدة
فى ديوانه فى حدود ٣٠٪ والكثرة الغالبة
منها من النوع الذى سبق فيه الروى
بحركة مثل قوله :

(ا) من أى ثغر تبتسم
وبأى طرف تحتكم (مجزوء الكامل)

(ب) مخلف فى الذى وعد
سيل وصلا فلم يجذ (خفيف)

(ج) قلت للائم فى الحب أفق
لا تهون طعم شئ لم تذق (الرمل)

*

نكتفى بهذا القدر فى القافية المقيدة
حين يكون قبل الروى حركة ، وننتقل
إلى تلك التى يكون قبل رويها حرف مد .
وهنا نشهد فى الشعر الإنجليزى ما يشبهها
فالكلمات الإنجليزية cat ، flat ، mat ،
sat تنسجم موسيقاها حين تقع فى القافية
الإنجليزية . ويشبه هذا فى القافية العربية

وقوع ألف المد قبل روى القافية المقيدة
مثل قول البحتري :

إن رَقَّ لى قلبك مما ألاقُ
من فرط تعذيب وطول اشتياقُ

وجُدتِ بالوصل على مغرم
فزوديني منك قبل انطلاقُ

* *

وهنا نرى كل شعراء العربية ، قديمهم
وحديثهم ، قد التزموا هذه الألف ولم يشذوا
عنها مطلقاً ، لأنها أوضح حروف المد فى
السمع ، وأن أى انحراف عنها تدركه
الأذن حتى غير المدربة أو الموهبة . ولذلك
لم تختلف القافية الإنجليزية عن العربية
فى هذا النوع .

أما الذى اختلفت فيه القافية الإنجليزية
عن العربية فهو حين يكون حرف المد قبل
روى القافية المقيدة واو مد أو ياء مد .
ففى هذه الحالة نجد أن القافية الإنجليزية
تلتزم إحداها ولا تسمح بأن يتناوبا فى
قوافى القصيدة الواحدة :

فالكلمات الإنجليزية, intrude, conclude
orude ينسجم بعضها مع بعض فى
القافية الإنجليزية . والكلمات الإنجليزية

creed, breed, lead ينسجم بعضها مع
بعض . ولا تسمح القافية الإنجليزية بأن
يقع فيها مثلاً mood مع lead ، فى حين
أن القافية العربية ، تسمح بواو المد مع ياء
المد ، وهذه هى الظاهرة التى أزعجتنا حقاً .
فلذا كنا قد تجاوزنا عن اختلاف فى الحركة
قبل روى القافية المقيدة لصغر هذه الحركة
وسرعة النطق بها وقصر زمنها فلا تكاد
تشعر بها الأذن ، فكيف يتأتى هذا مع
واو المد وياء المد ، مع طول زمن النطق
بهما ووضوحهما فى السمع وضوحاً كبيراً ؟!

وهنا ننوه بابن الرومى مرة ثانية لأنه
لم يقع فى شعره شئ من هذا لا فى القافية
المقيدة وحدها ، بل حتى المطلقة . ففى
قصيدة له عنوانها « وحيد المغنية » وعدتها
٥٧ بيتاً ومطلعها :

يا خليلي تيمتني وحيدُ
ففؤادى بها معنئ عديدُ
غادة زانها من الغصن قدُ
ومن الظبي مقلتان وجيدُ

* * *

ففى هذه القصيدة وبرغم قافيتها المطلقة
قد التزم ابن الرومى ياء المد فى كل

الأبيات وهو ما يشبه لزوم ما لا يلزم .
ذلك لأنه في القافية المطلقة نلاحظ بعد
الروى حركة تستطيل عند الإنشاد
وهي التي يعتمد عليها الروى وتعلق الأذن
بها متجاهلة ما قد يكون قبل الروى إلى
حد ما ، ولذلك جاز في القافية المطلقة
وقوع واو المد مع ياء المد قبل الروى لما
بينهما من تشابه صوتي كما أشرنا آنفاً
مع الضمة والكسرة . ويرى معظم العروضيين
جواز تناوب واو المد مع ياء المد قبل روى
القافية المطلقة . ومع هذا يقول الصبان
ما نصه (إنه يجوز من غير قببح وقوع
الواو ردفاً في بعض أبيات القصيدة
الواحدة والياء في بعضها الآخر ، وإن
كان الاتماع أحسن) . فهذا هو عالم
كثير من علماء العروض يرى أن التزام
واو المد أو ياء المد أحسن من التناوب
بينهما حتى مع القافية المطلقة ، أى على
نحو ما التزم به ابن الرومى في شعره .

أما جواز وقوع التناوب بين واو المد
وياء المد في القافية المقيدة فأمر عجيب
حقاً ، ولا ندرى كيف سمح به
الشعر العربى ؟ بل أشنع من هذا أن

هذه الظاهرة قد كثرت نسبياً بين المولدين
والمحدثين . فيقول مهيار الديلمى :

ردوا لها أيامها بالغميم
إن كان من بعد شقاء نعيم
قلوبهم رق لأهل الحمى
حيث النواصى حرة والجسوم

* *

ويقول العقاد تحت عنوان « حسناء
عمياء » :

قرة العين عزاء
لك فى الكون المنير
إن طرفاً يأسر النا
س هو الآن أسير

صدت الشمس ضياها
عذك يا أخت البدور
وجاء فى قصيدة شوقى على قبر
نابليون وهى القصيدة المؤسسة على ياء
المد والتي مطلعها :

قف على كنز بباريس دفين
من فريد للمعاني وثمانين

عدة أبيات فيها واو المد قبل روى
القافية المقيدة

ولكن يبدو أن شوق حين استلهم
قريحته الشعرية وحدها التزم ياء المد
في كل قصيدته لأُم المحسنين ومطلعها :
ارفعى الستر وحيى بالجبين
وأرينا فلق الصبح المبين
وقفى الهودج فينا ساعة
نقتبس من نور أم المحسنين

* * *

وبصدد هذه الظاهرة نجد أن أبا العلاء
المعري وهو الشاعر المكفوف الذي يعتمد
على أذنه الموسيقية المرفهة وحدها يقول
في مقدمة ديوانه « لزوم ما لا يلزم » مانصبه :
« ولم يفرقوا بين المقيد والمطلق في مجيء
الواو المضحوم ما قبلها مع الياء المكسور
ما قبلها ... » إلى أن يقول : « وأنا أفرق
بين المطلق والمقيد وأعده في المقيد أشد ،
لأن الروى لا يكون بعده ما يعتمد عليه ،
أما في المقيد فهذا عندي أقبح منه إذا
استعمل في الشعر المطلق » !

ونحن إذا أخذنا أفعل التفضيل في
في الكلمة « أقبح » على بابه ، كان معنى
كلام أبي العلاء أن تناوب واو المد وياء
المد في قوافي القصيدة الواحدة قبيح سواء
كانت القافية مطلقة أو مقيدة ، غير أنه

أقبح مع المقيدة ، وهذه هي التي تشبه
القافية الإنجليزية .

ويعزينا عن هذا الذي استنكره أبو العلاء
وعده أقبح أن أمثله في كل الشعر العربي
قديم وحديثه لا تكاد تتجاوز نسبة ١/٣ .

ولا شك أن تناوب واو المد وياء المد
في القافية المقيدة ظاهرة قبيحة من حيث
الموسيقى الشعرية ، ولذلك يابأها الشعر
الإنجليزى كل الإباء .

وكنا نتوقع ألا ترد لها أمثلة في الشعر
الجاهلي ذلك الذي نظمته آذان مرهفة ،
وحرص أصحابه على موسيقيته كل الحرص
غير أننا عثرنا على عدة أمثلة من قطع
شعرية صغيرة نسبت في ديوان الحماسة
والمفضليات والأصمعيات لشعراء جاهليين .

مثل المقطوعات الآتية :

(١) لامرئ القيس :

وجاملي نخوع من نيبه

زجرُ المَعلى أصلا والمنيع

وهي من بحر السريع ، وورد فيها واو
المد أيضاً .

وهى من السريع، وورد فيها «الوسوق»،
«بالمطيق»، «الحقوق»

(ز) للخرنق أخت طرفة :

يارب غيث قد قرى عازب
أجش أحوى فى جمادى مطير

وهى من السريع، وورد فيها «عشور»
«القرور»، «بالبشير» .

(ح) للمرقش الأصغر :

الزق مُلك لمن كان له
والمُلك منه طويل وقصير

وهى من مجزوء البسيط (مستفعلات) ،
وورد فيها « صبور » .

فكيف نفسر وقوع هذا القدر الضئيل
جدا فى شعر الجاهليين ؟

كان من رأي دائما أن المحدثين أكثر
تساهلا ، أو إن شئت قلت أكثر جرأة
على موسيقى الشعر العربى من القدماء .
ولعل فيما يسمى فى الوقت الحالى بالشعر
الحر أكبر دليل على هذا الاتجاه وقد
عشرت أخيرا على نص لأبى العلاء يؤكد
لى هذا الرأى ، إذ يقرر فى مقدمة ديوانه
لزوم مالا يلازم أن القدماء كانوا أكثر
عناية بموسيقى الشعر من المحدثين الذين
أباحوا فيه بعض الرخص ، ثم يوازن بين

(ب) للمرقش الأصغر :

لابنة عجلان بالجو رسوم
لم يتعفين والعهد قديم
وهى من مجزوء البسيط .

(ج) لثعلبة بن عمرو :

أأسماء لِمَ تسألى عن أبيك
والقوم قد كان فيهم خطوب
وهى من المتقارب، وورد فيها ياء المد
أيضاً .

(د) للخنساء :

دلّ على معروفه وجهه
بورك هذا هاديا من دليل
وهى من السريع، وورد فيها «مايحول»
« الشليل » .

(هـ) لامرئ القيس :

أبلغ بنى أود فقد أحسنوا
أمس بضرب الهام تحت القنوش
وهى من السريع، وورد فيها «جلوس» ،
« القليدس » ، « النفيس » .

(و) للمهلل :

جارت بنو بكر ولم يعدلوا
والمرء قد يعرف قصد الطريق

شعر لأبي تمام نظم على نسق قصيدة
الشنفرى الأزدي التى مطلعها :

أرى أم عمرو أزمعت فاستقلت

وما ودعت جيرانها إذ تولت

وقصيدة الأعشى :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتى

وراكبها يوم اللقاء وقلت

ثم يقول أبو العلاء إن أبا تمام - وهو
فى رأى أبى العلاء من المحدثين - لم يلتزم
شيئاً قبل التاء .

ونحن مع موافقتنا لقول أبى العلاء
نلاحظ أن الشنفرى لم ياتزم اللام قبل
التاء فى كل قصيدته التى عدتها ٣٦ بيتاً ،
بل وقع فيها ما يقرب من نصفها خلوا
من اللام قبل التاء . وكان أولى بأبى العلاء
أن يمثل مع قصيدة الأعشى بقصيدة كثير
عزة التى مطلعها :

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا

قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وما أظن أن أبا العلاء يريد أن قصيدة

أبى تمام لم يقع قبل التاء فيها
ولا لام واحدة ، فالحقيقة أن عدد هذه
القصيدة ٤٤ بيتاً ووقعت اللام قبل التاء

فى ١٤ بيتاً منها ، ومطلع هذه القصيدة : هو

نسائلها أى المواطن حلت

وأى ديار أوطنتها وأيت ؟

* *

وفى تفسيرنا لتلك الأمثلة الضئيلة
القدر التى وردت فى الشعر الجاهلى من
القافية المقيدة وتناوبت فيها واو المد
مع ياء المد ، نلاحظ أنها مقطوعات قصيرة
وأن كلا منها يتألف من عدد من الأبيات
لا يجاوز أصابع اليدين عدا ، وأن معظمها
من بحر واحد هو السريع (خمس من
القطع الثمانية) ، واثنان من مجزوء
البسيط وواحدة من المتقارب ! !

وهنا يخامرنا شك فى صحة هذه الأمثلة
ونؤثر أن نعتها مما انتحل فى العصور
الإسلامية ، ونسب للجاهليين . وما أظننا
الآن نتردد فى قبول تلك القضية التى
نادى بها بعض الدارسين قديماً وحديثاً
من أن بعض ما روى من الشعر الجاهلى
منتحل . وبهذا ننزه شعر القدماء الذى
نظم بالسليقة ومع الرعاية التامة لحسن
الموسيقى عن أن يكون أدنى مرتبة من الشعر
الإنجائزى فى العناية بموسيقى القافية .

ابراهيم انيس

عضوالمجمع

تخريج نصوص أرسططالية

في كتاب الحيوان للجاحظ

للدكتور محمد طه الحاجري

الجليل^١ عبد السلام هارون . وما كان النص الصحيح ليأخذ مكانه لولا هذه الوسيلة ، ومنها أنها رجحت بعض القراءات على بعض ، فوضعت القراءة المرجوحة مكان القراءة الراجعة . ومنها ، فوق ذلك ، أنها ألقت بعض الضوء على قراءات النص اليوناني واحتمالاته المختلفة ، كما أثبتتها المترجم في هوامش ترجمته ، ولعلها بذلك يمكن أن ترجح بعضها على بعض .

وكنت نشرت من هذه النصوص طائفة تبلغ الثلاثين ، في مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية^(١) ، ثم صرفتني بعض الصوارف عن نشر سائرها ، ثم توالى بعض الشواغل التي صرفتني عنها ، حتى كدت أنساها ، إلى أن فرضت على طبيعة الحياة إلى التفت إلى الوراء أراجع

عهد غير قريب كنت أخذت - استكمالا للدرس الجاحظ ، وتحقيقا لمصادر معرفته - أتقصي نقوله عن صاحب المنطق ، في كتاب الحيوان خاصة ، وأحاول أن أعرف مواضع هذه النقول في كتب أرسطو ، وأوردها عنها ، كما جاءت في ترجمة سانتيلير لها . وقد أتيج لي من ذلك قدر صالح ، منها ما جاء مصدرا بعبارة الجاحظ : « قال صاحب المنطق » ، ومنها ما جاء غفلا من ذلك ، لسقط أو اضطراب أو ما إليه . وأخذت في وضع نص حيوان الجاحظ بإزاء نظيره في كلام أرسطو ، متخذاً ذلك أساسا للمقارنة بينهما . وقد أتاحت هذه المقارنة أشياء لها خطرهما ، منها أنها صححت بعض الأخطاء التي وقعت في النشرة المحققة التي أخرجها الأستاذ

(١) المجلدان السادس والسابع (١٩٥٢ - ١٩٥٣) والمجلد الثامن (ديسمبر ١٩٥٤) .

ماضى ، فاذا هذه الدراسة بين يدي ،
تدعوني اليها ، لتأخذ في الحياة العلمية
مكانها .

وانى إذ أستأنف اليوم نشر هذه
النصوص أتقدم بصادق الشكر لمجلة
مجمع اللغة العربية أن أتاحت لي ولها هذه
الفرصة .

٣١- قال الجاحظ : « قال : ويستبين
خلق الفراخ إذا مضت لها ثلاثة أيام
بليايلها ، وذلك في شباب الدجاج ،
وأما في المسان منها فهو أكثر . وفي ذلك
الوقت توجد الصفرة من الناحية العليا
من البيضة ، عند الطرف المحدد ،
وحيث يكون أول نقرها ، فثم يستبين
في بياض البيضة مثل نقطة من دم ،
وهي تختلج^٦ وتتحرك . والفرخ انما يخلق
من البياض ، ويغتنى الصفرة ، ويتم
خلقه لعشرة أيام ، والرأس وحده يكون
أكبر من سائر البدن^{١١} »

ويقع هذا النص من حيوان الجاحظ
في سياق القول في الحمام . وقد أسند
بعض القول فيه إلى من يطلق عليه اسم

« صاحب الحمام » ، وإلى « مثنى بن
زهير » . كما استطرده فيه من الحديث
عن بيض الحمام إلى الحديث عن بيض
الدجاج ، دون أن يرد ذكر « صاحب
المنطق » في شيء من ذلك ، مع أن المقارنة
دلت على أن من الأقوال التي أوردها ماهو
مأخوذ عن أرسطو ، كما نرى ذلك في
النصوص السبعة السابقة^(٢) على هذا
النص الذي تتصدره أيضا كلمة : « قال »
مرسلة دون تعيين صاحب القول ، وهو
صاحب المنطق ، الذي تقع هذه الجملة
من كلامه في أعقاب النص السابق ،
في أول الفصل الثالث من الكتاب
السادس ، وفي أثنايه ، بعد مقدمة في
أن جميع الطير يتولد من البيض ،
في مدة تختلف باختلاف أنواعه . وذلك
إذ يقول :

« وفي الدجاج يكفى ثلاثة أيام وثلاث
ليال ليبدأ الفرخ في الاستبانة ، فأما
الطيور الكبرى فيلزمها أكثر من ذلك ،
كما يلزم الصغرى أقل . وفي تلك الفترة
تصعد الصفرة شيئا فشيئا إلى أعلى

(١) ٣ : ١٧٧ - ١٧٨

(٢) انظر مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد الثامن ، ص ٨٢ - ٩٠

البيضة ، وهو طرفها المحدد ، حيث مبدأ
البيضة ، وحيث تنكسر . وفي البياض
يوجد شئ كنقطة من دم ، وهى القلب .
وهذه النقطة تخفق وتضطرب ، لأنها حية »

وبعد أن يتكلم فى شئ من التفصيل
عن خلق الفرخ ، يقول : « ويخرج
الفرخ من البياض ، وغداؤه من الصفرة
من خلال السرة ، وفى عشرة أيام يتم خلق
الفرخ ، ويتميز تماما بأعضائه التى يتكون
منها جميعها ، ولا يزال رأسه أكبر من
سائر جسده ^(١) »

وبين النصين من الخلاف ما يرجع إلى
اختلاف الفهم ، كما فى عبارة النص
الجاحظى : « وذلك فى شباب الدجاج ،
وأما فى المسان منها فهو أكثر » ، وليس
الأمر فى النص الآخر خاصا بالدجاج ،
ولمّا هو فى الطير عامة . كما أن من
الخلاف ما يرجع إلى النساخ وتصرفهم
فى النص ، كما فى قوله : « فثم يستبين فى
بياض البيضة مثل نقطة من دم » ،
فهناك نسخة أخرى من الحيوان لم يرض
الناشر قراءتها فى هذا الموضع فلم يأخذ

بها ، تجعل الكلام فى هذه الجملة عن
القلب : « والقلب يستبين فى بياض
البيضة مثل نقطة من دم ، وبذلك تتفق
تماما مع النص الآخر .

على أنه - إلى جانب ما فى النصين من
خلاف - يوجد شئ من الاتفاق الدقيق
فى بعض المواضع . فالتعبير عن النقطة
الدموية بأنها تختلج وتحرك يبدو لأول
وهلة كأنه شئ من الفضول أن يورد
الفاعلان معا فى النص الجاحظى ، ومعناهما
واحد . ولكننا نجد الأمر كذلك فى
الترجمة الفرنسية : "Ce point bat et
s'agite" ، كما نجد مثل ذلك فى
ترجمة دارسى ونتورث طومسون الانجليزية
ويصرح سانتليير فى التعليق على هذا الموضع
أن الكلمتين موجودتان فى النص اليونانى .
فليس الأمر إذن فى مثل أمر شرح أو
فضول أو تزييد فى التعبير ، وإنما هو أمر
دقة وتحرف للحرفية .

٣٢- قال الجاحظ : « وقال صاحب
المنطق : وقد باضت فيما مضى دجاجة
ثمانى عشرة بيضة ، لكل بيضة محتان ،

(١) v. II, p. 268-270

ثم سخنت وحضنت ، فخرج من كل بيضة فروجان ، ماخلا البيض الذى كان فاسدا فى الأصل . وقد يخرج من البيضة فروجان ، ويكون أحدهما أعظم جثة ^(١) ونظير هذا النص عند أرسطو يقع فى آخر الفصل الثالث من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان . وذلك إذ يقول ، بعد أن ذكر أنه قد شوهد من الدجاج مالا يبيض إلا بيضا مزدوجا ، أى له محتان :

«وقد باضت دجاجة ثمانى عشرة بيضة ، وخرج من كل بيضة فروجان ، ماعدا بيض الذنب أو بيض البول les oeufs de queue ou d'urine أما الباقي فكان جميعه مخصبا . وإذا كان أحد الفرخين أكبر جثة جاء الآخر أصغر ، ويكون الفرخ الأخير مشوها ^(٢)»

ولعل أول مايلفت النظر فى هذا النص هو عبارة « بيض الذنب أو بيض البول » التى يقابلها فى النص الجاحظى الذى كان فاسدا فى الأصل ، فالترجمة الفرنسية تبدو غامضة غير مفهومة ، ومن هنا لانتظر لنا العلاقة بينها وبين الترجمة العربية .

على أن مما يجدر ذكره هنا مما جاء فى تعليقات سانتيلير ، مما قد يكون له دلالة ، أن هذا النص قد عانى فى غير موضع منه غموضا واضطرابا دعيا إلى إدخال بعض التصحيحات عليه ، كما فعل جسنر ^{gessner} . كما حملا سانتيلير على التردد فى ترجمة بعض الكلمات ، وهى : أحد الفرخين ، أو أحد الصفرتين .

ويتصل بالنص العربى هذه الفقرة ، كأنها تكملة له : «وكذلك الحمام . وما أقل ما يغادر الحمام أن يكون أحد الفرخين ذكراً والآخر أنثى» ، ولانظير لها عند أرسطو ، فهل سقطت من كلامه ، أم هى من كلام الجاحظ وصلها بكلام أرسطو ؟

٣٣- قال الجاحظ : «قال : وربما باضت الحمامة وأشباهها من الفواخت ثلاث بيضات ، فاما الاطرغلات والفواخت فانها تببيض بيضين ، وربما باضت ثلاث بيضات ، ولكن لا يخرج منها أكثر من فرخين ، وربما كان واحدا فقط . قال : وبعض الطير لا يبيض الا بعد

(٢) v. II, p. 276-277

(١) ١٧٨ : ٣

مرور الحول عليه كملا. والحمامة في
إكثر أمرها يكون أحد فرخيها
ذكرا والآخر أنثى ، وهى تبيض أولا
البيضة التى فيها الذكر ، ثم تقيم يوما
وليلة ، ثم تبيض الأخرى . وتمضى
ما بين السبعة عشر يوما إلى العشرين ،
على قدر اختلاف طباع الزمان والذى
يعرض لها من العلل . والحمامة أبر بالبيض
والحمام أبر بالفراخ^(١) »

وهذا النص يقع ، منشورا ، فى الفصل
الرابع من الكتاب السادس ، من تاريخ
الحيوان لأرسطو . ولا أدري أكذلك كان
بوصفه هذا فى الأصل الذى نقل الجاحظ
عنه ، أم أن الجاحظ كان يتخير :
يأخذ جملة من هنا وجملة من هنا ،
أم أن مانقله أبو عثمان قد عرض له من
البتير ما جعله على هذه الصورة ؟

ومهما يكن من أمر فما هو ذا ما يقابل
هذا النص فى ذلك الموضع من كتاب
أرسطو :

« وجميع الطير من جنس الحمام
كالقواخت le ramier

والاطرغلات la tourterelle تبيض
عادة بيضتين ، وأكثر ما يمكن أن تبيض
الاطرغلات والقواخت ثلاث ... ولكنها
لا تربى أكثر من فرخين ، بل لا تربى أكثر
من فرخ واحد فى بعض الأحيان
ومعظم الطير لا يبيض فى عامه الأول ...
والحمام يبيض عادة ذكرا وأنثى ، وتكون
بيضة الذكر غالبا قبل الأخرى ، وبعد
تستريح فترة يوم ، ثم تبيض الأخرى ...
وتبلغ البيضة التى بيضت أولا نضجها
ثم تفقس فى عشرين يوما والأنثى
أسوأ من الذكر خلقا أثناء تربيتها
بصغارها^(٢) »

وبين النصين بعض الخلافات الطفيفة
التي لا نريد أن نقف عندها ، التماسا
لتعليقها ، كتأيد مدة الحضانة فى النص
الأرسطالى بعشرين ، وتفاوتها بين
العشرين والسبعة عشر فى النص الجاحظى
وكالخلاف فى التعبير عن موقف أنثى
الحمام وذكرها من الفراخ ، فالأول
يكتفى بالقول بأن الأنثى أسوأ خلقا من
الذكر أثناء تربيتها لصغارها ، فى حين
يأخذ الآخر بمفهوم ذلك ، فيجعل الأمر

قسمة بين الذكر والأنثى ، فالذكر أبرّ
بالفراخ ، والأنثى أبرّ بالبيض

٣٤- قال الجاحظ : « قال : وأما
جميع أجناس الطير مما يأكل اللحم ، فلم
يظهر لنا أنه يبيض ويفرخ أكثر من مرة
واحدة ، ما خلا الخطاف فإنه يبيض
مرتين^(١) »

ويقع هذا النص عند أرسطو في الفصل
الخامس من الكتاب السادس ، من تاريخ
الحيوان ، حيث عقد الكلام عن العقاب .
قال :

« والطيور الأخرى آكلة اللحم لا تبيض
أكثر من مرة واحدة في العام ، قد رما
يمكن أن يرى . والخطاف *l'hirondelle*
وحده بين آكلة اللحم هو الذى يبيض
بيضتين في السنة^(٢) »

والنصان يتفقان ، كما نرى ،
اتفاقا تاما ، فليس لنا غير ذلك من
تعليق عليهما .

٣٥- قال الجاحظ : « وقالوا :
وأما الفرخ الذى يخرج العقاب ، فإن

المكلفة ، وهى طائر يقال لها كاسر العظام ،
تقبله وترببه . والعقاب تحضن ثلاثين
يوما ، وكذلك كل طائر عظيم ، مثل
الأوز وأشباه ذلك . فأما الوسط فهو
يحضن عشرين يوما ، مثل الحداة ،
ومثل أصناف البزاة ، كالبواشق واليآيء
والحداة تببيض بيضتين ، وربما باضت
ثلاث بيضات ، وخرج منهن ثلاثة أفراخ .
قالوا : وأما العقبان السود اللوان فإنها
تربى وتحضن . وجميع الطير المعقف
المخالب تطرد فراخها من أعشاشها عند
قوتها على الطيران ، وكذلك سائر
الأصناف من الطير ، فإنها تطرد الفراخ
ثم لا تعرفها ، ماعدا الغداف ، فإنها
لاتزال لولدها قابلة ، ولحاله متفقدة^(٣) »
وهذا النص أرسططالى خالص صريح ،
وان صدر بكلمة : « وقالوا » فإنما
حقها أن تكون : « وقال صاحب المنطق ،
كما يبدو من مقارنته بهذا النص من
تاريخ الحيوان ، في الفصل الخامس من
الكتاب السادس . قال :

« والنسر (*l'effraie*) يقبل
(*resçoit*) فرخ العقاب الذى

(٢) v. II, p. 281

(١) ١٧٩ : ٣

(٢) ١٨٠ : ٣ - ١٨١

الذى طرد ويغذوه . والعقاب يحضن ثلاثين يوما تقريبا ، وهذه هي مدة الحضانة عند الطيور العظام ، مثل الأوز والحبارى (l' outorde) ، وأما الطير المتوسطة الجثة فقل أن تحضن غير عشرين يوما ، مثل الحداة والبارى . والحداة لاتبيض فى أغلب الأحوال غير بيضتين ، ومع ذلك فى بعض الأحيان يبلغ صغارها ثلاثة ... والعقبان السود ، على العكس من ذلك ، تغذو صغارها باهتمام كبير . ومهما يكن من أمر ، فانه يمكن القول بأن جميع الطيور ذوات المخالب المعقوفة تطرد صغارها وتضربها منذ تصبح قادرة على الطيران . ونكرر القول بأن جميع الطير الأخرى شأنها ذلك تقريبا ، أو على الأقل لاتولى صغارها أدنى عناية بعد أن تغذوها بعض الوقت . ويجب أن نستثنى من ذلك الغداف الذى لايزال معينا بها زمنا ، وحين تطير يغذوها ويطير بجانبها^(١)

وهكذا نرى أن النص العربى يساير النص الآخر مسaire دقيقة ، الا فى أشياء

لا وزن لها ، كوضعه عبارة « وما أشبه ذلك » موضع كلمة « الحبارى » ، وكالتمثيل لأصناف البزاة بالبواشق واليآىء ، ولانظير لهما فى نص أرسطو الذى ترجمه سانتيلير . على أن احدى مخطوطات الحيوان قد أغفلتهما . فاذا نحن لم نقف عند حد النسخة التى اعتمدها ناشر الحيوان فى هذا الموضع ، واعتبرنا تلك النسخة الأخرى ، وهى مخطوطة كبريلى ، أمثل النسخ وأجدرها بالثقة ، فان الاتفاق بين النصين يكاد يكون تاما . وقد أشرنا فى موضع سابق إلى أن هذه المخطوطة وضعت فى هذا النص ، فى موضع كلمة « كاسر العظام » كلمة « فينا » ، وهى بعينها الكلمة اليونانية Phóné المستعملة فى هذا الموضع^(٢)

٣٦- قال الجاحظ : « (قال : وقالوا : فراخ البزاة سميئة طيبة جدا) . وأما الأوزة فانها التى تحضن دون الذكر ، وأما الغربان فعلى الاناث الحضن ، والذكورة تأتى الاناث بالطعمة ، وأما الحجل ، فان الزوج منها يهيشان للبيض

(١) v. II, p. 283-284

(٢) انظر مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد السادس والسابع ، ص ٢٠ - ٢١ .

عشرين وثيقين مقسومين عليهما ، فيحضن أحدهما الذكر ، والآخر الأنثى ، وكذلك هما في التربية . وكل واحد منهما يعيش خمسا وعشرين سنة . ولا تلقح الأنثى بالبيض ، ولا يلحق الذكر إلا بعد ثلاث سنين^(١) »

وهذا النص - كما نرى - مضطرب في مبدئه وفي آخره . وإنما أوردناه بصورته هذه ليكون مقالا لما عناه كتاب الحيوان من اضطراب ومادخله من خلط . فصدر هذا النص ناب في موضعه ، منقطع الصلة بما قبله وما بعده . وظاهران عبارة : « وقالوا فراخ البزاة سمينه طيبة جدا » مقحمة في غير موضعها ، وأكبر الظن أنها كانت مما جرى به قلم أحد القراء على هامش إحدى النسخ ، عند الكلام على البزاة وحضنها ، فجاء بعد ذلك أحد النساخ فأدخلها في هذا الموضع . وكذلك الأمر في آخر هذا النص ، ففيه من الخلط ما نستطيع أن نتبينه من المقارنة بينه وبين نظيره في كلام أرسطو ، كما جاء في الفصل الثامن من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان . قال :

« وإناث الأوز هي التي تحضن وحدها ... وإناث الغربان هي التي عليها وحدها أن تحضن ، فلاتدع أن تكون على البيض لحظة واحدة ، والذكورة تحمل إليها ما تطعمه ... والحجلان تكوم بيضها كومتين ، فتقوم الأنثى على أحدهما ، ويقوم الذكر على الأخرى . وبعض الفقس يربي كل منهما ما حضنه خاصة^(٢) »

ثم يتحدث بعد ذلك قليلا عن سفاد الحجل ، وبهذا ينتهي الفصل الخاص به ، ليبدأ فصل جديد عن الطاووس ، دون أن نرى أثرا لهذه الجملة التي جاءت في آخر النص العربي ، « وكل منهما يعيش خمسا وعشرين سنة .. الخ » ولكننا سنجدنا في الفصل التالي ، عن الطاووس ، وقد اقتبس منه الجاحظ ، عقب كلامه عن الحجل مباشرة .

٣٧- قال الجاحظ : « قال : وأما الطاووس فأول ما تبيض فانها تبيض ثمان بيضات ، وتبيض أيضا بيض الريح . والطاووس يلتقى ريشه في زمن الخريف ، إذا بدأ أول ورق الشجر يسقط . وإذا

(٢) v. II. p. 287-288

(١) ٣ : ١٨٢ - ١٨٣

بدأ الشجر يكتسى ورقا ، بدأ الطاووس
فاكتسى ريشا^(١) »

ويقع هذا القول - كما قلنا في الفقرة
السابقة - في الفصل التالي ، وهو الفصل
التاسع من الكتاب السادس . ويبدأ هذا
الفصل بالكلام عن مدة حياة الطاووس ،
فيقول : « الطاووس يعيش إلى خمس
وعشرين سنة تقريبا ، ويلقح ، عامة ،
في الثالثة من عمره » . ثم يقول :

« وأنثى الطاووس التي تبيض للمرة
الأولى قلما تبيض غير ثمان بيضات ،
وتبيض أيضا بيضا رائقا (Oeufs-clairs)
. . . ويلقى الطاووس ريشه مع
سقوط أول أوراق الشجر التي تسقط ،
ثم يأخذ في استرداد ريشه حين تسترد
الأشجار أيضا خضرتها^(٢) »

ومن هذا نرى أن العبارة التي جعلت في
آخر الكلام عن الحجل في النص العربي ،
إنما هي من جملة الكلام عن الطاووس ،
أخطأت موضعها وزحلت عنه ، فأدمجت
فيها قبلها ، ووهب عمر الطاووس ، وهو

خمس وعشرون عاما للحجل ، وقد قال
أرسطو في موضع آخر أنه ستة عشر عاما
أو فوقها^(٣)

أما وضع كلمة بيض الريح في النص
الجاحظي للتعبير عن البيض الرائق ،
فقد عرضنا له في موضع له سابق^(٤) .

٣٨- قال الجاحظ : « قال : وما كان
من الطير الثقيل الجثة فليس يهيئ لبيضه
عشا ، من أجل أنه لا يجيد الطيران ،
ويثقل عليه النهوض ، ولا يتحلق مثل
الدراج والقبيج ، وإنما يبيض على
التراب^(٥) »

وهذا المعنى نجده عند أرسطو في
الفصل الأول من الكتاب السادس من
تاريخ الحيوان ، إذ يقول :

« والطيور تبيض بصفة عامة في
أعشاش ، ولكن التي لاتطير كثيرا
لاتعمل أعشاشا ، مثل الحجل والقبيج
les perdrix et les cailles التي
تبيض على الأرض ، وتغطي بيضها
ببعض الأغصان^(٦) »

V. II, p. 280 (٣)

II, V. II, p. 289-290 (٢)

١٨٣ : ٢ (١)

(٤) مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية . المجلد الثامن ص ٨٦ - ٨٧

V. II, p. 266 (٦)

١٨٤ : ٢ (٥)

وبين النصين ، وإن كانا يتفقان في المعنى العام ، شئ من التفاوت ، ففي النص العربي إسهاب في التعبير عن العجز عن الطيران ، بما هو شبيه بأسلوب الجاحظ . وفيه أيضا وضعت أيضا كلمة الدراج في مقابل ماترجم قبل بالحجل perdrix

٣٩- قال الجاحظ : « قال : وإذا دنا الصياد من عش القبجة ، ولها فراخ ، مرت بين يديه مرا غير مفيت ، وأطمعته في نفسها ليتبعها ، فتسر الفراخ في رجوعها إلى موضع عشها . والفراخ ليس معها من الهداية مامع أمها . وعلى أن القبجة سيئة الدلالة والهداية ، وكذلك كل طائر يعجل له الكيس والكسوة ، ويعجل له الكسب في صغره . وهذا إنما اعتراها لقراة ما بينها وبين الديك

قال : فإذا أمعن الصائد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها ، طارت وقد نحتت إلى حيث لا يهتدي الرجوع منه إلى موضع عشها . فإذا سقطت قريبا دعتها بأصوات لها ، حتى يجتمعن إليها .

قال : وإناث القبج تببيض خمس عشرة بيضة إلى ست عشرة بيضة .

قال : والقبج طير منكر ، وهي تفر ببيضها من الذكر ، لأن الأنثى تشتغل بالحضن عن طاعة الذكر في طلب السفاد . والقبج الذكر يوصف بالقوة على السفاد ، كما يوصف الديك والحجل والعصفور قال : فإذا شغلت عنه بالحضن ، طلب مواضع ببيضها حتى يفسده . فلذلك تترى الأنثى عشها في مخاني ، إذا أحست بوقف البيض . وإذا قاتل بعض ذكورة القبج بعضها فالمغلوب منها مسفود ، والغالب سافد . وهذا العرض يعرض للديكة ولذكور الدراج ، فإذا دخل بين الديكة ديك غريب ، فما أكثر ما تجتمع عليه حتى تسفده^(١) .

ونستطيع أن نجد ما يناظر هذا النص في الفصل التاسع من الكتاب التاسع من تاريخ الحيوان ، في الحديث عما ترجم أولا بالحجل ، ثم ترجم ثانيا ، كما رأينا في النص السابق ، بالدراج ، وماترجم في هذا النص بالقبج ، وهو ما يسمى بالفرنسية ، كما يذكره سانتيلير ،

perdrix . وأكبر الظن أن هذا النوع من الخلط يرجع إلى سوء صنيع النساخ ، إذ يبعد عندنا أن يقع من مترجم واحد قال :

« وإذا وقع الصسائد على العش استدارت الحجلة la perdrix ، لتنجو بنفسها ، كما لو كانت متدعه بمسكها ، ثم تطمعه في إمساكها ، فتجتذبه إليها ، فتتيح لصغارها الوقت ليهربوا . وبعد هذا التدبير تطير وتدعو الصغار إليها . والحجلة لا تبيض أقل من عشر بيضات ، وأحيانا تبيض إلى ستة عشر بيضة . والحجلة ، كما قيل طير خبيث مكرر.... وإذا كانت الذكورة شديدة الغلظة ، فإنها ، لكي تمنع الأنثى من الحضن ، تبثر البيض وتكسره حيث تجده ، والأنثى تدافع قدر ما تستطيع عنه ، تخلص بنفسها لتبيض في مكان آخر . وكثيرا ما يحدث ، حين يعجلها البيض ، أن تضع بيضها حيثما اتفق ، بشرط أن يكون الذكر غير مطيق . ومن أجل أن تنقذه جملة واحدة ، فإنها لا تعود إليه... وإذا تقابلت الذكورة ، فالذكر المنهزم

يتبع غالبه ، ولا يدع لغيره أن يسمه ، وإذا هزم الذكر وسمه الثاني ، أو أى واحد آخر في خفية عن الغالب ... ومثل هذا يحدث عند القبيج les oailles ، كما يلاحظ هذا أحيانا عند الديكة . وفي المعابد التي تربي فيها الديكة بدون إنائها ، تتتابع جميعا على وسم القادم الجديد^(١) .

وبين النصين - كما نرى - تفاوت واضح ، وإن اتفقا في الجملة . فبينما نرى النص الجاحظي يتبسط أحيانا بالشرح والتنظير نراه يتجاوز عن بعض التفاصيل التي وردت في النص الآخر ولا يعنينا الآن التماس مرجع^١ هذا التجاوز . أما البسطة في النص الجاحظي فربما كانت ترجع - فيما يخيل إلينا - إلى أنه قد داخل كلام أرسطو بعض التعليقات التي أقحمها الجاحظ عليه ، وفصل بها بين أجزائه ، كقوله ، في سياق ذلك النص ، فيما نحسب : « والفراخ ليس معها من الهداية مامع أمها ... » إلى قوله : « وهذا إنما اعتراها لقراءة ما بينهما وبين الديك .

كما نحسب أن شيئاً من هذا التفاوت يرجع إلى غموض النص اليوناني في بعض مواضعه . فوسم الذكر الغالب للذكر المغلوب أو حزه شيئاً يعترف سانتيلير بأنه غير مفهوم . ولكنه يقول أن النص لا يعطى غير هذا المعنى ، والمخطوطات لاتقدم أى قراءة أخرى . أما المترجم العربى فقد فهمه على أن المراد به السفاد ، وجاء المعنى على هذا واضحاً .

أما المعابد التى تبنى فيها الديكة المقدسة ، فأكبر الفن أن المترجم العربى لم يكن ليستطيع إدراك المراد بها ، لذلك أغفل ذكرها ، وعبر عن المعنى بعبارة عامة .

٤٠- قال الجاحظ : « زعم صاحب المنطق أن البزاة عشرة أجناس ، فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جائمة ، ومنها ما لا يضرب الحمام إلا وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمام فى حال طيرانه ، ولا فى حال جثومه ، ولا يعرض له إلا أن يجده فى بعض الأغصان ، أو على بعض الأنشاز والأشجار . فعدد أجناس صيدها . ثم ذكر أن الحمام لا يخفى عليه فى أول ما يرى البازى فى الهواء :

أى البزاة هو . وأى نوع صيده ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمام بذلك من البازى أشكال : أول ذلك أن الحمام فى أول نهوضه يفصل بين النسر والعقاب ، وبين الرخمة والبازى ، وبين الغراب والصقر ، فهو يرى الكركى والطيرزين ولا يستوحش منهما ، ويرى الزرق فهتضاعل ، فان رأى الشاهين فقد رأى السم الذعاف الناقع »^(١)

وهذا النص الذى يبدو أن الجاحظ أورد فيه كلام أرسطو بمعناه ، وعبر عنه بعبارته هو ، يقع فى الفصل الرابع والعشرين من الكتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان حيث يقول :

« يقال أنه يوجد عشرة أجناس من البزاة على الأقل ، تمثل الفروق الكبرى بينها ، فبعضها ينقض على الحمام وهو على الأرض ، ويحتمله ، ولا يمسسه وهو يطير ؛ وبعضها يطارد الحمام وهو متشبث بشجرة أو أى شئ آخر ، ولكنه لا يمسكه وهو على الأرض ، ولا حين يكون متشبثاً ، وبعضها لا يهاجمه وهو على الأرض ولا حين يكون متشبثاً ، بل لا يحاول

إمساكه إلا وهو يطير . ويؤكدون أن الحمام تستطيع معرفة هذه الأنواع المختلفة من البزاة ، حين يطير البازي نحوها ، فإذا كان من البزاة التي لاتصطاد إلا في الهواء ، فإنها لا تترك مكانها الذي هي فيه ، ولكن إذا كان البازي الذي ينقض فوقها من البزاة التي تضرب على الأرض ، فإنها لاتنتظره ، بل تسارع بالطيران^(١) .

وظاهر أن الجاحظ لخص في هذا النص شيئا وأشار إلى شيء . ولكن فيه زيادة لانجدها في النص الآخر ، وذلك قوله : « ولمعرفة الحمام بذلك من البازي أشكال » إلى آخر النص ، فهل هي زيادة سقطت من النص الآخر ، إذ لم توجد في المخطوطات التي ترجم عنها في أوربا ؟ أم هي زيادة غير أرسطالية ، وقد أوردتها الجاحظ عن مصدر آخر من مصادره الكثيرة لكتاب الحيوان ؟ ذلك ما لا يمكن القطع به الآن فيما يبدو .

٤١ - قال الجاحظ : « وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لابد لجميع

الحيوان من دم ، أو من شيء يشاكل الدم^(٢) .

وقد كرر الجاحظ هذا النقل في موضع آخر ، فقال : « وأما صاحب المنطق فإنه قال باضطرار أنه لا يعيش حيوان إلا وفيه دم أو شيء يشاكل الدم^(٣) »

وقد جاء هذا القول في الفصل الثاني من الكتاب الثاني ، من أعضاء الحيوان إذ يقول :

« دعامة الحيوان منه ماله دم ، ومنه سائل يشبه الدم ، يحل محله^(٤) » .

٤٢ - قال الجاحظ : « وقد قال صاحب المنطق وزعم في كتاب الحيوان أن لكل طائر يعيش شكلا يتخذ عشه منه ، فيختلف ذلك على قدر اختلاف المواضع ، وعلى قدر اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أن الهدد من بينها يطلب الزبل ، حتى إذا وجده نقل منه ، كما تنقل الأرضة من التراب ، ويبني منه بيتا كما تبني الأرضة ، ويضع جزءا على جزء ، فإذا طال مكثه في ذلك البيت ،

(٣) ١٢٩ : ٦

(٢) ٣٦٩ : ٣

(١) V.III, p. 212-213

(٤) Traité des parties des animaux . . . V. I, p 83

وفيه أيضا ولد ، أو في مثله ، وترى ريشه وبدنه بتلك الرائحة ، فأخلق به أيضا أن يورث ابنه النتن الذي علقه ، كما أورث جده أباه ، و كما أورثه أبوه . قال : ولذلك يكون منتنا^(١) »

ولم نجد نظير هذا النص ، بهذه الصورة فيما بين يدينا من حيوان أرسطو ، ولم نجد هذه المعاني ، بهذا الوضع ، لديه . وإن يكن أرسطو تكلم عن الأعشاش في غير موضع ، وعن اختلافها باختلاف أصحابها ، كما تكلم عن الهدد وعشه خاصة ، وذكر أصل القول هنا فيه ، أما ماعدا ذلك من تفاصيل وصور فلم يقع لنا منها شيء فيما أتيج لنا ، فإما أن يكون ذلك قد كان في حيوان أرسطو الذي نقلت نسخته إلى العربية ، ثم سقط وضاع ، وإما أن يكون شيئا أقحم عليه ، أقحمه المترجم ، أو أقحمه الجاحظ نفسه . وكل ذلك جائز محتمل فيما نحن فيه .

وهذا هو نص كلام أرسطو عن عش الهدد ، كما جاء في الفصل السادس

(١) ٥١٣ : ٣ - ٥١٤

(٢) ٥١٥ : ٣

عشر من الكتاب التاسع من تاريخ الحيوان :

«والهدد يصنع عشه كله تقريبا من زبل الإنسان^(٢)»

٤٣- قال الجاحظ : «وذكر صاحب المنطق أن الطير الكبير ، الذي يسمى باليونانية : أغتيولس ، يحكم عشه ويتقنه ويجعله مستديرا مداخله كأنه كرة معمولة . وروى أنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدار صيني من موضعه ، فيفرش به عشه ، ولايعشش إلا في أعلى الشجر المرتفعة الموضع . قال : وربما عمد الناس إلى سهام يشدون عليها رصاصا ، ثم يرمون بها أعشتها ، فيسقط عليهم الدار صيني ، فيلتقطونه ويأخذونه^(٣)»

ويقع نظير هذا النص في آخر الفصل الرابع عشر من كتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان ، إذ يقول أرسطو :

«ويؤكد أهل البلاد أن الطائر المسمى سيناموم le cinnamome يجلب أيضا من حيث لايعرف أحد المادة المسماة

(٢) V. III, p. 185

بهذا الاسم ، ويصنع منها عشه ، وهو يجعله فوق الأشجار وفي أعلا الأغصان . والأهالي يسقطون هذا العش بضربه بالسهم المشدود إليها الرصاص ، فيجمعون ما جلبه هذا الطائر من الدار صيني^(١) .

وبين النصين - كما نرى - بعض الفروق ، وإن كان أصل المعنى واحدا ، وجملة الصورة متفقة فيهما .

ولعل أول ما يلفت النظر ويثير التساؤل من وجوه الخلاف هو الخلاف في اسم ذلك الطائر ، إذ يجعله النص الجاحظي «أغتيولس» ، ويجعله النص الآخر «سيناموم» . فهل يرجع هذا الخلاف إلى أن الاسم ، كما جاء في النص الأول ، تعرض للتحريف الذي حوله من «سيناموم» إلى «أغتيولس» ؟ ذلك فرض بعيد ، إذ لا تكاد الكلمتان تلتقيان بوجه من الوجوه في الصورة الخطية ، إلا أن تكون الكلمة الأولى قد مرت في مراحل مختلفة من التحريفات والتصحيحات انتهت بها إلى أن فقدت كل صلة بصورتها الأولى .

أم أن الاسم الذي جاء به النص الجاحظي أو ما يشبهه ضاع أو انبهم في الأصول اليونانية المخطوطة التي كانت مادة الترجمة الأوربية ، وبذلك أطلق على الطائر اسم النبات الذي يصنع منه عشه ؟

أم أنه - قبل الاسترسال في الفروض - لابد من الرجوع إلى الأصول اليونانية ، فلعلها تحتفظ بهذا الاسم أو ما يشبهه ؟

ولعل من تمام القول في هذا النص أن نذكر ما علق به الحاحظ عليه ، وذلك إذ يقول :

«ولست أدفع خبر صاحب المنطق عن صاحب الدار صيني ، وإن كنت لأعرف الوجه في أن طائرا ينهض من وكره في الجبال ، أو بفارس ، أو باليمن ، فيؤم ويعمد نحو بلاد الدارصيني ، وهو لم يجاور موضعه ولا قرب منه . وليس يخلو هذا الطائر من أن يكون من الأوابد أو من القواطع ، وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصحصححان الأملس ، وبطون الأودية ، وأهضام الجبال ،

V. III, p. 182 (١)

بالتدويم في الأجواء ، وبالمضى على السميت ،
لطلب ما لم يره ولم يشمه ولم يذقه .
وأخرى فإنه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه
ما يصير فراشا له ومهادا ، إلا بالاختلاف
الطويل . وبعد فإنه ليس بالوطيء الوثير ،
ولا هو له بطعام . فأنا وإن كنت لأعرف
العلة بعينها ، فلست أنكر الأمور من هذه
الجهة ، فأذكر هذا ^(١) .

وقبل أن ندع هذا النص نقول إن
الترجمة العربية التي وضعت كلمة
« الدار صيني » بإزاء كلمة « cinnamome »
قد فصلت في حيرة سانتيلير حين قال
في تعليقه على هذه الكلمة : إنه لا يدري ،
على وجه الدقة ، ماذا كان القدماء يعنون
بها : أهو الم (myrhe) أم
هي القرفة (Cannelle)

٤٤ - قال الجاحظ : « وقد زعم صاحب
المنطق أن ذوات الأربع كلها تحيض ،
على اختلاف في القلة والكثرة ، والزمان ،
والحمرة والصفرة ، والرقة والغلظ » ^(٢) .

٤٥ - قال الجاحظ : « وقد زعم صاحب
المنطق أن الكلاب السلوقية كلما دخلت
في السن كان أقوى لها على المعاظلة » ^(٣) .
وقد سبق للجاحظ أن ذكر هذا المعنى ،
حاكيا له عن أرسطو ، في سياق فصل
طويل خاص بالكلاب ، نقله عنه ،
ونص عبارته هناك :

« ويعرض للكلاب السلوقية عرض
خاص ، وهي أنها كلما بقيت كانت
أقوى على السفاد » ^(٤) .

ونظيرها في كلام أرسطو قوله :
« وللكلاب اللقونية خاصية تمتاز بها ،
وهي أنها كلما تعبت كانت أقوى على
السفاد من التي لم تتعب » .

وقد لاحظنا أن في عبارة أرسطو -
كما أوردها الجاحظ - تحريفين :
أولهما في كلمة « السلوقية » ، فينبغي
أن تكون محرفة عن « اللقونية » ،
والآخر في كلمة « بقيت » ، فينبغي
أن تكون محرفة عن « تعبت » ^(٥) .

(٢) ٣ : ٥٢٩ - ٥٣٠

(٤) ٢ : ٢٢٢

(٥) مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد الثامن ، ص ٧٧

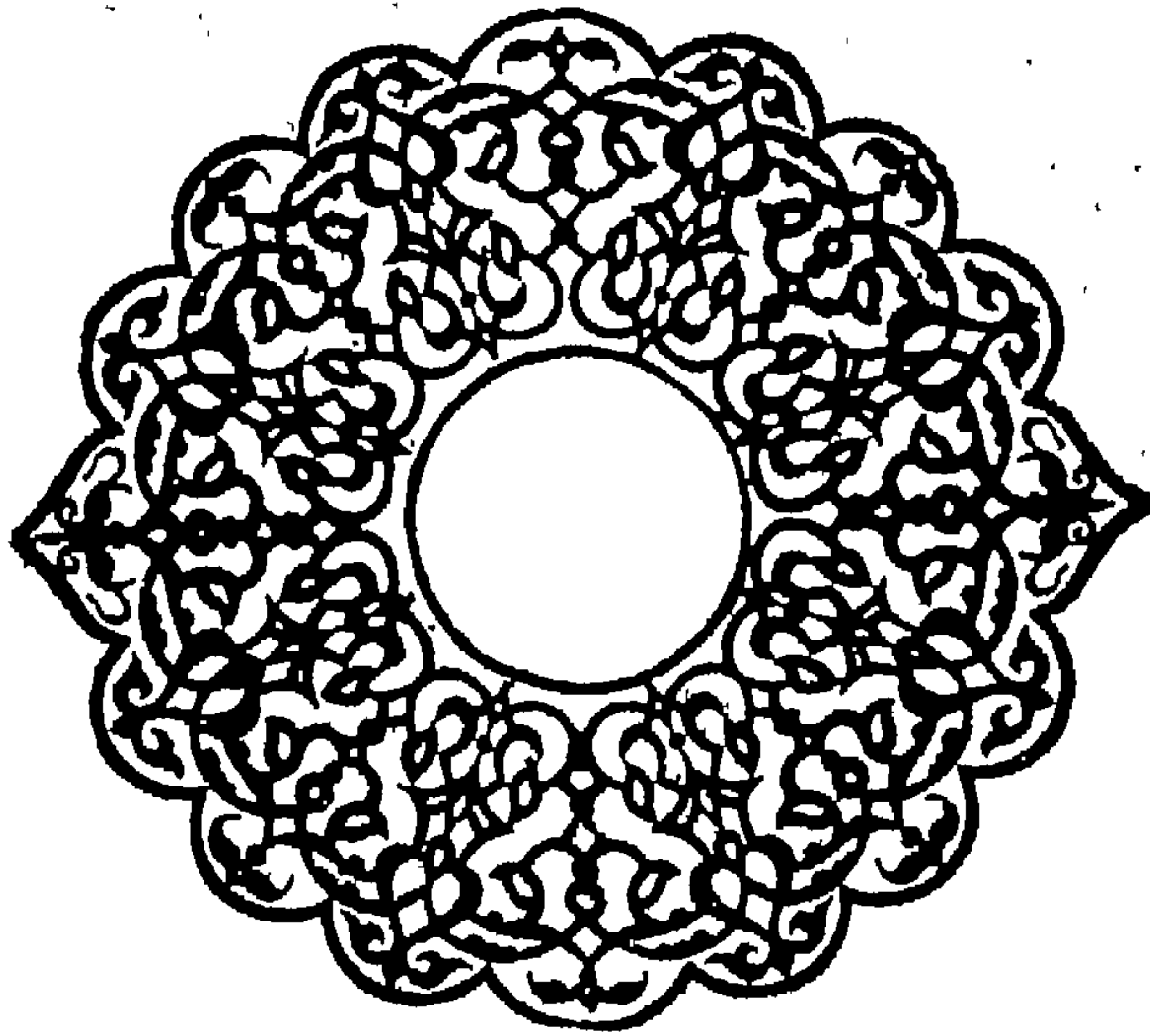
(١) ٣ : ٥١٧ - ٥١٨

(٣) ٣ : ٥٣٣

وهنا نستطيع أن نقول إن هذا التحريف الأخير ليس تحريفاً في نسخ حيوان الجاحظ التي بلغتنا ، وإنما كان تحريفاً في نسخة حيوان أرسطو التي كانت بين يدي الجاحظ ينقل عنها ، بدليل أنه ، حين روى هنا بالمعنى ما كان أورده قبل نصا ، قال : « كلما دخلت في السن » بدلا من قوله : « كلما بقيت » ومن ذلك كان تعليقه على كلام أرسطو بقوله :

« وهذا غريب جدا . وقد علمنا أن الغلام أحد ما يكون وأشيق وأنكح وأحرص عند أول بلوغه ، ثم لا يزال كذلك حتى يقطعه الكبير ، أو إصفاد ، أو تعرض له آفة . »

محمد طه الحاجري



سَجْعُ الْقُرْآنِ فَرِيدٌ

للدكتور أحمد الحوفي

«أهلكنا من القرون من بعد نوح ، وكفى
بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا»^(٢) .
وهنا سجع داخلي بين مترفيها وفيها .
ومثل قوله تعالى : « وما تفرقوا إلا من
من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا
كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى
لقضى بينهم ، وإن الذين أورثوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب . فلذلك
فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع
أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ،
وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا ، وربكم ،
لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا
وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير »^(٣)

فالسجع الداخلي واضح في الآيتين .

٥- ولقد ترد الفاصلة مسبوقة بلفظ
يمهد لها ويكاد يعينها ، سواء أكان هذا
اللفظ الممهد في أول الآية مثل قوله تعالى :

في البحث السابق^(*) بعض
خصائص السجع القرآني ،
وهذا طرف آخر من تلك الخصائص .

٤- قد يتداخل في القرينتين سجع
آخر غير سجهما ، فيتضاعف نغم
التعبير ، وتعلو موسيقاه ، ويعظم في
السمع وقعة ، ويعمق في النفس أثره ،
كقوله سبحانه وتعالى : « ربنا اطمس
على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال قد
أجيببت دعوتكما ، فاستقيا ، ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون »^(١) .

فها هنا سجع داخلي بين أموالهم وقلوبهم .
ومثل قوله سبحانه : « وإذا أردنا
أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ،
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . وكم

(*) نشر بالجريدة السابقة من المجلد (٢٨) .

(١) سورة يونس ٨٨ - ٨٩

(٣) سورة الشورى ١٤ - ١٥

(٢) سورة الإسراء ١٦ - ١٧

« ولقد فتنا سليمان ، وألقينا على كرسيه جسدا ، ثم أناب . قال رب اغفر لي ،^(٣) وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب »^(١) ، أم كان في صدر الآية نحو قوله سبحانه : « قال لهم موسى وبلکم لا تفتروا على الله كذبا ، فيُشحتکم بعذاب ، وقد خاب من افترى ، فننازعوا أمرهم بينهم وأسرؤا النجوى »^(٢) ، ونحو قوله سبحانه : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون »^(٣) .

آفان كلمتى الوهاب وهب ، وكلمتى لا تفتروا وافترى ، وكلمتى اختلفوا ويختلفون ، ثلاثم كل منهما الأخرى .

٦- وأحيانا تأتي الفاصلة موافقة لمعنى ما قبلها وإن لم تتفق معه في لفظه ، مثل قوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون »^(٤) ، لأن الفواصل السابقة للآية نون ، وانسلاخ النهار من الليل ومجيئه بعده يرشح أن

تكون الفاصلة كلمة (مظلمون) . وكذلك قوله سبحانه : « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير »^(٥) ، لأن كلمة اللطيف هي التي تناسب الذات العلية التي لا يدركها بصر ، وكلمة الخبير هي التي تلائم الخالق القدير الذي يدرك أبصار الخلق وأحوالهم جميعها .

وقوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ، فيضاعفه له وله أجر كريم . يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم »^(٦)

لأن الأجر الكريم هو الذي يناسب مضاعفة الأجر ، والفوز العظيم هو الذي يناسب النور الهادي والنعيم في الجنات .

٧- وكثيرا ما ترافق الفواصل أغراض بلاغية أصيلة تتجلى من نسق الآية أو من إيثار لفظ على لفظ ، وهذا مجال رحب لدراسة متأنية مفصلة .

(١) سورة ص ٣٤ - ٣٥

(٣) سورة يونس ١٩

(٥) سورة الأنعام ١٠٣

(٢) سورة طه ٦١ - ٦٢

(٤) سورة يس ٣٧

(٦) سورة الحديد ١١ - ١٢

ففي قوله تعالى : « يا أيها المدثر قم
فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر .
والرجز فاهجر . ولا تَمْنُنْ تستكثر . ولربك
فاصبر »^(١) قدمت المفعولات (ربك
وثيابك والرجز) على الأفعال (كبر
وطهر واهجر) للقصر البلاغي من ناحية ،
ولتحقيق موسيقى الفواصل من ناحية ،
وقدم الجار والمجرور (ولربك) على
الفعل (اصبر) للغرض نفسه .

وفي قوله سبحانه وتعالى : « قالوا
يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول
من ألقى . قال : بل ألقوا ، فإذا حبالهم
وعَصِيهِمْ يُخَيَّلُ إليه من سحرهم أنها
تَسْعَى . فأوجس في نفسه خيفة موسى ،
قلنا : لا تخف إنك أنت الأعلى . وألق
ما في يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما صنعوا
كيدٌ ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث
أتى »^(٢) .

قدم الضمير وهو الهاء في كلمة (نفسه)
على (موسى) لسبب معنوي هو الدلالة
على أن خوف موسى كان يجيش في نفسه
ولكنه خفي على السحرة ، مستور عنهم وهذا

التقديم أدق من التأخير ، ولسبب لفظي
هو أن الفاصلة ألف مقصورة ساسبها
أن تجي » كلمة موسى في آخر الآية .
وفي قوله تعالى : « مَأْصِلِيهِ مَقَر .
وما أدراك ما مَقَر ؟ لا تُبْقِي ولا تَذَر .
لَوَاحَةٌ للبشر . عليها تسعة عشر »

حذف المفعول بعد الفعل (تذر)
للدلالة على التعميم وأن سقر لا تبقى شيئاً ،
ولتحقيق الفاصلة وهي الراء .

كذلك حذف المفعول في قوله تعالى :
« والضحى واللبلب إذا سجدى ، ما ودَّعك
ربك وما قَلَى »^(٤) لايناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنى هجر الله تعالى
له نفياً قاطعاً يتضمن الرفق والرحمة
والمحبة ، ولهذا لم يذكر الضمير وهو
الكاف حتى لا يتصل بالهجر وإن كان
منفياً ، ومع هذا حقق حذف الضمير
موسيقى السجع .

أما الذين ذهبوا إلى أن حذف الضمير
في الآية رعاية للفاصلة كالحموى وغيره^(٥)
فإن نظرهم محتاجة إلى تصويب ، لأن

(٢) سورة طه ٦٥ - ٦٩

(٤) سورة الضحى ١ - ٣

(١) سورة المدثر ١ - ٧

(٣) سورة المدثر ٢٦ - ٣٠

(٥) خزائن الأدب للحموى ١٧٥

[الحذف لرعاية الفاصلة وحدها يؤدي إلى إشار اللفظ على المعنى ، وإلى التكلف في التعبير ، وإلى الغفلة عما تقتضيه بلاغة البشر ، فما بالناس بالقرآن الكريم؟ وأما قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى . فقلنا : يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ، أفلا يخرجكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى^(١) » .

ومثل حذف الياء من الاسم المنقوص المعرف في قوله سبحانه : « ويقول الذين كفروا : لولا أنزل عليه آية من ربه ، إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد . الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد . وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال^(٢) » .

فقد حذفت الياء من (المتعال) وليس لحذفها أى أثر في المعنى .

وشبيه هذا الحذف إثبات هاء السكت في قوله تعالى : « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . فأمّا من أوتى كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرأوا كتابيه . إني ظننت أني ملاق حسابيه . فهو في عيشة راضية . في جنة عالية . قطوفها دانية^(٣) » . إذ جاءت كلمة (كتابيه) بدلا من كتابي ، وكلمة (حسابيه) بدلا من حسابي ، وليس في هذا جور على المعنى .

فقد جاء الفعل (تشقى) بدلا من تشقيان ، للدلالة على أن في شقاء آدم شقاء لحواء ، لأن الحياة الزوجية شركة بين الزوج والزوجة ، تسعد فيها الزوجة أو تشقى بسعادة زوجها وشقائقه ، ولأن الرجل هو القوام على المرأة ، وفي هذا رعاية للفاصلة أيضا .

٨- على أن الفاصلة قد تجيء وليس لها رجحان في المعنى ولا طغيان عليه ، مثل « أف ياء المتكلم في قوله تعالى : « كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر . إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر^(٤) » .

(٢) سورة القمر ١٨ - ١٩

(٤) سورة الحاقة ١٨ - ٢٣

(١) سورة طه ١١٦ - ١١٩

(٣) سورة الرعد ٧ - ٩

(٣) القرآن والترسل

على أن في القرآن الكريم كثيرا من الأساليب المرسلة ، فلماذا لم ينزل مسجوعا كله ؟

أجاب ابن الأثير على هذا بقوله : « وما منع أن يأتى القرآن كله مسجوعا إلا أنه سلك مسلك الإيجاز والاختصار ، والسجع لا يواتى فى كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار ، فترك استعماله فى جميع القرآن لهذا السبب »

وهذا تعليل متهافت ، لأنه إن صدق على الأديب غير المتمكن لا يصدق على الأديب اللبق المجيد ، وإذا جاز على البشر فليس بجائز على رب البشر . وكأنما أحس ابن الأثير بضعف تعليله ، فعقب عليه بقوله : « وها هنا وجه آخر هو أقوى من الأول ، ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع ، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع ، لأن ورود غير المسجوع معجزاً أبلغ فى باب الإعجاز من ورود المسجوع ، ومن أجل ذلك

(١) المثل السائر ١ - ٢٧٧

(٢) سورة الإنسان ٢٨ - ٣٠

تضمن القرآن القسمين جميعا ^(١) »

على أننى أزيد على هذا أن الكتاب الكريم نزل هاديا ، ومشرعا ، ومبطلا لعقائد ، ومؤمسا لعقائد ، يجادل ، ويقصص ، ويعد ، وينذر ، ويبشر ، ويرغب ، ويستميل ، فلا بد أن يراوح فى عباداته بين مجمل ومفصل ، وبين مسجوع ومرسل ، مراعاة للموضوع وللمقام .

لهذا نزل منشورا ، وتصريف أسلوبه تصرفا بديعا ، فهو آنا مرسل ، وحينما مسجوع ، وطورا مزدوج أو متوازن لا تتحد فواصله ، بل تجيء من أحرف متقاربة المخارج كقبوله تعالى : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون .. » لأنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين ^(٢) »

وقوله سبحانه : « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا . وما تشاءون إلا أن يشاء الله ، إن الله كان عليما حكيما . يدخل من يشاء فى رحمته ، والظالمين أعد لهم عذابا أليما ^(٣) »

(٢) سورة الحاقة ٣٨ - ٤٣

(٣) سورة الأعراف ١٠١ - ١٠٣

أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا ،
وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال
من الجن فزادوهم رهقا^(٣) ،

(٤)

وبعد ، فقد كان للعرب نشر مرسل ،
وكان لهم نشر مسجوع ، وكان لهم نشر
مزدوج ، وكانوا في فنون مقالهم نشرا
وشعرا أصحاب براعة وافتنان ، فلما
نزل القرآن الكريم مرسلا ومسجوعا
ومزدوجا تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله
فمجزوا ، ودانوا ببلاغته التي لا تلحق ،
وتطامنوا لروعته التي لا تجد ، فصدقوا
قول الله تعالى : « قل لئن اجتمعت
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم
لبعض ظهيراً^(٤) » .

أحمد الحوفي

وقوله تعالى : « كلا ، بل لا تكرمون
اليقيم . ولا تحاضون على طعام المسكين^(١) »
على أن المزدوج قد يرد من أحرف متباعدة
المخارج ، ولكن وحدة الوزن كفيلة
بالترنيم والتنغيم ، مثل قوله تعالى :
« والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق؟
النجم الثاقب . إن كل نفس لما عليها
حافظ . فلينظر الإنسان مم خلق ؟ خلقت
من ماء دافق . يخرج من بين الصلب
والترائب . إنه على رجعه لقادر يوم
تُبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر^(٢) » .
وقوله سبحانه : « قل أوحى إلى أنه
استمع نقر من الجن قالوا إنا سمعنا
فرآنا عجبا . يهdy إلى الرشd فآمنا به
ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جد
ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأنه كان
بقول سفيهنأ على الله شططا . وأنا ظننا

(٢) سورة الطارق ١ - ١٠

(٤) سورة الإسراء ٨٨

(١) سورة الفجر ١٧ - ١٨

(٣) سورة الجن ١ - ٦

دراسة تفصيلية

في كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية

بحروف عربية

للدكتور محمد محمود السلاّموني

من نطقها في اللغتين اليونانية واللاتينية وتوَّج هذه المحاولة مجمع اللغة العربية في مصر، فأصدر قرارات تضمنت القواعد التي تساعد على تحقيق هذا الغرض^(١).

ولما كانت اللجنة الموقرة التي ألفها المجمع لدراسة هذا الموضوع قد ذكرت في تصديرها للقواعد التي وضعتها «أنها لاتقيد باحثاً مختصاً بالآداب اليونانية

كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية وكذلك الأعلام الأجنبية التي وردت في أعمال الكتاب الإغريق والرومان بحروف عربية موضوع جدير بالعناية، ولهذا حاول بعض الأعلام للمحدثين وضع قواعد تيسر على المعربين نقل أسماء الأعلام بما يقرب جرسها في اللغة العربية

(١) لقد تناول هذا الموضوع الأستاذ الجليل الفريق أمين المملوف في مقتطف يونيو ويوليو سنة ١٩١١ (وقد أعاد نشر هذا البحث في مقتطف فبراير سنة ١٩٣٣) وكذلك الأستاذ الجليل الدكتور أحمد عيسى في كتاب التهذيب في أصول التعريف، القاهرة ١٩٢٣.

وأما مجمع اللغة العربية بمصر (مجمع فؤاد الأول للغة العربية) فقد عني بهذا الموضوع كذلك، فأصدر قرارات في «كتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية» (انظر الدورة الرابعة، الجلستين الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين، ص ٤٠٤ - ٤٢٦، ١٩٣٧) وقد نشرت هذه القرارات في مجلة مجمع اللغة العربية (مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية) الجزء الرابع، ص ٣١ - ٣٨، ١٩٣٩، خلوا من الأمثلة ثم ذكرت الأمثلة في مكان آخر من المجلة في ص ١٢٤ - ١٤٠. ونشرت هذه القرارات مرة ثالثة في مجموعة القرارات العلمية - ٣ - بعنوان «مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، ١٩٣٢ - ١٩٦٢» خلوا من الأمثلة، ص ١٠١ - ١١١، القاهرة، ١٩٦٣.

وأضيف إلى هذا كتاب الأستاذ الجليل الأمير مصطفى الشهابي «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث»، باب كتابة الحروف اليونانية واللاتينية بحروف عربية - ص ١٠٦ - ١١٣ - حيث نقل قرارات المجمع الموقر ثم أضاف إليها بعض ملاحظات قيمة جديرة بالنظر، ص ١١٣ - ١١٤، القاهرة، ١٩٥٥.

ولما كانت اللجنة الموقرة المؤلفة لكتابة الأعلام اليونانية واللاتينية قد استعانت ببعض الأستاذ الفريق أمين المملوف والأستاذ الجليل الدكتور أحمد عيسى واستمدت من هذين الباحثين قواعد كثيرة (الطرد ٤ - ٣٣ ص ٤٠٦)، فقد رأيت أن أقصر ملاحظاتي على ما ورد في قرارات المجمع [في ص ٤٠٤ - ٤٢٦ من الدورة الرابعة (٣٣ - ٣٤)، فهي المصدر الرئيسي لهذه القرارات].

[واللاتينية ولا تمنعه من أن يتبع قواعد
 أخرى إن أراد التقصى في ضبط هذه الأعلام
 ضبطاً أدق^(٢) فقد تركت بهذا ، مشكورة
 الباب مفتوحاً للمختص ليدلى بدلوه في هذا
 الموضوع ، ولكنى أختلف معها في فصل أعلام
 الآداب اليونانية واللاتينية عن أعلام العلوم
 المختلفة الذين ورد ذكرهم في الترجمات
 العربية القديمة ، ذلك أن القواعد التي
 تنقل على أساسها أسماء هؤلاء الأعلام
 ينبغي أن تكون موحدة ، وهذا ما سأحاول
 القيام به في هذه الدراسة المتواضعة حيث
 استأنس فيها بما ورد في قرارات المجمع
 الموقر وأناقش بعض مضامينها كلما دعت
 الحاجة إلى ذلك ، وأرجو أن يتفضل
 المجمع الموقر ، ممثلاً في أعضائه المختصين
 بالصوتيات ، بمناقشتي فيما أثرته من
 آراء تخالف ماورد في بعض قراراته ،
 حتى إذا وافق هؤلاء الأعضاء الأجلاء على

رأى من آرائى أو صححوا رأياً واتفقت
 آخر الأمر وجهات النظر ، صدر ملحق
 للقرارات السابقة ، وذلك بغية توحيد
 طريقة النقل ليسترشدها السادة العربون ،
 ومن أولى بالمجمع الموقر في مواصلة تبنيه
 لهذا الموضوع وأجدر منه في إصدار مرشد
 يتوخى فيه النقل الدقيق لأصوات الحروف
 في هاتين اللغتين ، اليونانية واللاتينية ،
 بقدر الإمكان . فالحاجة ملحة إلى هذا
 المرشد ، فإن غالبية العربيين المحدثين
 لا يتبعون قاعدة ثابتة فيما ينقلون من أسماء
 الأعلام الإغريق والرومان إلى العربية ، بل
 إن بعضهم ينقل أسماء هؤلاء الأعلام عن
 طريق اللغة الفرنسية مع اختلاف أصوات
 الحروف الجامدة^(٣) في هذه اللغة عن
 نظائرها في اللغتين اليونانية واللاتينية ،
 والأمثلة على ذلك ليست بالقليلة .

منهج البحث

لما كان هدفي الإسهام في وضع قواعد
 تيسر نقل الأعلام الإغريقية والرومانية
 إلى العربية ، أرى من الضروري أن
 ألقى نظرة سريعة على أسلوب القدامى

(٢) د ٤٠ ، ٣٣ ، ص ٤٠٥

(٣) أطلق على الحروف اليونانية واللاتينية المقابلة للحروف العربية (الباء والتاء والذال والجيم إلى آخره) اسم الحروف الجامدة كما أطلق على الحروف المقابلة للحروف الممتلئة في العربية اسم اللينة ، وذلك بناء على توسيع السيد الأستاذ الدكتور طه حسين الذي كان قد تفضل بمراجعة كتاب « اللغة اللاتينية » وهو من تاليف وتأليف زميلين كريمين آخرين ، القاهرة ، ١٩٤٨

فى نقل الحروف اليونانية واللاتينية إلى العربية لتكون تمهيداً للطريقة التى سأتبعها فى نقل هذه الحروف أو بعضها إلى العربية ، وهذه الطريقة تعتمد أساساً على أصوات الحروف فى اللغتين المذكورتين . ولهذا ينبغى على أن أعرف أولاً بحروف الأبجدية اليونانية ، جامدها وليتها وبأصواتها الأصلية وأعطى ما يقابلها من أصوات حروف الأبجدية العربية أو ما يكون أشد قرباً من جرسها ، إذا لم يكن فى العربية أصوات مشابهة تماماً ، وسأخصص لكل حرف تعليقاً مستقلاً أناقش فيه قاعدة المجمع الموقر المتصلة بالحرف الذى سأتناوله وسأشير إلى قاعدة المجمع بجانب كل تعليق . وستكون هذه التعليقات مرقمة ومسلسلة لسهولة الرجوع إليها . فإذا انتهيت من ذلك سقت أمثلة من أسماء الأعلام المختارة بغية التطبيق على ماتضمنته بعض التعليقات ، وحتى يكون التطبيق واضحاً سأشير أسفل الأعلام المختارة إلى التعليقات التى أرى تذكير القارئ الكريم بها . ثم أنتقل بعد ذلك إلى التعريف بحروف الأبجدية اللاتينية

وأنتهج معها نفس المنهج الذى اتبعته مع حروف الأبجدية اليونانية تماماً ثم أختتم دراستى بإبداء بعض ملاحظات عن طريقة الأقدمين فى تعريف الأعلام عن طريق أمثلة أسوقها مما عرب قديماً منها

وأفصل هذا المنهج تحت رؤوس الموضوعات الآتية :

- ١- نظرة سريعة فى أسلوب القدامى فى النقل .
- ٢- الطريقة المقترحة لكتابة الأعلام بحروف عربية .
- ٣- كتابة الأعلام الإغريقية بحروف عربية .
- ٤- كتابة الأعلام الرومانية بحروف عربية .

ملاحظة : إن ما دعانى إلى تناول الأعلام الإغريقية (٣) والرومانية (٤) كل على حدة ، هو اختلاف أصوات بعض الحروف اليونانية منها فى اللاتينية ولأسباب أخرى سأذكرها فى مواضعها إن شاء الله .

- ٥- ملاحظات على طريقة القدامى فى النقل .

١ - نظرة سريعة في أسلوب القدامى في النقل

عندما بزغ فجر العصر العباسي وأخذ خلفاؤه يشجعون حركة ترجمة العلوم من لغات الأمم القديمة ومنها علوم الإغريق بمخاصة ، قام المترجمون ابتداء من القرن الثامن الميلادي بترجمة هذه العلوم إلى السريانية أولاً ثم إلى العربية ثانياً ، كانت اللغتان ، اليونانية واللاتينية قد أصابهما الاضمحلال^(٤) ، أما أصوات بعض حروف هاتين اللغتين ، وهى ماتعينا في هذه الدراسة ، فقد فقدت جرسها الأول الأصيل وأصبح لها أصوات جديدة بعيدة كل البعد عن أصواتها الأولى وكان من نتيجة ذلك أن الصورة الصوتية للأسماء الإغريقية والرومانية لم تعد نفس الصورة الأصلية التى نطق بها من قبل . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء المترجمين القدامى

الذين لا ينكر فضلهم فيما أنجزوه من أعمال جديرة بالتقدير العظيم ، لم يلتزموا بالقواعد الصوتية للحروف الجامدة والليننة اليونانية واللاتينية - وحتى المتأخرة منها - فى نقلهم الأعلام الإغريقية والرومانية ، ففما يتعلق بأصوات الحروف الجامدة ، فخموا أصوات بعض الحروف ، فأحالوا ، على سبيل المثال ، صوت الحرف الذى يقابل حرف التاء فى العربية طاء . أمّا ما يقابل صوت حرف الباء فقد جعلوه فاء على مقتضى قواعد النطق والخط السرياني ومن العجيب أن المترجمين غير السريان قد جروا على عرفهم (إلى غير ذلك مما سأناقشه فى موضعه) ، كذلك لم يعن هؤلاء النقلة بأصوات الحروف اللينة فلم يميزوا بين أصوات حروف المدواللين ولم يتنبهوا إلى وظيفة الحركات فلم يضبطوا الأعلام عند نقلها . وهذه ظاهرة

(٤) أعنى باللغة اليونانية لهجتها النموذجية ، وهى الأتيكية ، لهجة أثينا فى عصر زعامتها الأدبية والعلمية ابتداء من القرن الخامس ق . م ، وهى ما كتبت بها أعمال الشعراء والكتاب المجيدين فى أكثر من فن ؛ وكانت تعد فى نفس الوقت أكثر اللهجات جمالا وأبدعها صقلا . أما قواعد اللغوية - وكذلك الصوتية إلى حد ما - فاتخذت أساساً فى دراسة اللهجات الأخرى . ومثل هذا يقال عن اللغة اللاتينية فى القرن الأول ق . م فى عصرها الذهبى ، عصر الشعراء والكتاب النحول . إلا أن هاتين اللغتين قد عانتا الكثير مع تعاقب الأجيال والقرون ، فأخذتا تفقدان مزاياهما اللغوية الأولى شيئاً فشيئاً حيث تحرر كتاب المصور المتعاقبة من قواعد اللغتين الأساسيتين فحرفوا بعضها وانصرفوا عن بعضها الآخر وذلك لانتشار هاتين اللغتين فى بقاع بعيدة ولأسباب أخرى ، منها محاولة كتاب ليسوا إغريق ولا رومان الكتابة باليونانية واللاتينية .

لايستطاع معها التعرف على الاسم في لغته الأصلية (إلى غير ذلك مما سأذكره في موضعه) ، وهم عندما فعلوا ذلك قد باعدوا بين صورة الاسم الإغريقية والرومانى وصورته فى العربية ، وما كان ينبغى لهم أن يتخطوا حدودهم فيطوعوا أصوات حروف لغة ليست بلغتهم ، ويفرضوا عليها أصواتا سريانية أو عربية لاتقابل أصوات الحروف التى ينقلونها إلى العربية . إن هذا الذى فعلوه غير مقبول علمياً طالما كان المقصود نقل الاسم إلى العربية وفق صورته الأصلية ولا يسعى الآن إلا أن أطالب بالحد من مبدأ «القديم على قدمه» فإن لهذا المبدأ نتائج خطيرة على مدى العصور خصوصاً وأن بعض الكتاب المحدثين المحاكين للقدامى قد بالغوا فى محاكاةهم لهم وأساءوا إليهم ، ولأضرب مثلاً يقوم دليلاً على ما أقول : لقد ورد فى كتب العرب الأقدمين الاسم

«قليوبطرة» - وهو للملكة مصر البطلمية المعروفة - وبالرغم من أن أصوات حروف الاسم الجامدة العربية لاتقابل أصوات حروفه فى اليونانية أو اللاتينية تماماً ، إلا أنه يعتبر أقرب مايكون إلى صورته الأصلية إذاما قورن بالصورة التى نقلها أحد الكتاب المحدثين لهذا الاسم ، فقد نقلها «قلاو فطرة»^(٥) ويبدو لى أن ما لم يكن هذا الكاتب قد أخذ بأسلوب القدامى بطريقة غير ذكية لما تجرأ على على هذا النقل المعيب .

ومجمل القول : إن قدامى النقلة : فى رأي مجتهدون ، قاموا مشكورين بكل ما استطاعوا ولكن المجتهد قد يصيب وقد يخطئ ولن يقلل من شأنهم إعادة النظر فى أسلوبهم فى النقل والإبقاء على ما نراه صحيحاً والانصراف عما نراه لايمثل أصوات الحروف فى اللغتين المنقول عنهما ومحاولة التصحيح

(٥) انظر الأستاذ الأمير مصطفى الشهابى ، نفس الكتاب ، ص ١١٥

الطريقة المقترحة لكتابة الاعلام بحروف عربية

والآن فإن ما ذكرته في هذه النظرة السريعة - وهو قل من كثر - في أسلوب القدامى في النقل جعلنى أحاول طريقة أخرى في نقل الاعلام إلى العربية أكثر دقة ، لأنها تعتمد أساساً على أصوات الحروف الجامدة والليننة في اللغتين اليونانية واللاتينية المنقول عنهما . وهذه الأصوات هي ما أقرها معظم علماء فقه اللغة الذين قاموا بجهود جبارة في الوصول إلى خصائص هذه الحروف وأصواتها . ولما كانت اللغتان اليونانية واللاتينية تنتميان إلى أسرة اللغات « الهندية - الأوروبية » ، أو « الآرية » وتنتمى العربية إلى السامية ، فلا ينتظر أن تكون طبيعة اللغتين اليونانية واللاتينية من ناحية ، وطبيعة اللغة العربية من ناحية أخرى ، واحدة أو متسقة ، بل إن من المحقق أن هناك خلافاً بين بعض أصوات

الحروف الجامدة والليننة في اللغتين اليونانية واللاتينية واللاتينية ما يسمى بالحروف الليننة المزدوجة^(٦) ، وهي غير واضحة في العربية كما يجب بالرغم مما يقال من أن العرب تصوروا « المزدوج » الذي يوجد في لسانهم والذي لم يسموه قط^(٧) ، فإن كل هذه الخلافات ستكون موضع مناقشة ، وقد أصل في بعض الحالات إلى حل وسط ولكن ذلك لن يكون على حساب أصوات الحروف اليونانية واللاتينية لأن هذا يبعدنا كل البعد عن نطق الأسماء كما نطق بها أصحاب اللغتين .

أما الأصوات السريانية لبعض الحروف فسوف أتحدثها وكذلك سأصرف النظر عن تفخيم بعض الحروف الجامدة التي فحّمها القدامى ون مبرر صوتي لا في اليونانية ولا في اللاتينية ولا في العربية .

(٦) انظر ح - الحروف الليننة المزدوجة اليونانية وخصائصها ، ص ١١٢ - ١١٦ ، ح - الحروف الليننة المزدوجة اللاتينية وخصائصها ، ص ١٣٠ - ١٣٤ .

(٧) انظر « التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الأعراب لابن جني » للدكتور الأب هنري فليش ، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ، مجلة اللغة العربية ، الجزء الثالث والعشرون ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ٧٤ .

٣ - كتابة الأعلام الإغريقية بحروف عربية

١ - أصوات حروف الأبجدية اليونانية الجامدة :

تنبيه : الحرف الجامد اليوناني صوت واحد لا يتغير (فيما عدا حرف (جاما ، γ و Γ) انظر التعليق (٢) .

وفيما يلي بيان بهذه الحروف وما يقابلها من حروف الأبجدية العربية :

التعليق	الحروف العربية المقابلة	أسماء الحروف بالعربية	أسماء الحروف باللاتينية	الحروف اليونانية	
				الكبيرة	الصغيرة
(١)	الباء	بيتا	Beta	B	β
(٢)	الجيم	جاما	Gamma	Γ	γ
(٣)	الدال	ديلتا	Delta	Δ	δ
(٤)	الزاي	زيتا	Zeta	Z	ζ
(٥)	الثاء	ثيتا	Theta	Θ	θ
(٦)	الكاف	كابا	Kappa	K	κ
(٧)	اللام	لامبدا	Lambda	Λ	λ
(٨)	الميم	مو	Mu	M	μ
(٩)	النون	نو	Nu	N	ν
(١٠)	ينطق كس بسكون الكاف	كسي	Xi	Ξ	ξ
(١١)	(الباء)	بي	Pi	Π	π
(١٢)	الراء	رو	Rho	P	ρ
(١٣)	السين	سيجما	Sigma	Σ	σ,ς
(١٤)	التاء	تاو	Tau	T	τ
(١٥)	الفاء	في	Phi	Φ	φ
(١٦)	الخاء	نحي	Chi	X	χ
(١٧)	ينطق پس بسكون (الباء)	ميسي	Psi	Ψ	ψ

ملاحظة : ليس في اليونانية حرف جامد يقابل حرف الهاء في العربية ، ولكن هناك علامة تمثل صوت

هذا الحرف . انظر التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائي ، ص ١١٦ - ١١٧

التعليقات

التعليق (١) :

«يرسم هذا الحرف جيما شديدة

(غير معطشة)»

ملاحظة : يلاحظ أن هذا الحرف يحل محل الحرف
(نو ، ٧ ، N) ، أى ينطق نوناً في العربية قبل
الحروف الآتية (جاماً ، ٧ . كآباً ، ٧ ، غى ، ٧ ،
إكوى ، ٧) وأقترح أن تكون هذه الملاحظة بديلاً
للفقرة الثانية من القاعدة .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الخامسة ،
في الحرف (ديلتا ، ٨ ، Δ) - د ٤ .
ج ٣٤ ص ٤١٣ .

كان صوت هذا الحرف حتى القرن
الرابع الميلادى يقابل في العربية صوت
حرف الدال المهملة ثم أصبح صوته يقابل
صوت حرف الدال الأعجمية كما ينطق
الآن في اللغة الحديثة .

وأرى من الأفضل أن نبقى على صوته
الأول في رسم دالاً مهملة .

التعليق (٤) :

قارن المجمع . القاعدة الثالثة والعشرون ،
في الحرف (زيتا ، ٩ ، Z) - د ٤ .
ج ٣٤ ، ص ٤٢٦ .

في الحرف (بيتا ، β ، B) ، لم
يأت ذكره في قواعد المجمع .

بالرغم من أن صوت هذا الحرف صار
في العصور المتأخرة مثل صوت الحرف (V)
في الإنجليزية ، إلا أن النقلة القدامى
انصرفوا عن هذا الصوت لأنه غير
موجود في الأبجدية العربية ، وعلى
ذلك يرسم باء خفيفة في العربية .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة ، في
الحرف (جاماً ، ٧ ، ٢) - د ٤ .
ج ٣٤ ، ص ٤١٦-٤١٧ .

لم أصل إلى أن الإغريق القدامى قد
نطقوا هذا الحرف بما يشبه صوت حرف
الغين في العربية كما ينطق الآن في اللغة
الحديثة ، ولعله كان نطقاً دارجاً جرى
على ألسنة العامة في عصور الترجمة أو
أن المترجمين قد خلطوا بين أصوات
الحروف في اللغات المختلفة التي كانوا
يترجمونها . وعلى هذا أقترح تعديل
القاعدة كالآتي :

إن صوت هذا الحرف لا يقابل تماماً صوت حرف الزاى العربية ، فهو مركب من حرفي (الديلتا والسيجما ، $\sigma, s + \delta$) ، ومع ذلك فالزاى العربية قريبة الشبه به ، ولهذا أقررأى المجمع ، في إثبات هذا الحرف زايا .

التعليق (٥) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة عشرة ، في الحرف (ثيتا ، θ ، Θ) - د ٤٤ - ص ٤٢٣ .

أقر رأى المجمع في نقل هذا الحرف إلى العربية ثاء .

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة ، في الحرف (كابا ، κ ، K) - د ٤٤ - ص ٤١١ - ٤١٢ .

إن صوت هذا الحرف يقابل في العربية حرف الكاف تماماً ولذلك لا أرى رسمه قافاً ، فهذا لا يقابل صوت الحرف في لغته الأصلية ثم إنه لا يتفق مع قواعد الصوتيات العربية ، فابن جنى^(٨) يقول

إن القاف أصل لا بدل ولا داعى لقلب الكاف قافاً . ويسرنى أن بعض أعضاء اللجنة بالمجمع قد قال بهذا ولكن لم يؤخذ برأيه . ومازلت أعتقد أن القرار في حاجة إلى مراجعة ، وأقترح على أية حال التعديل الآتي :

«يثبت هذا الحرف كافاً في العربية»

التعليق (٧) :

في الحرف (لامبدا ، λ ، Λ) ، لم يأت ذكره في قرارات المجمع «يرسم هذا الحرف في العربية لاماً»

التعليق (٨) :

في الحرف (مو ، μ ، M) ، لم يأت ذكره في قرارات المجمع «يرسم هذا الحرف في العربية ميماً»

التعليق (٩) :

في الحرف (نو ، ν ، N) ، لم يأت ذكره في قرارات المجمع «يرسم هذا الحرف في العربية نوناً»

(٨) انظر سر صناعة الإعراب لابن جنى ، الجزء الأول ، تحقيق الأستاذة : مصطفى السقا وآخرين ، طبعة

التعليق (١٠) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية والعشرون ،
في الحرف (إكسى ، ع ، هـ) -
د . ٤ . ح ٣٤ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

هذا حرف جامد مركب ، يتركب
من حرفي (كا با وسيمجما ، ك ، س) وأتفق
مع المجمع الموقر في أن يؤدي صوت هذا
الحرف في العربية كما ينطق . كافاً
ساكنة متبوعة بحرف السين . وأيسر
نقلها إلى العربية كالاتي :

١ - يرسم في أول الاسم (إكس)
طبقاً لقاعدة الابتداء بالساكن (انظر
التنبيه الخاص بالأعلام المبدوءة بالساكن
ص ١١٧)

٢ - يرسم في وسط الاسم (كس)
بسكون الكاف ، (أما حرف السين فيحرك
وفقاً لحركة الحرف اللين التالي له) .

التعليق ١١ :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة عشرة ،
في الحرف (بي ، س ، ط) - د . ٤ .
ح ٣٤ ص ٤٢٠ - ٤٢١ خلافاً لما ورد بهذه

القاعدة في الأرقام (١ - ٣) فإن صوت
هذا الحرف في لغته الأصلية يقابل صوت
باء شديدة لا فاء (فالصوت الأخير
سرياني لا يوناني) وعلى ذلك أرى
الاحتفاظ بصوته اليوناني دون تحفظ .

وهنا يتعين إدخال صوت الحرف باء
الشديد في العربية أسوة بما قرره المجمع
الموقر بقبول صوت الحرف (٧

الانجليزي) ونقله في العربية فاء بثلاث
نقط^(٩) ، فيكتب باء أسفلها ثلاث
نقط (پ) . إن الحاجة ماسة إلى هذا

الحرف لأنه سيرفع اللبس بين صوت
الحرفين الباء والفاء . وأسوق المثل التالي
الذي يقوم دليلاً على ضرورة التمييز
بين الباء والفاء : انظر إلى الاسمين
الآتين Πάρος - وبالحروف اللاتينية
(Paros) ، (Φάρος) وبالحروف اللاتينية
(Pharos) فأولهما يبدأ بالحرف (بي Π)
والثاني بالحرف (في φ)

وينطقان بطريقة السريان « فاروس »
مع أنهما علمين مختلفين تمام الاختلاف ،
فالاسم الأول علم على جزيرة في بحر
إيجة والثاني علم على جزيرة مصرية

(٩) انظر د . ٤ . ح ٣٢ ، ص ٣٩٨

تجاه مدينة الإسكندرية القديمة ، وعلى
هذا أقترح تعديل القاعدة كالاتي :

« يرسم هذا الحرف باء شديدة (پ)

وذلك في جميع الأحوال »

التعليق (١٢) :

في الحرف (رو ، ρ ، P) ، لم
يأت ذكره في قرارات المجمع .

هذا الحرف منقّس في اليونانية ،
أي هائي الجرس ولكن نقله بصوته
اليوناني متعذر في العربية ، ولهذا يرسم
راء كما نصت قاعدة المجمع بذلك .

التعليق (١٣) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة
عشرة ، في الحرف (سيجما ، σ ، Σ)

- د ٤ ج ٣٤ ، ص ٤٢٢

ملاحظة : للحرف سيجما الصدير شكلان :
أولهما (σ) يكتب في أول الكلمة اليونانية وفي أي
وضع آخر منها إلا نهايتها . أما الثاني (Σ) فيكتب
فقط في نهاية الكلمة ، مثال ذلك : σύστασις .

أرى أن يكتب في يرسم هذا الحرف
سينا وصرف النظر عن حرفي الصباد
والشين المعجمة ، لأن صوت الصباد
والشين لا تقابلان صوت الحرف

اليوناني بحال من الأحوال . ولهذا
أقترح تعديل القاعدة كالاتي :

« يرسم هذا الحرف سينا فقط »

التعليق (١٤) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة عشرة ،
[في الحرف (تاو ، τ ، T) - د ٤
ج ٣٤ ، ص ٤٢٣

أرى أن نقل هذا الحرف طاء في
العربية بسبب غلبة استعماله كذلك
عند العرب لاسندله لغوياً وصوتياً. أضف
إلى هذا أن أصحاب اللغة أنفسهم لم يعرفوا
هذا الصوت في جميع عصور اللغة ، ولهذا
يجب التخلي عن هذا الصوت وأقترح
تعديل القاعدة كالاتي :

« يرسم هذا الحرف في العربية تاء »

التعليق (١٥) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة ، في
الحرف (في ، φ ، Φ) - د ٤ ،
ج ٣٤ ، ص ٤١٦

هذا الحرف منقّس في اليونانية ، أي
له جرس حرف (بي ، π) الهائي . وهو
في حقيقة الأمر لا يقابل صوت الحرف

المركب (Ph) في اللغات الأوروبية ولا الفاء في العربية ، ولكن تيسيرا لنطقه اصطلح على أن يكون صوته مثل صوت (Ph) في اللغات الأوروبية ، ولهذا يرسم فاء في العربية .

التعليق (١٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة ، في الحرف (نجي ، % ، X) - د ، هـ ، ح ٣٤ ، ص ٤١٢ .

☞ أوافق على نقل هذا الحرف اليوناني خاء في العربية ، ولكن لما كانت القاعدة قد قرنته بالحرف اللاتيني المركب (kh ، oh) ، الذي لا يقابل صوته صوت الخاء في العربية لأن الأبجدية اللاتينية ليس بها مثل هذا الصوت (انظر - أ - أصوات الحروف الجامدة اللاتينية ، التعليق (٢٠) الخاص بالحرف المركب (Oh) ، فإنني أقترح تعديل القاعدة كالآتي :

« يرسم هذا الحرف اليوناني خاء في ☞

التعريب » :

القاعدة (١٧) :

في الحرف المركب (إيسى ، ψ ، Ψ) لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر .

هذا حرف جامد مركب ، يتركب من (بي ، π ، σ ، s) ، أي إيس بسكون الباء الشديدة ، وهو يرسم كالحرف المركب (إكسى ، ξ ، Ξ) أي كما ينطق ، باء ساكنة متبوعة بالحرف سين . وأيسر نقلها إلى العربية كالآتي :

١- يرسم في أول الاسم (إيس) طبقا لقاعدة الابتداء بالساكن (انظر التنبيه الخاص بالأعلام المبدوءة بحرف ساكن ، ص ١١٧ - ١١٨) .

٢- يرسم في وسط الاسم (يس) بسكون الباء (أما حرف السين فيحرك وفقا لحركة الحرف اللين التالي له) .

(ب) أصوات حروف الأبجدية اليونانية اللينة :

ملاحظة : للحرف اللين اليوناني صوت واحد لا يتغير وإن كان ممدوداً أو مخففاً .

وهذه الحروف السبعة هي :

(ألفا ، α ، A) ، (إيبسيلون ، E ، ε) ، (إيتا ، η ، H) ، (إيوتا ، I ، ι) ، (وأميكرون ، ο ، O) ، (أوبسيلون ، Y ، υ) ، (أوميغا ، ω ، Ω) ، وهي

إما ممدودة أو مخففة على النحو الآتي :

١- (H ، η) ، (Ω ، ω) حرفا مد بطبيعتهما .

٢- (E, ε) ، (O, o) حرفان مخففان (قد يكونان ممدودين في بعض المواضع) .
 ٣- (A, α) ، (I, ι) ، (Y, υ) إما ممدودة أو مخففة .
 وفيما يلي بيان بهذه الحروف وأصواتها

اليونانية مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية ، أما الأصوات العربية المقابلة فستذكر في التعليقات ؛ انظر ، (١) إلى (٧) .

الحروف اليونانية	أسماء الحروف باللاتينية	أسماء الحروف بالعربية	أصوات الحروف مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية	التعليق
الكبيرة	الصغيرة			
A	α	ألفا	الحرف الممدود : مثل صوت (a) في كلمة (father) الإنجليزية .	(١)
E	ε	إيپسilon	الحرف المخفف : مثل صوت (e) في كلمة (met) الإنجليزية .	(٢)
H	η	إيتا	الحرف الممدود : مثل صوت الحرف (a) في كلمة (mate) الإنجليزية .	(٣)
I	ι	إيوتا	الحرف الممدود : مثل صوت الحرفين (ee) في كلمة (feed) الإنجليزية . الحرف المخفف مثل صوت (i) في كلمة (fit) الإنجليزية .	(٤)
O	o	أوميكرون	الحرف المخفف : مثل صوت (o) في كلمة (not) الإنجليزية .	(٥)
Y	υ	أوبسيلون	الحرف الممدود : مثل صوت (u) في كلمة (tue) الفرنسية . الحرف المخفف : مثل صوت (u) في كلمة (du pan) الفرنسية .	(٦)
Ω	ω	أوميغا	الحرف الممدود : مثل صوت الحرفين (oa) في كلمة (broad) الإنجليزية .	(٧)

تنبه : أصوات الحروف اللينة كما اقترحها :

إن حروف الرقمين (٢) ، (٣) وهى مخففة بطبيعتها بعامية ، قد تكون ممدودة أيضاً إذا تلا أى حرف منها حرفان جامدان أو حرف جامد مركب وفى حالات أخرى معقدة وحافلة بالاستثناءات التى لا يستطيع الوقوف على أسرارها إلا مختص ، وبالرغم من أن صوت الحرف الممدود اليونانى يقابله الألف والواو والياء فى العربية بحسب صوت الحرف اللين اليونانى وبالرغم من أن صوت الحرف اليونانى المخفف يودى بالفتحة والضمة والكسرة ، فإن المعربين القدامى - وكذلك المحدثين - لم يعمدوا بنقل أصوات هذه الحروف إلى العربية كما يجب ، فإنهم أحياناً يجمعون الممدود مخففاً والمخفف ممدوداً ، ولهم عذرهم فى ذلك لأن التمييز بين الممدود والمخفف يتطلب دراسة صوتية متخصصة وعيقة . ثم إن هؤلاء المعربين ، قدامى ومحدثين ، فى نقلهم الأعلام إلى العربية لا يعمدون بالتشكيل ، كالفتحة والضمة والكسرة التى تمثل ما يقابلها من الحروف اليونانية المخففة ، الأمر الذى لا يمكن القارئ من

قراءة الاسم وفقاً لأصوات الحروف اللينة اليونانية ولا من الاعتماد كذلك إلى صورة الاسم الحقيقية فى لفته . كل هذا حداً بي إلى أن أعتبر جميع الحروف اللينة حروف مد . وهذا الاتجاه ، وإن كان غير دقيق صوتياً من حيث طبقة الصوت للحرف ، مئداً وقصراً ، إلا أنه فى اعتقادى أفضل بكثير من الطريقة العشوائية التى اتبعها المعربون القدامى ويتبعها الآن المعربون المحدثون بجعل الممدود مخففاً والمخفف ممدوداً ، وهو كذلك أفضل من عزوفهم عن التشكيل . وأضرب مثلاً يقوم دليلاً على سلامة هذا الاتجاه نسبياً : فالأصل عند تعريب العلم (Αργος - وبالحروف اللاتينية Argos) أن توضع ضمة على الحرف السابق على الحرف اللين المخفف (σ) ، فإذا أهمل وضع الضمة على هذا الحرف ونقل الاسم إلى العربية (أرجس) ، فإن القارئ لهذا الاسم لا يستطيع معرفة العلم ولا صورته الأصلية فى لفته ، وبالعكس إذا استعاض عن الضمة بالواو وكتب الاسم (أرجوس) لاستطاع أن يهتدى إلى الاسم المقصود والرجوع إليه فى لفته الأصلية بسهولة .

التعليقات

التعليق (١) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية ، فى الحرف (ألفا ، α ، A) - د ٤ ج ٣٣ ص ٤٠٨ - ٤٠٩

أحاول فى هذا التعليق أن أكون قريباً من أصوات الحروف اليونانية وأن أبسط عرض الحرف فى الوقت نفسه . وأرى أن ينقل إلى العربية كالاتى :

١- يُرسم هذا الحرف فى أول الاسم همزة مفتوحة .

٢- يُرسم فى وسط الاسم ألفاً .

٣- يُرسم فى آخر الاسم ألفاً ليناً .

٤- يُرسم تجوزاً فى آخر الاسم تاء مربوطة إذا سبقه الحرف (ا) أو المزدوجان (εα) أو الحرف الجامد (رو ، ρ ، P) الذى يعتبر وسطاً بين الجامد واللين لميوعته .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة ، فى الحرف (إيپسيليون ، ε ، E) ، الرقمان

(١) ، (٢) - د ٤ ح ٣٤ ، ص ٤١٣ - ٤١٤

كلمة ضحى وأقترح أن ينقل إلى العربية كالاتى :

صوت هذا الحرف يشبه في العربية الألف المماله في سكارى ، وأقترح أن ينقل إلى العربية كالاتى :

١ - يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة (وليس همزة مفترحة كما ورد فى قاعدة المجمع) .

٢ - يرسم فى وسط الاسم ياء (أو كسرة إذا عني بتشكيل) .

١ - فى أول الاسم يرسم ألفاً مكسورة بعدها ياء (ذلك لأن الإمالة أن تميل بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء) .

٢ - فى وسط الاسم يرسم ياء ممدودة .

٣ - فى آخر الاسم يرسم ياء ممدودة أو ألفاً لينه * .

ملاحظة : إن مادمانى إلى مخالفة المجمع الموقر فى الرقمين (١) ، (٢) هو حرصى الشديد على تجنب اللبس بين صوت هذا الحرف وصوت الحرف (ألفا ، α ، A) - انظر التعليق رقم (١) - وأضرب مثلاً يوضح حرصى هذا : إذ نقل الاسم (Ephesos) إلى العربية (أفاسوس) كما ورد فى قاعدة المجمع (١) ، أصبح صوت الحرف (E) فى أول الاسم وفى وسطه هو صوت الحرف (α) ، وفى هذا لبس شديد . إن كتابة هذا الاسم فى العربية (إفيسوس أو إفسوس) لأقرب إلى صورة الاسم الأصلية . ولهذا أرجو أن يأخذ المجمع الموقر برأى هذا أو يتفضل بمناقشتى فيما ذهبت إليه .

ملاحظة : الألف اللينة هنا تقابل (الحرف α) وهى نهاية الكلمة المؤنثة المفردة فى اللهجة الدورية (ذلك أن الأسماء المؤنثة المفردة فى اللهجة الأتيكية ، إذا ما انتهت فى حالة الرفع بالحرف (η) انتهت فى اللهجة الدورية بالحرف (α) ويصح فى هذه الحالة عند التعريب أن يحل صوت الحرف (α) محل الحرف (η) وذلك لحقة الحرف الأول عن الثانى . وهذا ما حدا بالأستاذ الجليل الدكتور طه حسين إلى تعريب مأساة (Ἀντιγόνη) بالاسم (أنيتجوننا) بدلا من (أنيتجونى) .

وأما ذكره المجمع الموقر فى رقم (٣)

يرسم هذا الحرف - η - بياء وتاء مربوطة (ية) أسوة بالقللة القدامى فهو لا يمثل صوت الحرف فى لغته ولا يعتمد على قاعدة صوتية عربية . . وأرى أن (أفريكا) أصبح من (أفريقية) و (روما) أصبح من (رومية) .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة ، رقم (٣) فى الحرف (إيتا ، η ، H) - د ٤ ح ٣٤ ص ٤١٤ - ٤١٥

صوت هذا الحرف الممدود بطبيعته يقابل صوت الألف المماله الممدودة فى

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية عشرة ،
في الحرف (ايوتا I،١٠) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤١٨ - ٤١٩

أقترح أن يرسم هذا الحرف كآلى :
١- يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة ،
وهذا ما قال به المجمع الموقر .

٢- يرسم فى أى جزء من بنية الاسم
ياء (مخافة إغفال وضع الكسرة تحت
الحرف الذى قبله ، إذ بالرغم من أن
المجمع الموقر قد قرر أن يمثل هذا الحرف
بكسرة تحت الحرف الذى قبله ، فإنى
لم أر أثرا لهذه الكسرة فى الأمثلة التى
صاحبت القاعدة ، وهذا ما يجعلنى أتمسك
مضطرا باتجاهى فى هذا الصدد) .

التعليق (٥) :

قارن المجمع - القاعدة الثالثة عشرة فى
الحرف (أوميكرون O،٥٠) - د ٤
ح ٣٤ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠

خشية إهمال وضع حركات التشكيل ،
أنخالف المجمع الموقر فى رقم (١) ، (٢)
الذى صاحبتة أسماء لم يظهر فيها أى أثرا

للحركات التى تنص القاعدة عليها .

وأقترح أن يكون صوته كآلى :

١- يرسم فى أول الاسم همزة مضمومة
فقط أو بعدها واو .

٢- يرسم فى أى جزء من بنية الاسم
واوا .

وأود أن يأخذ المجمع الموقر برأى
ويتنازل عما ذكره فى رقم (١) ، (٢)
من القاعدة لأنه لا يمثل قاعدة صوتية
يونانية .

وأقترح حذف ما ذكر فى رقم (٣)
لأن الكلام هنا عن حرف (أوميكرون)
لا الحرف (أوميجا) وسوف أناقش هذا
عند الكلام عن صوت الحرف (أوميجا)
الذى لم يعالج هنا بطريقة علمية انظر
التعليق (٧) ، ملاحظة .

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية والعشرون ،
فى الحرف (أوبسيلون Y،٧٠) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦

ليس لصوت هذا الحرف شبيه فى اللغة
العربية إذ أن صوته واو مائلة إلى الياء ،

وهذا ما حدا بالمعربين القدامى إلى نقله إلى العربية واوا حيناً وياء حيناً آخر . وعلى هذا يمكن رسم هذا الحرف تجوزاً واوا أو ياء . ويكون صوته كالألف :

- ١- يرسم هذا الحرف في أول الاسم «هُو» وذلك لأنه بطبيعته هاء الجرس في أول الكلمة (انظر التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائي، ص ١١٦-١١٧)
- ٢- يرسم في أى جزء من بنية الاسم واوا أو ياء .

ملاحظة : لكي يكون نطق العلم مستساغاً في العربية أقترح أن يرسم هذا الحرف ياء فقط إذا كان في بنية الاسم صوت أو أكثر يقابل حرف الواو . مثال ذلك الاسم (Λικυμίδης) فكتابة هذا الاسم بالعربية (ليكوميدس) أخف في النطق من (لوكوميدس) .

التعليق (٧) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة عشرة ، في الحرف (أوميجا ، Ω ، ω) ، رقم (٣) - د ٤ . ح ٣٤ ، ص ٤٢٠

ليس لهذا الحرف الممدود بطبيعته صوت مقابل في اللغة العربية ، إلا أنه يمكن القول بأن صوته قريب من صوت الواو المائلة إلى الألف في كلمة (عون ، النطق الدارج للفظ العربي عون) . ويرسم هذا الحرف في العربية كالألف :

- ١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة ممدودة (مائلة إلى الألف) أو همزة مضمومة بعدها واو وذلك للتيسير .

- ٢ - يرسم في أى جزء من بنية الاسم واوا (مائلة إلى الألف) .

ملاحظة : لاحظت أن صياغة ماورد في رقم (٣) - وهو عن هذا الحرف - غير واضحة ومضطربة في نفس الوقت . وأغلب الظن أنه وقع فيها بعض الأخطاء المطبعية ، ذلك لأنه من المستحيل أن يرسم هذا الحرف واوا ونوناً إلا إذا كان حرف (٧) أحد حروف الاسم ، وأذكر على سبيل المثال الاسم (Σαπφώ) فهو ينطق (سافو) لا سفون (كما ورد في الأمثلة المصاحبة لهذه القاعدة ، فن أين أتت هذه النون التي لا وجود لها في بنية الاسم ؟ انظر ، ١ - أصوات الحروف اللاتينية اللينة ، التعليق - ٤ - ، فاذكرته هناك يعتبر تصحيحاً لما ورد في هذه القاعدة .

ج - أصوات الحروف اللينة المزدوجة اليونانية :

ملاحظة : المزدوج هو وحدة صوتية تتألف من حرفين لينين معينين ويشترط عند النطق بها أن يحس كلا الحرفين المكونين لها على أن يكون ذلك مختلاً ، وقد ظل صوت المزدوج ممدوداً في عصور اللغة المختلفة .

والحروف اللينة المزدوجة هي : αι ، αυ ، ει ، ου ، οι ، ει ، υι ، ου . أما جرسها اليوناني فمما حاول تقريبه بأصوات ، إنجليزية أو فرنسية ، وسوف أذكر الأصوات العربية المقابلة في التعليقات ، انظر ، (١) - (٦) .

اليونانية المزدوج (αι) والمزدوج المكون من الألف المفتوحة بعدها واو ساكنة مثل (أو) وهي تقابل في اليونانية المزدوج (αυ) وقد توافق صوتا هذين المزدوجين في العربية وفي اليونانية كما سنرى على أساس أن محى الياء أو الواو بعد الفتحة أمر ممكن (١٢).

وبالنسبة لأصوات المزدوج الأصلية والمتأخرة، فأراني أجنح إلى التمسك بالأصوات القديمة الأصلية لأنها وحدها التي تساعد على النطق الصحيح للأعلام كما نطقها أصحاب الأعلام أنفسهم، ومع ذلك سأعرض تعليقا في الأصوات الأصلية والمتأخرة، وأناقش ما أراه جديرا بالمناقشة وأترك للمعرب تخير ما يحلو له من هذه الأصوات، أصلية كانت أو متأخرة.

ولأول مرة سأذكر بعض الأعلام في صورتها اليونانية وأنقلها إلى العربية، بعد أن انتهيت من الكلام عن الحروف اليونانية، جامدة وليئة

وفيما يلي بيان بهذه الحروف.

تلميح: لقد اعتري بعض أصوات هذه الحروف التغير والتحريف عبر الأجيال والقرون، فأخذت تنحرف عن أصواتها الأولى الأصلية التي كانت تمثل صوت المزدوج كأحسن ما يكون التمثيل فأصبح صوت المزدوج (αι، εα) يقابل صوت الحرف (ε الممدود) وصار صوت المزدوجين (οι، ου) يقابل صوت الحرف (υ الممدود) وما لاريب فيه أن عدم التمييز بين أصوات المزدوجين (αι، εα) ثم بين المزدوجين (οι، ου) كما رأينا يسبب لبسا شديدا للمعرب ولا يساعده على الوصول إلى الاسم المعرب في لفته. لقد اكتفى المجمع الموقر في قراراته بوضع قواعد عن المزدوجين (εα) (١٠)، (αι) (١١) ولم يتعرض لأصوات الحروف المزدوجة الأخرى التي ذكرتها، ولو أنه فعل لوقف على هذه الظاهرة المؤسفة. وأغلب الظن أنه لم يتناولها بالبحث لأن أصوات هذه الحروف المزدوجة اليونانية ليس لها نظائر في العربية فيما عدا صوت المزدوج المكون من الهزة أو الألف المفتوحة بعدها ياء ساكنة مثل (أى) وهي تقابل في

المزدوج	صوته الأصلي مقربا بأصوات إنجليزية	صوته المتأخر	التعليق
αι	مثل صوت الحرف (i) في كلمة (idle) الإنجليزية .	تغير صوته في القرن الثاني الميلادي إلى صوت الحرف (e) الممدود	(١)
αυ	مثل صوت الحرفين (ou) في كلمة (house) الإنجليزية .	احتفظ بصوته الأصل	(٢)
εα	مثل صوت الحرفين (ee) في كلمة « meet » الإنجليزية أو صوت الحرفين (ey) في كلمة (grey) الإنجليزية .	تغير صوته إلى صوت الحرف (e) الممدود (أو صوت الحرف l الممدود) في القرن الأول ق.م	(٣)
ευ	مثل صوت الحرفين (ew) في كلمة (new) الإنجليزية .	احتفظ بصوته الأصل	(٤)
οι	مثل صوت الحرفين (oi) في كلمة (boil) الإنجليزية .	تغير صوته إلى صوت الحرف (u) الممدود في القرن الثالث الميلادي	(٥)
ου	مثل صوت الحرفين (oo) في كلمة (moon) الإنجليزية أو صوت الحرفين (ou) في كلمة (youth) الإنجليزية .	تغير صوته إلى صوت الحرف (u) الممدود ، دام ١٥٠ ق.م	(٦)

(١٠) انظر القاعدة الثانية، د ٤٤، ٣٣، ص ٤٠٩ - ٤١٠

(١١) انظر القاعدة السابعة د ٤٤، ٣٤، ص ٤١٥ - ٤١٦

(١٢) انظر ص ٧٦ من بحث « التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني » انظر كذلك الحاشية رقم (٧) .

التعليقات

التعليق (١) : صوت هذا المزدوج الذى احتفظ بصوته

الأصلى كالآتى :

١ - يرسم هذا الحرف فى أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها واو ساكنة وهذا ممكن فى العربية . مثال ذلك :

أوليس $\text{A}\tilde{\upsilon}\lambda\iota\varsigma$

٢ - يرسم فى وسط الاسم ألفاً بعدها واو ، مثال ذلك :

تاؤروس $\text{T}\alpha\upsilon\rho\omicron\varsigma$

التعليق (٣) :

فى المزدوج (av) ؛ لم يأت ذكره فى قرارات المجمع الموقر ، وصوته كالآتى :

١ - يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة بعدها ياء مكسورة (الصوت المتأخر) مثال ذلك :

إيراس $\text{E}\tilde{\iota}\rho\acute{\alpha}\varsigma$

٢ - يرسم فى وسط الاسم ياء مكسورة (الصوت المتأخر) ، مثال ذلك :

بوسيدون $\text{Π}\omicron\sigma\epsilon\iota\delta\tilde{\omega}\nu$

قارن قرار المجمع . القاعدة الثانية

فى المزدوج (av) رقم (١) - د ٤ ، ح ٣٣، ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

يُرسَم هذا المزدوج كالآتى :

١ - يرسم فى أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها ياء ساكنة ، وهذا ممكن فى العربية (وليس همزة مكسورة كما ورد فى قاعدة المجمع) ؛ مثال ذلك :

آيسوبوس $\text{A}\tilde{\iota}\sigma\omega\pi\omicron\varsigma$

٢ - يرسم فى أى جزء من بنية الاسم ألفاً بعدها ياء (الصوت الأصلى) أو ياء مكسورة (الصوت المتأخر) ، مثال ذلك

أريستايوس (الصوت الأصلى) ،
أريستيوس (الصوت المتأخر) $\text{A}\tilde{\rho}\iota\sigma\tau\alpha\iota\omicron\varsigma$

التعليق (٢) :

فى المزدوج (av) ؛ لم يأت ذكره فى قرارات المجمع الموقر .

التعليق (٤) :

قارن المجمع القاعدة السابعة
في المزدوج (ev) - د ، ، ٣٤٠ ،
ص ٤١٥ - ٤١٦ . وصوت هذا المزدوج
كآلآي :

١ - يرسم هذا الحرف في أول الاسم
همزة مكسورة بعدها ياء مضمومة أو
يرسم ياء مضمومة بعدها واو (أمّا ما أقره
المجمع برسمها همزة مضمومة بعدها
واو ففيه لبس يأتى من عدم التمييز بين
صوت هذا المزدوج وبين صوت الحرف
(أوميجا ω) ، مثال ذلك :

إيوكلیديس أو يوكليديس (إقليدس)
Εὐκλείδης

٢ - يرسم في وسط الاسم ياء مضمومة
بعدها واو ، مثال ذلك :

تِيُوكروس Τεῦκρος

التعليق (٥) :

في المزدوج (oi) ، لم يأت ذكره
في قرارات المجمع المقرر ، وصوته

١ - يرسم هذا المزدوج في أول الاسم
همزة مضمومة بعدها ياء ساكنة (الصوت
الأصلي) ، أو يرسم ألفاً مضمومة بعدها
واو (الصوت المتأخر) ، مثال ذلك :
أَيْنُونِي (أَيْنُونَا) (الصوت الأصلي) ،

أُونُونِي (أُونُونَا) (الصوت المتأخر) ،
Οἰνώνη

٢ - يرسم في وسط الاسم واو بعدها ياء
ساكنة (الصوت الأصلي) أو واو
(الصوت المتأخر) مثال ذلك :

فوينيكس (الصوت الأصلي) ،
Φοῖνιξ (الصوت المتأخر)

ملاحظة : يلاحظ أن صوت هذا المزدوج أصبح
مثل صوت الحرف اللين (ι) في عصور متأخرة ولكن
لا أستطيع الأخذ بهذا الصوت لأن أحداً من المعربين
سوف لا يلتفت إليه عند التعريب ، ثم إنه صوت مفتل .

التعليق (٦) :

في المزدوج (ov) ، لم يأت ذكره
في قرارات المجمع المقرر .

إن صوت هذا المزدوج يتفق في
صوته الأصلي والمتأخر مع صوت الواو
في العربية ، صوته كآلآي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة
بمدها واو ، مثال ذلك :

أُورَانُوس Οὐρανός

٢ - يرسم في وسط الاسم واو ممدودة .
بوسيريس Βούσιρις .

تلبينه : علامة التنفيس أو الجرس الهائى :
ليس في الأبجدية اليونانية حرف يقابل حرف الهاء
في العربية ، ولكن هناك علامة تشبه القوس الصغير
المفتوح من الجهة اليمنى توضع عن يسار الحرف اللين

الأول من الاسم مثل (A) وعلى الحرف الثاني من المزدوج ، مثل (Al) لتكسب الحرف اللين أو المزدوج صوتاً هائياً . وهذا ينطق الحرف (A) على سبيل المثال (ها) ، وينطق المزدوج (A') (هاى) . وهذه العلامة إذا إن صاحبت الحروف اللينة والمزدوجة التى يبدأ بها الاسم وكذلك الحرف الجامد (رو ، ρ ، P) أكسبته جرساً هائياً ، مثال ذلك :

هالوس ἄλως

هيكثور Ἑκτωρ

هيراكليس Ἡρακλῆς (هرقل)

هوميروس Ὅμηρος

هوروس (حورس) Ὠρος

رودوبى (رودوپا) Ροδόπη

(يلاحظ أن حرف (P) لم يظهر معه الجرس الهائى فى التعريب ، وذلك لصعوبة النطق به فى العربية .)

هايمون (الصوت الأصلي) ، هيمون

(الصوت المتأخر) . Ἀΐμων

ملاحظة : الحرفان (أوبسيلون v ، رو P) هما الوحيدان اللذان تصاحبهما علامة التنفيس دائماً ، وأما الحروف الأخرى فقد تكون هائية الصوت كما رأينا أو لا تكون ، مثال ذلك :

أكاديمية ، أكاديمية Ἀκαδημία

تنبيه : الابتداء بالساكن :

قارن المجمع ، القاعدة الأولى -

د ، ح ٣٣ ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨

إذا استحال النطق بالمبدوء بالساكن فى العربية ، فالأمر غير كذلك فى

اليونانية ، وعلى ذلك إن طبقت قاعدة الابتداء بالساكن على الأعلام الإغريقية فسوف تكون صورة هذه الأعلام فى العربية مختلفة عن صورتها فى اليونانية ومادام بعض المعربين العرب لم يأخذوا بهذه القاعدة ، فأرى أن يرسم طبقاً للقاعدة العربية فى حالة واحدة فقط ، وهى رقم (١) وفيما عدا هذا يتبع أسلوب صوتى آخر فى رقمى (٢) ، (٣) كالآتى :

١ - تزداد همزة مكسورة فى أول الاسم إذا كان أول حرف لين فيه هو (ε) أو (ι) أو (η) ، مثال ذلك :

إفريكسوس Φριξος

إكسيريكيس Ξέρξης

٢ - تزداد همزة مفتوحة فى أول الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه حرف (α) ، مثال ذلك :

أبلاتون (أفلاطون) Πλάτων

٣ - يضم الحرف الأول من الاسم إن كان الحرف اللين الأول منه هو حرف (ο أو υ أو ω أو h) ، مثال ذلك :

بروميثيوس Προμηθεύς

أسيخا Ψύχη

Πλούταρχος	بُلوتارخوس	نوع واحد مثل (λλ ، μμ) في
Πρωταγόρας	پروتاجوراس	العربية حرفاً واحداً مشدداً ، مثال ذلك :
Καλλίμαχος	كالِيماخوس	تنبيه : نطق الحروف المشددة (المضعفة) في الاسم :
Λισσός	ليْسوس	ينطق الحرفان الجامدان اللذان من ،

نماذج من الأعلام للتطبيق على التعليقات^(١٣)

Γοργώ	جورجو	Ἀρχιμήδης (أرشيملدس)	أرخيميديس
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، تعليق - ٧ - ، ملاحظة)		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة : التعليق - ١٦ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٣ -)	
Διόνυσος	ديونيسوس	Ἀφροδίτη	أفروديتي ، أفروديتا .
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٣ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٦ - ، رقم - ٢ -)		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٣ - ، رقم - ٣ -)	
Ἐνδυμίων	إيندوميون	Ἀνδρομέδα	أندروميدا .
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٢ - ، رقم - ١ -)		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٣ -)	
Ἡλος	هيلوس	Ἀγχίσης	أنخيسيس
انظر (التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائي ، ص ١١٦)		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٢ - ملاحظة)	
Ζήνων	زينون	Βρασίδης	أبراسيداس
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٤ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٧ -)		انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ٢ - ، ص ١١٧)	
Ἡλέκτρα	إيليكترا ، إيليكتره	Γοργίαι	جورجياس
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٣ - ، رقم - ١ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٢ -)	

(١٣) عن المزدوج ، انظر : - أصوات الحروف اللينة المزدوجة والتعليق على كل مزدوج منها .

أوسيريس (أوزيريس) Ὀσιρις*

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٥ -)

بيثاجوراس (فيثاغورس) Πυθαγόρας

انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ١١ -)

رودوس (رودس) Ῥόδος

انظر (التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس
الهائى ولاحظ تعدد نطق الراء المنفصلة فى العربية)

إستيسيخوروس Σησιχορος

انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ،
رقم - ١ - ، ص ١١٧)

تيموكراتيس Τιμοκράτης

انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ١٤ -)

إفريجيا ، إفريجيا ، إفريجية Φρυγία

انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق ،
- ١٥ -)

فيليبوس (فليب) Φιλίππος

انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة فى الاسم ص ١١٨)

خيمائرا ، خيمايرة ، خيميرا ، خيميرة ،

(الصوت الأصيل والأخير) Χίμαιρα

انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ١٦ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة
المزدوجة - التعليق ، - ١ -)

أوريون Ὀρίων

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٧ - ، رقم - ١ - ، - ٢ -)

ثيساليا ، ثيسالية Θεσσαλία

انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة فى الاسم ،
ص ١١٨) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ،
التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)

إيونيا ، إيونية Ἰωνία

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ -)

كادموس Κάδμος

انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة التعليق
- ٦ - ، - ٤ -)

إكليوباترا ، كليوباترا ، كليوباترة .

Κλεοπάτρα

انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ١٤ -)

ليبيا Λιβύη

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٦ - رقم - ٢ -)

ماراثون Μαραθών

انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ٨ -)

ميديا ، مديّة Μηδεια

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ١ - ، رقم - ٣ - ، - ٤ -)

ناكسوس : Νάξος

انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ٩ - ، - ١٠ -)

إكسينوفون Ξενοφών

انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ،
رقم - ١ - ، ص ١١٧)

٤ - كتابة الاعلام الرومانية بحروف عربية

(١) أصوات حروف الأبجدية اللاتينية الجامدة :

ملاحظة : أسماء الحروف اللاتينية ، جامدها ولينها هي تقريباً الأسماء التي تطلق على حروف اللغة الإنجليزية .
تنبيه : للحرف الجامد اللاتيني صوت واحد لا يتغير مطلقاً .

وفيما يلي بيان بهذه الحروف وما يقابلها من حروف الأبجدية العربية :

التعليق	الحروف العربية المقابلة والأصوات المقترحة	الحروف الجامدة	
		الكبير	الصغير
(١)	الباء	B	b
(٢)	الكاف	C	c
(٣)	الدال	D	d
(٤)	الفاء	F	f
(٥)	الجيم (غير المعطشة)	G	g
(٦)	الهاء	H	h
(٧)	(الياء)	I,J	i,j
(٨)	(الكاف)	(K	k)
(٩)	اللام	L	l
(١٠)	الميم	M	m
(١١)	النون	N	n
(١٢)	(الياء)	P	p
(١٣)	الكاف	Q	q
(١٤)	الراء	R	r
(١٥)	السين	S	s
(١٦)	التاء	T	t
(١٧)	واو أو فاء بثلاث نقط	V	u(v)
(١٨)	تنطق كس بسكون الكاف	X	x
(١٩)	الزاي	Z	z
الحروف المركبة			
(٢٠)	الكاف	Ch	ch
(٢١)	الفاء	Ph	ph
(٢٢)	التاء	Th	th

التعليقات

التعليق (١) : ليس هناك داع لقلب الكاف قافاً ، (١٤)
فإذا كان قلب الكاف قافاً معترضاً عليه
في العربية ، فهل يفرض على لغة أخرى ،
لهذا أقترح تعديل القاعدة كالاتي :
« يرسم هذا الحرف كافاً في العربية »

التعليق (٢) :
قارن المجمع ، القاعدة الثالثة ، في
الحرف (O, o) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص
٤١٢ - ٤١١

ملاحظة : كان هذا الحرف ينطق في العصور
الأولى للغة كحرف (G) جيم غير معطشة ، يشهد
بذلك أن اختصار بعض الأعلام التي تبدأ بالحرف (G)
كان يمثل الحرف (C) مثل (Gaius) . وأصبح هذا
الحرف ينطق كحرف (K) ، أي كافاً وعند هذا
اختفى الحرف الأخير من الاستعمال فيما عدا بضع أعلام
احتفظت في بنيتها بهذا الحرف مثل (Kaeso) .

صوت هذا الحرف يقابل في العربية
حرف الكاف ولا أجد مبرراً صوتياً يسمح
بقلب الكاف قافاً ، لأن أصحاب اللغة
لم ينطقوه كذلك ، هذا من ناحية ومن
ناحية أخرى فإن ابن جنى يقول إن
القاف أصلاً لا بدلاً ويقول كذلك بأنه

التعليق (٣) :
قارن المجمع ، القاعدة الخامسة ،
في الحرف (D, d) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص
٤١٣ .

صوت هذا الحرف لا يقابل دالاً
معجمة ، فإن صح هذا تجوزا على الحرف
(Δ, δ) اليوناني فلا يصح على هذا
الحرف بالمرّة ، وعلى ذلك أقترح تعديل
القاعدة كالاتي :

« يرسم هذا الحرف دالا مهملة »

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة ، في
الحرف (F, f) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص
٤١٦ .

(١٤) انظر « سر صناعة الاعراب » ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧٨ . انظر كذلك الحاشية (٨) .

صوت هذا الحرف يقابله في العربية
حرف الفاء، وهو وقف على اللاتينية دون
اليونانية، ويرسم هذا الحرف كآلى:
«يرسم هذا الحرف فاء في العربية».

التعليق (٥):

قارن المجمع، القاعدة التاسعة،
في الحرف (G, g) - د ٤، ح ٣٤،
ص ٤١٦ - ٤١٧.

صوت هذا الحرف حتى القرن السادس
الميلادى يقابل صوت الجيم العربية غير
المعطشة، وليس هناك دليل على أنه نطق
غنيا بالمره، وعلى هذا أقترح تعديل
هذه القاعدة كآلى:

«يرسم هذا الحرف جيماً غير معطشة»

التعليق (٦):

قارن المجمع، القاعدة العاشرة، في
الحرف (H, h) - د ٤، ح ٣٤،
ص ٤١٧ - ٤١٨.

صوت هذا الحرف كآلى:

«يرسم هذا الحرف في العربية هاء»

التعليق (٧):

قارن المجمع، القاعدة الثانية
عشرة في الحرف (J, j) - د ٤،
ح ٣٤، ص ٤١٩.

ملاحظة: الحرف (I, i)، أحد الحروف اللينة،
هو أيضاً حرف جامد (أو نصف جامد كما يسميه النحاة
المحدثون). وهذا الحرف يكون جامداً إذا سبقه حرف
لين أو تلاه آخر. وينطق ياء مثل (iam) وينطق
(يام)، (oïus) وتنطق (إيوس). وللتمييز بين
الحرف (i) اللين والجامد رؤى في عصور متأخرة أن
يمثل الحرف (J) - وهوليس أحد حروف الأبجدية
اللاتينية - الحرف (I, i) الجامد على أن ينطق ياء
مثل (jam) فهي تنطق (يام) كما لو كانت قد
كتبت (iam).

وبالنسبة للأعلام الرومانية، أرى أن
يكون صوت الحرف (J) مقابلاً لصوت
الحرف جيم (المعطشة) وذلك لسهولة
الرجوع إلى الأعلام المبدوءة بهذا الحرف في
المعاجم الكبرى التي خصصت له باباً
خاصاً به. ولكن لا مانع من نطقه ياء
أيضاً. ولهذا أود أن يقرنى المجمع الموقر
على التعديل الآتى:

«يرسم الحرف (J) الممثل للحرف

(I, i) الجامد) جيماً معطشة إذا بدأ به

علم من الأعلام الرومانية فقط ولا مانع
من رسمه ياء أيضاً».

التعليق (٨) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة في
الحرف (K, k) - د ٤ ، ح ٣٤ ،
ص ٤١١

لقد أهمل استعمال هذا الحرف وحل
محلّه الحرف (C, c) ؛ انظر التعليق
- ٢ - ، ملاحظة .

التعليق (٩) :

في الحرف (L, l) ؛ لم يأت ذكره في
قرارات المجمع الموقر ، وصوته كآلآتى :
« يرسم هذا الحرف في العربية لاماً »

التعليق (١٠) :

في الحرف (M, m) ؛ لم يأت ذكره
في قرارات المجمع الموقر ، وصوته
كآلآتى :
« يرسم هذا الحرف في العربية ميماً » .

التعليق (١١) :

في الحرف (N, n) ؛ لم يأت ذكره
في قرارات المجمع الموقر ، وصوته
كآلآتى :
« يرسم هذا الحرف في العربية نوناً »

التعليق (١٢) :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة
عشرة ، في الحرف (P, p) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

صوت هذا الحرف يقابل صوت الپاء
لا الفاء في العربية وذلك في جميع الأحوال
والمواضع ؛ انظر ما ذكرته عن حرف (پي
اليوناني) - (ا) - أصوات الحروف
الجامدة اليونانية ، التعليق - ١١ - (،
وأود أن يوافق المجمع على تعديل القاعدة
كآلآتى :

« يرسم هذا الحرف باء شديدة (أى

باء تحتها ثلاث نقط) » .

التعليق (١٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الخامسة
عشرة ، في الحرف (Q, q) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

ملاحظة : يتبع هذا الحرف دائماً بالحرف اللين
(U) ويبتغان حرفاً واحداً .

صوت هذا الحرف يقابل صوت الحرف
(O) تماماً ، أى يرسم كافاً لا قافاً (انظر ،
ا - أصوات الحروف الجامدة اللاتينية ،

التعليق ٢ -) ، ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالتالي :

« يرسم هذا الحرف في العربية كافاً شأنه في ذلك شأن الحرف (C) .

التعليق (١٤) :

في الحرف (R , r) ؛ لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر فصوته كالتالي :

« يرسم هذا الحرف في العربية راء » .

التعليق (١٥) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة عشرة ، في الحرف (S , s) - د ، ع ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٢ .

يقابل هذا الحرف السين العربية ولا علاقة له البتة بصوت الصاد أو الشين المعجمة كما كتبه بعض النقلة القدامى ، ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالتالي :

« يرسم هذا الحرف سيناً فقط »

التعليق (١٦) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة

عشرة ، في الحرف (T , t) - د ، ع ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٣

هذا الحرف يقابل التاء لا الطاء في العربية (انظر ا - أصوات الحروف الجامدة اليونانية ، القاعدة - ١٤ -) ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالتالي :

« يرسم الحرف في العربية تاء فقط »

القاعدة (١٧) :

قارن المجمع ، القاعدة العشرون ، في صوت الحرف (V , v) - د ، ع ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٤ .

ملاحظة : الشكل (V) في اللغة اللاتينية يمثل الحرف الكبير للحرف الصغير (u) ، أي أنه لا يمثل الحرف (V , v) ، أحد حروف الأبجدية الإنجليزية مثلاً .

وهذا الحرف ، وإن كان أحد الحروف اللينة ، إلا أنه حرف جامد كذلك (أو نصف جامد كما يسميه النعاة المحدثون) . ويكون هذا الحرف جامداً إذا تلاه حرف لين وينطق واوا ، مثل (Venio,uenio) وتنطق في العربية (وينيو) . وللتمييز بين صوتي الحرف (V , v) اللين والجامد روي في عصور متأخرة أن يمثل الحرف (V , v) - وهو ليس أحد حروف الأبجدية اللاتينية - الحرف (V , u) الجامد على أن ينطق واوا أو فاء بثلاث نقط وذلك للتيسير ، وعلى هذا تكتب الكلمة المذكورة (Venio, venio) وتنطق (ويليو أو فينيو) . ويسرني أن المجمع الموقر قد قبل صوت الحرف (V - ف) وأوصى برسمه فاء بثلاث نقط (١٥) .

وبالنسبة للأعلام الرومانية ، أرى أن يكون صوت الحرف (V, v = ٧, ٧) مقابلاً لصوت الحرف (٧ - ف) ، وذلك لسهولة الرجوع إلى الأعلام المبدوعة بهذا الحرف في المعاجم الكبرى . ولكن لا مانع من نطقه واواً أيضاً ولهذا أود أن يقرنى المجمع الموقر على التعديل الآتى :

١ - يرسم الحرف (٧) الجامد الكبير في أول الاسم فاء بثلاث نقط أو واوا .

٢ - يرسم الحرف (٧) الجامد الصغير وسط الاسم فاء بثلاث نقط .

التعليق (١٨) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية والعشرون ، في الحرف (X, x) - د ٤ ح ٣٤ ، ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

هذا الحرف مركب ، يتركب من (8 , ٥) وينطق «كس» بسكون الكاف وصوته كالأتى :

١ - يرسم في أول الاسم (كس) طبقاً للتنبيه الخاص بالابتداء بالساكن ، انظر ص ١٣٣ - ١٣٤) .

٢ - يرسم في وسط الاسم (كس) بسكون الكاف ، أما حرف السين فيحرك وفقاً لحركة الحرف اللين التالى له .

التعليق (١٩) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة والعشرون ، في الحرف (Z, z) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٦ .

هذا الحرف من الحروف الأبجدية اليونانية التى دخلت الأبجدية اللاتينية (انظر ، ١ - أصوات الحروف الجامدة اليونانية ، التعليق - ٤ -) وهو يقابل في العربية زاي .

التعليق (٢٠) :

قارن المجمع القاعدة الرابعة فى الحرف المركب (Ch, ch) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤١٢

هذا حرف مركب ، يتركب من حرفى (h, ٥) وصوته فى اللاتينية كاف منفسة ذات جرس هائى . وأقرب صوت له فى العربية هو صوت الكاف لا الخاء ،

في الحرف المركب (Th, th) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٣ .

هذا الحرف مركب ، يتركب من
(h, t) وصوته في لغته هو صوت التاء
المنفّسة أو التاء ذات الجرس الهائى .
وأقرب صوت له في العربية هو صوت
التاء ، وعلى ذلك أقترح أن يكون صوته
كالآتى :

« يرسم هذا الحرف المركب ثاء في
العربية »

(ب) أصوات حروف الأبجدية
اللاتينية اللينة :

ملاحظة : للحرف اللين اللاتينى صوت واحد لا يتغير
ولكنه يكون مدوداً أو مخففاً .

وهذه الحروف الستة هى :

y, u, o, i, e, a

وفيما يلى بيان بهذه الحروف وأصواتها
اللاتينية مقربة بأصوات إنجليزية أو
فرنسية . أما الأصوات العربية المقابلة
فستذكر في التعليقات ، انظر (١) - (٦)

لأن صوت الخاء ليس صوتاً لاتينياً ،
وعلى هذا أقترح تعديل القاعدة كالاتى :

١ - يرسم في الأعلام الرومانية كافاً .

٢ - قد يرسم في الأعلام الإغريقية
المكتوبة بحروف لاتينية خاء ، وذلك
للاحتفاظ بالصورة الصوتية للعلم الإغريقى .

التعليق (٢١) :

في الحرف المركب (Ph, ph) ؛ لم
يأت ذكره في قرارات المجمع .

هذا الحرف مركب ، يتركب من
(h, p) وصوته في لغة صوت الباء المنفّسة
أو الباء ذات الجرس الهائى . وأقرب
صوت له في العربية هو صوت الفاء ،
وعلى هذا أقترح أن يكون صوته كالاتى :

« يرسم هذا الحرف المركب فاء
في العربية »

التعليق (٢٢) :

قارن المجمع القاعدة ، الثامنة عشرة ،

التعليق	أصواتها اللاتينية مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية	الحروف اللينة	
		الكبيرة	الصغيرة
(١)	- الممدود : مثل صوت الحرف (a) الثاني في كلمة (Papa) الإنجليزية . - المخفف : مثل صوت الحرف (a) الأول في كلمة (Papa) الإنجليزية .	A	a
(٢)	- الممدود : مثل صوت الحرفين (e e) في كلمة (feet) الإنجليزية . - المخفف : مثل صوت الحرف (e) في كلمة (net) الإنجليزية .	E	e
(٣)	- الممدود مثل صوت الحرف (i) في كلمة (caprice) الإنجليزية . - المخفف : مثل صوت الحرف (i) في كلمة (Pin) الإنجليزية .	I	i
(٤)	- الممدود : مثل صوت الحرف (o) في كلمة (note) الإنجليزية . - المخفف : مثل صوت الحرف (o) في كلمة (not) الإنجليزية .	O	o
(٥)	- الممدود : مثل صوت الحرفين (o o) في كلمة (shoot) الإنجليزية . - المخفف : مثل صوت الحرفين (o o) في كلمة (Took) الإنجليزية .	V	u
(٦)	- الممدود : مثل صوت الحرف (U) في كلمة (pure) الفرنسية . - المخفف : مثل صوت الحرف (U) في كلمة (pu) الفرنسية .	Y	y

دقيق نسبياً إلا أنه أفضل من التخبط في نقل صوت الحرف وهو كذلك أفضل من اغفال وضع الحركات وكثيراً ما يحدث هذا ، بل إن ذلك يحدث في معظم الأحيان . وأسوق مثلاً يقوم دليلاً على سلامة هذا الاتجاه نسبياً : فالأصل في نقل الاسم (Balbus) الذي ينتهي بحرف (u المخفف) أن أضع ضمة على الحرف السابق على هذا الحرف اللين ، فإذا أغفل وضع هذه الضمة ونقل الاسم إلى العربية (بالبس) ، فإن القارئ لهذا الاسم لا يستطيع معرفة صورة العلم في لفته ، ولكن إذا استمض عن الضمة بالواو وكتب الاسم (بالبوس) استطاع أن يبتدى إلى الاسم المقصود والرجوع إليه يسهل في مراجعته .

تنبيه : أصوات الحروف اللينة كما اقترحها :
الأصل في نقل حروف المد أن ترسم ألفاً أو واواً أو ياء بحسب صوت الحرف اللين اللاتيني . أما المخففة فتقابلها الحركات : الفتحة والضمة والكسرة بحسب صوت الحرف اللين اللاتيني ، ولكن لما كان التمييز بين الحرف الممدود والمخفف يتطلب دراسة متخصصة لا تتخلو من الصعوبة التي أشرت إلى بعضها سابقاً (انظر التنبيه الخاص بأصوات الحروف اللينة اليونانية ، ص ١٠٨) فأرى أن تعتبر الحروف كلها حروف مد بدامة : مادام ذلك لا يغير طبيعة صوت الحرف وإن كان يغير طبعته ، مداً وقصراً ، وإذا كان هذا الاتجاه غير

التعليقات

التعليق (١) :

٢ - يرسم في وسط الاسم ياء (أو يودى بكسرة إذا غنى بالتشكيل) .

قارن المجمع ، القاعدة الثانية :

في الحرف (A, a) - د ٤ ، ح ٣٣ ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

٣ - يرسم في آخر الاسم ألفاً مائلة أو ألفاً ليناً للتخفيف .

صوت هذا الحرف كالآتي :

ملاحظة : إن مدعاني إلى مخالفة المجمع الموقر فيما ورد في رقمي (١) ، (٢) هو حرصي على تجنب اللبس بين صوت هذا الحرف وصوت الحرف (A, a) ، انظر التعليق - ١ - (وأضرب مثلاً يقوم دليلاً على سلامة هذا الاتجاه : إذا نقل الاسم (Ephesus) إلى العربية (أفاسوس) ، كما ورد في قاعدة المجمع رقم (١) ، أصبح صوت الحرف (e) في أول الاسم وفي وسطه هو نفس صوت الحرف (a) وسيسبب هذا ابساً للقارئ ، أضف إلى هذا أنه لا يوجد حرف لين يتفق صوته مع صوت حرف لين آخر ، وهكذا فكتابة هذا الاسم في العربية (إفيسوس أو إفاسوس) صحيحة صوتياً وأقرب إلى صورة الاسم الأصلي العرب .

١ - يرسم في أول الاسم همزة مفتوحة .

٢ - يرسم في وسط الاسم ألفاً .

٣ - يرسم في نهاية الاسم ألفاً ليناً .

٤ - يرسم في آخر الاسم تجوزاً تاء مربوطة إذا سبقه الحرف اللين (e) أو (i) أو الحرف الجامد (r) (لأنه حرف مائع ، وسط بين الجامد واللين) .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة :

في الحرف (E, e) ، - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤١٣ - ٤١٤ .

ولهذا أرجو أن يأخذ المجمع الموقر بهذا الرأي أو يناقشني فيه .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية عشرة ، في الحرف (I, i) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

صوت هذا الحرف يشبه في العربية الألف المائلة في كلمة سكارى ، وأرى أن ينقل إلى العربية كالآتي :

ملاحظة : (انظر ، ١ - أصوات الحروف اللاتينية الجامدة ، التعليق - ٧ - ، ملاحظة ، حيث تناولت هذا الحرف بالتعريف بوصفه جامداً) .

١ - يرسم في أول الاسم همزة مكسورة (لا مفتوحة كما ورد في قاعدة المجمع) .

هذا الحرف حرف لين ، ويكون ليناً إذا كان أساساً في تكوين مقطع مثل (in)

وصوت هذا الحرف كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مكسورة أو همزة بعدها ياء ، (كما ورد في قاعدة المجمع) .

٢ - يرسم في وسط الاسم ياء .

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة عشرة ، في الحرف (O, o) - د ، ح ٣٤ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

صوت هذا الحرف كما اقترحه كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة أو بعدها واو .

٢ - يرسم في وسط الاسم أو في آخره واوا .

ملاحظة : أود أن يأخذ المجمع الموقر برأيي ويتنازل عما ورد ذكره في الرقمين (١) ، (٢) من القاعدة لأنه لا يمثل قاعدة صوتية لاتينية .

ملاحظة : ورد في رقم (٣) من هذه القاعدة النص الآتي « في وسط الاسم يرسم الحرف (o) واوا في الغالب ، إلا في الأسماء اللاتينية ؛ فيرسم واوا ونوناً » ويؤسفني أن أقول إن هذه ليست قاعدة صوتية ولا تنطبق في نفس الوقت على الأمثلة المصاحبة للقاعدة ، وأغلب الظن أنه وقع خطأ في كتابة العبارة بدليل أن المقصود هو الأسماء بحروف يونانية لا لاتينية وبهارة أوضح

أسماء إغريقية ؛ لهذا أقترح تعديل القاعدة أو تصحيحها كالآتي :

« قد يمثل الحرف (o) في آخر الاسم المقطع (ov) في اللغة اليونانية ؛ ومع ذلك فينبغي الالتزام عند التعريب بالصوت اللاتيني مادام الاسم مكتوباً بحروف لاتينية ، مثال ذلك :

أبولو لا (أبولون) = Apollo = Απόλλων

التعليق (٥) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة عشرة ، في الحرف (V, v) - د ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

ملاحظة : (انظر ١ - أصوات الحروف اللاتينية الهامدة ، التعليق - ١٧ - ، ملاحظة ، حيث تناولت هذا الحرف بالتعريف بوصفه جامداً) ؛ وهذا الحرف لين كذلك ، ويكون ليناً إذا كان أساساً في تكوين مقطع مثل (nuno) .

وصوت هذا الحرف كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة أو همزة بعدها واو .

٢ - يرسم في وسط الاسم وفي المقطع الأخير منه واوا .

ملاحظة : لما كانت قاعدة المجمع الموقر لم تحدد صوت هذا الحرف في أول الاسم وفي وسطه ، أود أن تعدل القاعدة كما وردت في هذا التعليق .

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية والعشرون ، في حرف (Y, y) - د ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(ج) أصوات الحروف اللينة

المزدوجة اللاتينية :

ملاحظة : المزدوج هو وحدة صوتية تتألف من حرفين اثنين معينين ويشترط عند النطق بها أن يحسن كلا الحرفين المكونين لها ، على أن يكون ذلك مختلصاً .

والحروف اللينة المزدوجة هي :

ae ، au ، ei ، eu ، oe . أما جرسها اللاتيني فسأحاول تقريبه بأصوات إنجليزية ، أو فرنسية وسوف أذكر الأصوات العربية المقابلة في التعليقات ، انظر : (١) - (٥) .

تنبيه : لقد تناول بعض أصوات هذه الحروف التعبير عبر الأجيال والقرون ، فأخذت تنحرف بمرحلة عن أصواتها الأولى الأصلية التي كانت تمثل صوت الوحدة الصوتية كأحسن ما يكون التمثيل ، ومع ميل إلى الأخذ بالأصوات الأولى في بعض الأحيان لأصالتها ووضوحها ودقتها ، إلا أني سأحاول في تعليقاتي عرض الأصوات الأصلية والمتطورة ومناقشة ما أراه جديراً بالمناقشة مراعيًا في هذا تخير الأصوات المحققة لنقل العلم بدقة ، وأترك للمعرب حرية تخير ما يحلو له من الأصوات ، أصلية كانت أو متطورة .

ولأول مرة سأذكر بعض الأعلام في صورتها اللاتينية وأنقلها إلى العربية بعد أن انتهيت من الكلام عن الحروف اللاتينية ، جامدة لينة .

هذا الحرف ليس من حروف الأبجدية

اللاتينية أصلاً وقد صار بعد عصور

اللغة الأولى أحد حروفها . وصوت هذا

الحرف هو تماماً صوت الحرف اليوناني

(أو پسيلون v ، Y) - (انظر ب -

أصوات الحروف اللينة اليونانية ، التعليق

- ٦ -) ، وهو لا يأتي في أول الأعلام

الرومانية ويرد فقط في أول الأعلام

الإغريقية ، وصوته كالآتي :

١ - يرسم هذا الحرف في أول الاسم

الإغريقي المكتوب بحروف لاتينية (هو

= Hy) ، (انظر التنبيه الخاص بعلامة

التنفييس أو الجرس الهائي ، ص ١١٦-١١٧)

٢ - يرسم في أي جزء من بنية الاسم

واوا أو ياء .

ملاحظة : لكي يكون نطق العلم مستساغاً في

العربية ، أقترح أن يرسم هذا الحرف ياء فقط إذا

كان في بنية الاسم صوت أو أكثر يقابل حرف الواو ،

مثال ذلك : اسم العلم (Myconus) فكتابة هذا الاسم

بالعربية (ميكونوس) أخف في النطق من (موكونوس) .

وفيما يلي بيان بهذه الحروف المزدوجة :

المزدوج	صوته الأصلي مقرباً بأصوات إنجليزية	صوته المتطور	التعليق
ae	صوته مثل صوت الحرف (i) في كلمة (island) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (e) في القرن الثاني ، ق.م	(١)
au	صوته مثل صوت الحرفين (ou) في كلمة (our) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (o) في القرن الأول ق.م وفي العصور المتأخرة صار صوته مثل الحرف (a) ومن الصعب الأخذ بالصوت الأخير	(٢)
ei	صوته مثل صوت الحرفين (ay) في كلمة (pray) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (i) أو (e) في القرن الثاني ق.م	(٣)
eu	صوته مثل صوت الحرفين (ew) في كلمة (few) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (u) ابتداء من القرن الثالث ق.م	(٤)
oe	صوته مثل صوت الحرفين (oy) في كلمة (toy) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (u) في القرن الثاني ق.م. ثم أصبح صوته مثل صوت الحرف (e) فيما بعد وأرى أن الصوت الأخير يسبب لبساً كبيراً	(٥)

التعليقات

التعليق (١) :
 قارن المجمع ، القاعدة الثانية المزدوج
 (ae) ، رقم (١) - د ٤ ح ٣٤ ،
 ص ٤٠٩ - ٤١٠
 إينياس (الصوت المتطور) Aeneas

صوت هذا المزدوج كالآتي :
 ١- يرسم في أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها ياء ساكنة (الصوت
 ٢- يرسم في أي جزء من بنية الاسم ألفاً بعدها ياء ساكنة (الصوت الأصلي)

أو ياء مكسورة (الصوت المتطور) ،
مثال ذلك :

كايكوبوم (لصوت الأصلي) ،
كيكوبوم (الصوت المتطور) Caecubum

٣ - يرسم في آخر الاسم ألفاً مائلة
(الصوت المتطور) أو ألفاً لينة للتخفيف ،
مثال ذلك :

أثينا (الصوت المتطور) ، أثينا
(الصوت المقترح) Athenae

التعليق (٢) :

في الحرف (au) ، لم يأت ذكره في
قرارات المجمع الموقر .

وصوت هذا المزدوج كآلآي :

١- يرسم في أول الاسم همزة ممدودة
مفتوحة بعدها واو ساكنة (الصوت
الأصلي) أو همزة مضمومة بعدها واو ،
مثال ذلك :

أوجوستوس (الصوت الأصلي) ،
أوجوستوس (الصوت المتطور) Augustus

ملاحظة : إن كتابة أوغسطس أو
أغسطس لا تتفق والقواعد الصوتية .

٢- يرسم في وسط الاسم ألفاً بعدها
واو ساكنة (الصوت الأصلي) أو يرسم
واوا ممدودة ، مثال ذلك :

كاوكاسوس (الصوت الأصلي) ،
كوكاسوس (الصوت المتطور) Caucasus
وقد عرّب الاسم قديماً بالقوقاز .

التعليق (٣) :

في المزدوج (ei) ، لم يأت ذكره في
قرارات المجمع الموقر .

صوت هذا المزدوج كآلآي :

١- يرسم في أول الاسم همزة مكسورة
بعدها ياء ساكنة (الصوت الأصلي)
أو همزة مكسورة بعدها ياء مكسورة
(الصوت المتطور) ، مثال ذلك :

إيدوثيا ، إيدوثية (الصوت الأصلي) ،
إيدوثيا ، إيدوثية (الصوت المتطور)
Eidothea

٢- يرسم في وسط الاسم ياء ساكنة
(الصوت الأصلي) أو ياء مكسورة (الصوت
المتطور) مثال ذلك :

إيليثويا ، إيليثوية (الصوت الأصلي) ،
إيليثويا ، إيليثوية (الصوت المتطور)
Eileithyia

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة ، في
المزدوج (eu) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص
٤١٥ - ٤١٦

صوت هذا المزدوج كالاتي :

١- يرسم في أول الاسم همزة مكسورة
بعدها ياء مضمومة أو يرسم ياء مضمومة
بعدها واو ، مثال ذلك .

إيوتروبيوس (الصوت الأصلي) ،
Eutropius (الصوت المتطور)

٢- يرسم في وسط الاسم ياء مضمومة
بعدها واو (وليس كما ورد في قاعدة
المجمع برسم هذا الحرف واوا) ، ذلك
أن الصوت المتطور لا يمثل المزدوج بالمرّة ؛
مثال ذلك

ديوكاليون (الصوت الأصلي) ،
Deucalion (الصوت المتطور)

التعليق (٥) :

في المزدوج (oe) ، لم يأت ذكره في
قرارات المجمع المقرر

صوت هذا المزدوج كالاتي

١- يرسم هذا المزدوج في أول الاسم

همزة مضمومة بعدها ياء ساكنة (الصوت
الأصلي) أو يرسم ألفاً مضمومة بعدها
واو (الصوت المتطور) ، مثال ذلك :
أئيبالوس (اله ت الأصلي) ،
Oebalus (الصوت المتطور)

٢- يرسم في وسط الاسم واوا بعدها
ياء ساكنة (الصوت الأصلي) أو يرسم
واوا فقط (الصوت المتطور) مثال ذلك :

فويبوس (الصوت الأصلي) ، فوبوس
(الصوت المتطور) Phoebus

يلاحظ أن المزدوج (oe) في هذا الاسم
يقابل أيضاً الحرف (o) فينقل على هذا
الأساس فيبوس .

ملاحظة : يؤسفني أن الصوت المتطور للمزدوج
(eu) ، المزدوج (oe) يقابل صوت (u) ، أي
يقابل واوا في العربية ، أما صوت المزدوج (oe)
الذي يقابل صوت الحرف (e) فهو يدعو إلى أسف
أعظم . إن هذا يجعل مهمة الباحث عسيرة إذا أراد
الرجوع إلى اسم علم من الأعلام في لفته (اللاتينية) ،
وهذا ما يجعلني أجنح إلى النقل على أساس الأصوات
الأصلية .

تنبيه : الابتداء بالساكن :

قارن المجمع ، القاعدة الأولى - د ٤ ،
ح ٣٣ ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨

تيسيرا لهذه القاعدة التي لم يعمل بها
بدقة قديماً ، أقترح تعديل صياغتها بما

يتفق وأصوات الحروف اللاتينية (انظر أيضاً التنبيه الخاص بالابتداء بالساکن في الأسماء الإغريقية ص ١١٧ ، فالقاعدة بالنسبة للأعلام الإغريقية والرومانية واحدة) :

١- تزداد همزة وصل مكسرة في أول الاسم إذا كان أول حرف لين فيه هو (e) أو (i) ، مثال ذلك :

إپلینوس Plinius

٢- تزداد همزة مفتوحة في أول الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه هو (a) ، مثال ذلك :

أفلایوس Flavius

٣- يضم الحرف الأول من الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه حرف (o) أو (u) أو ou (١٦) ؛ مثال ذلك :

پلوتینوس Plotinus

بلوتو Pluto

تنبيه : الحروف المشددة في الاسم :

ينطق الحرفان الجامدان اللذان من نوع واحد مثل (nn) ، (ss) ، (ll) في العربية حرفاً واحداً مشدداً ، مثال ذلك :

راڤینا Ravenna

مولوسوس Molossus

لوكیلوس Lucillus

نماذج من الأعلام للتطبيق على التعليقات

Aquinus أكوينوس
انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ١٣ -)

Assyria آشوريا (آشور)
انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة) ،
(ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٦ - ،
رقم - ٢ -)

أوجوستینوس ، أوجوستینوس Augustinus
انظر (ح - أصوات الحروف اللينة المزدوجة ،
تعليق - ١ -)

أجریپا Agrippa
انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٥ -) ، (التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤)

الإسكندرية (أليکساندرية)
Alexandrea, Alexandria
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)

أفرودیتی ، أفروديتا Aphrodite
انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٣ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة - التعليق - ٢ - ، رقم - ٣ -)

(١٦) من المزدوج ، انظر (ح - أصوات الحروف المزدوجة والتعليق على كل مزدوج منها) .

Demeter	ديميتير	Bactria	باكتريا ، باكترية
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٢ - ، رقم - ٢ - ، ملاحظة)		انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق - ٢ -)	
Drusus	درووس	Bithynia	بيثينيا ، بيثينية
انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ٣ - ، ص ١٣٤)		انظر (١ - أصوات الحروف المركبة الجلمدة ، التعليق - ٢٢ -)	
Elaeus	إيلايوس ، إيليوس	Brundisium	برونديسيوم (برنديزي)
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٢ - ، رقم - ١ -) ، (- أصوات الحروف اللينة المزدوجة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٢ -)		انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق - ١٥ -)	
Elephantis	إيليفانتيس	Byzantium	بيزانتسيوم (بيزنطة)
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٢ - ، ملاحظة)		انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق - ١٦ -)	
Febius	فابيوس	Cicero	كيكيرو (شيشرون)
انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق - ٤ -)		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٤ - ، ملاحظة - ٢ -)	
Flaccus	أفلاكوس	Cnidus	إكنيدوس ، كنيديوس
انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ٢ -) ، (الحروف المشددة ، ص ١٣٤)		انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ١ - ، ص ١٣١-١٣٤)	
Fluvius	فلوڤيوس	Corcyra	كوركييرا ، كوركيرة
انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ٣ - ، ص ١٣١-١٣٤) ، (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق - ١٧ - ، ملاحظة)		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)	
Gonnu	جونوس	Cyprus	كوبروس (قبرص)
انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤)		انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق - ٢ -)	

أوروسسيوس ، أروسيوس (هروثيوس؟)
Orosios
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ - ، رقم - ١ - ٢ -)

أورتيجيا ، أورتيجية
Ortygia
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٦ - ، رقم - ٢ -)

بيرجاموم
Pergamum
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، ملاحظة)

بولاً
Polla
(انظر التلبيه الخاص بتشديد الحروف ، ص ١٣٤)

كويندتوس
Quintus
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ١٣ -)

روما (رومية)
Roma
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ١ - ، رقم - ٣ -)

سيميراميس
Semiramis
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، ملاحظة)

سيليوكوس ، سيلوكوس (سلوقس)
Seleuous
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة المزدوجة ،
التعليق - ٤ -) وقارن صوت (eu) بصوت الحرف
(u) ، انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ،
التعليق - ٥ - ، رقم - ٢ - حيث أشرت إلى اللبس)

هيلينا (هيلانة)
Helena
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، رقم - ٢ - ، ملاحظة)

ياپيتوس (= 'Iαπιτρός)
Iapetus
إيونيا ، إيونية (= 'Iωνία)
Ionia
* هذان الاسمان يونانيان كتباً بحروف لاتينية ،
ولهذا فان الحرف (I) حرف لين فلا يعامل معاملة
الحرف (I) الجامد في اللاتينية ، انظر (ب - أصوات
الحروف اللينة اليونانية ، التعليق - ٣ -)

إيليبا ، إيلينا
Ilipa
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة اللاتينية ،
التعليق - ٣ - رقم - ١ - ٢ -)

جانوس ، يانوس
Janus (= Ianus)
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٧ - ، ملاحظة)

جوبيتير ، يوبيتير
Jupiter (= Iupiter)
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٧ - ، ملاحظة)

ليجوريا ، ليجورية
Liguria
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٥ -)

ماجو
Mago
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ - ، ملاحظة - ٢ -)

ميلامبوس
Melampus
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، ملاحظة)

Zama	زاما	Servius	سيرفيوس
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق	
- ١٩ -)		- ١٧ -) ، (أصوات الحروف اللينة ، التعليق	
		- ٥ - ، رقم - ٢ -)	
Zenobia	زينوبيا ، زينوبية	Tarentum	تارينثوم
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق	
- ٢ - ، رقم - ٢ -)		- ١٦ -)	
Zmyrna	إزميرنا (أزмир)	Torquatus	توركواتوس
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق	
- ٦ - ، رقم - ٢ -)		- ١٣ -)	
Zopyrus	زوبيروس	Utica	أوتيكا ، أوتيكا
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق	
- ٦ - ، رقم - ٢ - ، ملاحظة)		- ٥ - ، رقم - ١ -)	
Chlorus	كلوروس	Sulla	سولا
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة المركبة ،		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق	
التعليق - ٢٠ - ، رقم - ١ - ، ورسم هذا الحرف		- ٥ - ، رقم - ٢ -) ، (انظر التنبيه الخاص	
كافا لأنه ورد في اسم روماني ، وكما قلت فإن اللاتينية		بتشديد الحروف ، ص ١٣٤)	
لا تعرف صوت الخاء)			
Chrysippus	خريسيبوس	Valeria	فاليريا ، فاليرية
* انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة المركبة ،		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق	
التعليق - ٢٠ - ، رقم - ٢ - ، وصوت هذا الحرف		- ١٧ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ،	
(Ch) هنا يقابل صوت الخاء لأن الاسم يوناني)		التعليق - ٢ - : ملاحظة) .	
Phosphorus	فوسفوروس	Varro	فارو
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق		انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة) ،	
- ٢١ -)		(ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٤ -	
		ملاحظة - ٢ -)	
Thessalia	ثيساليا ، ثيسالية	Xanthus	إكسانثوس
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق		انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف	
- ٢٢ -) ، (التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤)		ساكن ، رقم - ٢ - ، ص ١٣٣)	
		Xenophanes	إكسينوفانيس
		انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف	
		ساكن ، رقم - ١ - ، ص ١٣٣)	

٥ - ملاحظات على طريقة القدامى في النقل

ولا يسعنى الآن بعد هذه الدراسة إلا المناداة بإعادة النظر فى أسلوب القدامى أو غالبيتهم فى تعريب الأعلام الإغريقية والرومانية ، فإنها فى حاجة ماسة إلى إعادة النظر والفحص . وإنى لعل يقين أن هذه الصيحة لن تجد آذاناً صاغية من البعض ، فقد طالب ، على سبيل المثال ، الأستاذ نلينو ، وهو المستشرق الفذ ، بأن يبقى القديم على قدمه ، وما هو ذا يقول بالحرف الواحد « يجب أن يبقى القديم مما عرف عن العرب على قدمه ، ونحن لا نتصرف إلا فيما يجد وفيما لم ينطق به العرب ولم يكتبوه »^(١٧) ومثل هذا القول يعنى أن النقلة القدامى الأجلاء أو بعضهم كانوا على دراية تامة بأصوات الحروف اليونانية واللاتينية ، جامدة ولينة وكانوا كذلك على علم تام بقواعد اللغتين ، اليونانية واللاتينية النحوية ، وهذا للأسف غير صحيح فإن الكثير من الأعلام العربية ثبت أن أخطاء وقعت فى التعريب

وأسوق مثلاً استقيته من تصدير اللجنة الموقرة التى ألفها المجمع لوضع قواعد « لكتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية » ، فقد أشارت هذه اللجنة إلى أن بعض الأعلام عربت على غير قاعدة أو غلطاً وذكرت أن معرباً قد أخطأ فى تعريب الاسم Hypsiotes ونقله إلى العربية (أبسقلاتوس) لأنه عربى فى صيغة الجر (المضاف إليه) بدلاً من أن يعربه فى صيغة الرفع (وهى الصيغة الوحيدة التى ينبغى نقل الاسم على أساسها) وقد عجبت لأن اللجنة رأت أن تحافظ على مثل هذا النقل الشاذ^(١٨) لأن هذا التعريب ليس شاذاً بل خطأ ، والعلم لا يقر الخطأ وينبغى تصحيحه لا الإبقاء عليه ، وهذه مسئولية المختصين ولا مهرب منها بآى حال من الأحوال حتى يقدموا يد العون إلى الباحث الذى يرغب فى الوصول إلى الاسم العرب صحيحاً ليرجع إلى أصله فى لغته فى يسر .

(١٧) انظر ، د ، ٤٤ ، ٣٤٢ ، ص ١٢٢

(١٨) انظر ، د ، ٤٤ ، ٣٣٢ ، ص ١٠٦

ولما كنت أدرك أن ما أنادى به من إعادة النظر والفحص في طريقة القدامى في النقل لن يلقى ترحيباً بالدرجة الأولى ما لم أقنع المختصين بوجهة نظري بأسلوب علمي والتدليل على ما أقول بالأمثلة ، فقد حرصت على عرض طائفة من النماذج من الأعلام التي عربت قديماً ، وهذه سوف أناقشها مناقشة موضوعية بغية الوصول إلى الهدف الذي أنشده . وسبيلي في المناقشة سيكون على أساس ما اتبعته في ثانياً دراستي . وهو مراعاة الأمانة في نقل أصوات الحروف الجامدة والليننة في اللغتين المذكورتين إلى العربية وعدم الانحد بالآصوات الدخيلة التي فرضت على حروف اللغتين المذكورتين وتحاشي تفخيم الحروف ، لأنني أعتقد أن هذا وحده هو الذي يحفظ للاسم المعرب صورته الأصلية . وقد يقول البعض إن الوقت قد تأخر للأخذ بطريقة جديدة - وسيقولون أكثر من ذلك بما لا أود الخوض فيه الآن أو بعد الآن - إلا أنني أرى أن تأخر الوقت يجب ألا يدخل في حساب الدارسين المتقدمين ما دام الغرض هو التصحيح وهو هدف له وزنه وكيف يقال إن الوقت قد تأخر وقد عني ويعني القرن الذي

نعيشه بإحياء التراث القديم وتحقيقه ، ولا يخفى أن بعض هذا التراث قد ترجم عن اليونانية واللاتينية أو يتصل اتصالاً مباشراً أو غير مباشر بعلوم الإغريق والرومان . ومما لا ريب فيه أن أعلاماً إغريقية ورومانية قد وردت في ثانياً نصوص هذا التراث والكثير منها لا يسير على القواعد الصوتية للغتين المذكورتين . أفليس من الواجب إذا أن ننقل ما يمكن إنقاذه ونعيد النظر فيما نراه في حاجة إلى التصحيح ؟ وإذا تساءل البعض عن الطريقة التي تتبع لتصحيح ما عرت قديماً ، فإنني أقترح الآتي :

(١) بالنسبة للأعلام الواردة في نصوص التراث القديم المحقق المراد تصحيحها ، أرى الإبقاء على المعرب القديم في مكان من النص بين حاصرتين وكتابة الاسم المصحح في الحاشية وحبذا لو كتب بجانبه الاسم الإغريقي والروماني بحروف لاتينية للمقابلة بين المعرب وأصله في لغته .

(ب) وبالنسبة للأعلام الواردة في الكتب المولفة حديثاً التي يرجع فيها المؤلف إلى المخطوطات القديمة أو إلى مراجع حديثة تحوى هذه الأعلام (المراد تصحيحها) أرى أن يكتب العلم في النص صحيحاً ويكتب بجانبه الاسم الإغريقي والرومانى بحروف لاتينية للمقابلة بين العرب وأصله في لغته على أن يكتب العرب القديم بين حاصرتين في الحاشية .

وأود قبل مناقشة بعض النماذج أن أؤكد بأنى لا أرى بالنقلة القدامى الأجلاء ولا أنتقص من جهودهم الجديرة بكل تقدير، بيد أنى أنظر إليهم بوصفهم روادا مجتهدين قاموا بكل ما استطاعوه وليس علينا ، نحن المحدثين ، إلا أن نكمل ما نقص بما يحقق ما قصدوا إليه ولم يحالفهم الصواب .

وما أنذا أسوق طائفة من النماذج من الأعلام الإغريقية والرومانية وكذلك

الأعلام الأجنبية التي وردت في أعمال الكتاب الإغريق والرومان بحروف يونانية ولاتينية ، ولن أتقيد بالنسبة للأعلام الأخيرة ، بأصوات الحروف في لغاتها الأصلية .

وفيما يلي هذه الطائفة من الأعلام التي سأناقشها وأقترح تصحيحها^(١٩)

*Αρης (= Lat. Arés)

نقل هذا العلم قديماً (أرس) ؛ ونلاحظ أن العرب قد أهمل صوت الحرف (η) الذى يقابل في العربية ياء ممدودة ، ثم أغفل وضع الحركات على الحروف . وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (أريس) .

*Αγάθων (= Lat. Agathon)

نقل هذا العلم قديماً (أغاثن) ونلاحظ أن العرب قد نقل حرف (γ) غيناً وأغفل صوت الحرف (ω) وهو يقابل الواو الممدودة . وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (أجاثون) .

*Assyria (= Lat. Assyria)

نقل هذا العلم قديماً (آشور) ويلاحظ أن العرب قد نقل الحرفين (σσ) شينا

(١٩) المرجو الرجوع إلى أصوات الحروف ، جامدة ولينة ولينة مزدوجة (يونانية ولاتينية) في التعليقات الواردة في هذه الدراسة .

Ἐμπεδοκλῆς (= Lat. Empedocles)

نقل هذا العلم قديماً (أمفاد قليس) ،
أى أن الحرف (ε) الأول والثاني نقلًا
ألفاً ، وصوت هذا الحرف يقابل كسرة
مماثلة أو كسرة مشربة بالفتحة وليست على
كل حال ألفاً صريحة ، أما الحرف (π)
فقد نقل فاء على طريقة السريان ونقل
الحرف (ς) قافاً وهذا غير صحيح ،
وما اقترحه نقلًا لهذا العلم هو
(إمبيدوكليس) .

Θεοδέκτης (= Lat. Theodectés)

نقل هذا العلم قديماً (ثاو داقطس) ،
أى أن الحرفين (εο) يقابلان (أو)
وهذا خطأ ثم إن صوت الحرف (ε)
نقل ألفاً ، وأما الحرف (ς) فنقل
قافاً ، ونقل الحرف (π) طاء وأهمل
صوت الحرف (η) مع أنه حرف لين
ممدود . وعلى ذلك فالنقل أبعد ما يكون
عن الأصل ، وما اقترحه نقلًا لهذا العلم
هو (ثيوديكليس) .

Ἴσις (= Lat. Isis)

نقل هذا العلم قديماً (إيزيس) أى
نقل الحرف (σ) الأول زايا وهذا
خطأ ، أما الثاني فنقل صحيحاً .

ثم أهمل صوت الحرفين اللينين (α ، ι) ،
وما اقترحه نقلًا لهذا العلم هو (أسوريا ،
أسورية) .

Βυζάντιον (= Lat. Byzantium)

نقل هذا العلم قديماً (بيزنطة) ويلاحظ
أن المعرب قد نقل الحرف (τ) طاء
ونقل الحروف (ium) تاء مربوطة
ولا أدري على أية قاعدة فعل هذا ،
وما اقترحه نقلًا لهذا العلم هو (بيزانتيون)
ويلاحظ أن النهاية (ov) في اليونانية
يقابلها في اللاتينية النهاية (um) .

Δάριος (= Lat. Darius)

نقل هذا العلم قديماً (دارا) وهذا
يخالف صورة الاسم في اليونانية وخاصة
في النهاية (ειος) ، وما اقترحه نقلًا
لهذا العلم هو (داريوس) .

Ἑλένη (= Lat. Helene, Helena)

نقل هذا العلم (هيلانة) ، أى أن
الحرف (ε) الأول نقل ياء وأما الثاني
فنقل ألفاً مع أن صوت هذا الحرف
لا يتغير ثم إن الحرف (η) في نهاية
الكلمة نقل تاء مربوطة وكان يجب أن
ينقل ألفاً مماثلة أو ألفاً لينية ، وما اقترحه
نقلًا لهذا العلم هو (هيليني أو هيلينا) .

والسؤال الآن : كيف يتغير صوت الحرف الواحد في الكلمة الواحدة ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (إيسيس) .

Καμβύσης (= Lat. Cambyses)

نقل هذا العلم قديماً (قمبيز) ، أى نقل صوت الحرف (K) قافاً ونقل صوت الحرف (σ) الأول زائاً وسقط المقطع (ης) في نهاية الاسم مع أن الحرف (η) حرف لين ممدود ، ولهذا فإن النقل لا يطابق صورة الاسم في اللغة اليونانية ، وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (كامبيسيس أو كامبوسيس) .

Κλεοφών (= Lat. Cleophon)

نقل هذا العلم قديماً (قلافون) ، أى نقل الحرف (K) قافاً ونقل صوت الحرفين (εο) (أو) في العربية وهذا يخالف القاعدة ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (إكليوفون) مع ملاحظة أن الاسم مبدوء بساكن .

Κῦρος (= Lat. Cyrus)

نقل هذا العلم قديماً (قورش) ، وذلك بنقل الحرف (K) قافاً ونقل الحرف (σ) شيئاً وهذا أمر يدعو إلى

العجب ، وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (كيروس) .

Ὅμηρος (= Lat. Homerus)

نقل هذا العلم قديماً (أوميروش) فانصرف العرب عن جرس الهاء في الاسم ونقل الحرف (σ) شيئاً وهذا لا يتفق مع أصوات اللغة المنقول عنها . وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (هوميروس) وقد سبقني إلى ذلك بعض الدارسين والمربين المحدثين .

Περικλῆς (= Lat. Pericles)

نقل هذا العلم قديماً (بركليز) ، فأغفل العرب صوتي الحرفين اللينين (ι, ε) ونقل الحرف (σ) في آخر الاسم زائاً ولا يتفق هذا مع أصوات اللغة المنقول عنها ، وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (بيريكليس) .

Πορφύρων (= Lat. Porphorion)

نقل هذا العلم قديماً (فورفوريون) . فنقل العرب صوت الحرف (π) فاء وجعل بذلك صوت الحرفين (π) الپاء Φ الفاء (واحداً وهو الفاء ، وأعتبر أن هذا أسوأ مثل للنقل على طريقة السريان ، فكيف يهتدى الباحث إلى

الاسم الأصلي على هذه الصورة . وما أقترحه
نقلًا لهذا العلم هو (بورفوريون) .

Πρωτάγορας (= Lat. Protagoras)

نُقل هذا العلم قديماً (فروطاغورس) .
إن هذا التعريب حافل بالأخطاء ، فقد
نقل الحرف (π) فاء ونقل الحرف (τ)
طاء ونقل الحرف (γ) غيناً وأغفل
صوت (α) في آخر الاسم وكان لابد من
نقله ألفاً ، وما أقترحه نقلًا لهذا العلم هو
(بروتاجوراس) .

Σαλαμίς (= Lat. Salamis)

نُقل هذا العلم قديماً (سالامينا)
وسالامينا هذه ليست إلا صيغة المفعول
به للعلم والتعريب لا يكون إلا في صيغة
الرفع للعلم ، ويدل هذا على أن العرب لم
يميز بين صيغتي الرفع والنصب ، والنقل
الصحيح لهذا العلم هو إذا (سالاميس) .

Σέλευκος (= Lat. Seleucus)

نقل هذا العلم قديماً (سلوقوس) ،
سلوقس (، فأغفل العرب صوت
الحرف (ε) عند التعريب ونقل .
المزدوج (ε υ) واواً وهو ، وإن كان
جائزاً ، إلا أنه يسبب اللبس مع
أصوات الحروف (ο) ، (υ) ،

عند النقل ثم نقل الحرف (x) قافاً ،
وما أقترحه نقلًا لهذا العلم هو
(سيليوكوس) .

Σθένελος (= Lat. Sthenelos)

نقل هذا العلم قديماً (اسثانلس)
فنقل العرب الحرف (ε) الأول ألفاً
وأغفل صوت الحرف (ε) الثاني ،
وباعد بذلك بين الأصل والعرب ،
وما أقترحه نقلًا لهذا العلم هو
(اسثينيلوس) .

Σίσυφος (= Lat. Sisyphos)

نقل هذا العلم قديماً (سيوسيفوس)
وقد دهشت لهذا النقل الغريب ووددت
أن يكون خطأ مطبعياً ، إذ ليس في
بنية العلم ما يقابل الصوت (يو) ،
وما أقترحه نقلًا لهذا العلم هو
(سيسيفوس) .

Σοφοκλῆς (= Lat. Sophocles)

نقل هذا العلم قديماً (سوفقلس)
فنقل العرب الحرف (ο) الأول واواً
وأما الحرف (ο) الثاني فقد أهمل
صوته . ونقل الحرف (x) قافاً وأهمل
صوت الحرف اللين (η) الممدود .

بطبيعته ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو
(سوفوكليس) .

Τηλέμαχος (= Lat. Telemachus)

نقل هذا العلم قديماً (طيلاماخوس)
فنقل المغرب الحرف (T) طاءً ونقل
الحرف (s) ألفاً مع أن الحرف
اليوناني (s) هو حرف لين مخفف
للحرف (η) ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم
هو (تيليامخوس) .

Africa

نقل هذا العلم قديماً (افريقية) فنقل
المغرب الحرف (c) قافاً ونقل الحرف
(s) في آخر العلم ياء وتاء مربوطة ؛
ولا تسمح القواعد الصوتية بذلك ،
فالحرف المقابل للحرف (s) في
العربية هو الألف اللينة ؛ وعلى ذلك فإن
ما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (أفريكا)
كما نقول الآن (أمريكا) .

Augustus

نقل هذا العلم قديماً (أوغسطس) ،
أغسطس () ، فنقل المغرب صوت
المزدوج (av) في المغرب الأول ألفاً
مضمومة بعدها واو ونقله في المغرب

الثاني ألفاً وأرى أن نقل المزدوج همزة
ممدودة مفتوحة بعدها واو ساكنة أقرب
إلى الصوت الأصلي له ، أما نقله ألفاً
ففيه من اللبس ما فيه ، إذ يكون صوته
مثل صوت الحرف (a) تماماً ومع أن
صوت المزدوج صار في الأزمنة الأخيرة
مثل صوت الحرف (s) فإن هذا يدعو
إلى بلبلة المغرب المعاصر على الأقل ، ثم إن
نقل صوت الحرف (g) غيناً وهذا
لا يتفق مع صوت الحرف في لغته ،
وأهمل كذلك صوت الحرفين (u) في
وسط العلم وفي آخره ولم يضع على الأقل
ضمة على كلا الحرفين الجامدين
السابقين عليهما . ونقل التاء طاء
كالعادة . ويعتبر هذا كله خروجاً على
القواعد الصوتية اللاتينية ؛ وما أقترحه
نقلاً لهذا العلم هو (آوجوستوس) ،
أوجستوس) .

Brundisium

نقل هذا العلم قديماً (برنديزي) ،
فأهمل المغرب صوت الحرف (u) ونقل
صوت الحرف (s) زائاً ثم نقل
الحروف (ium) ياء . وهذا لا يسير
على أية قاعدة صوتية لا في العربية

نقل هذا العلم قديماً (هوروشوريوس)
ولا أعرف من أين أتى العرب بالجرس
الهائى فى أول العلم ، ونقل الحرف
(■) الأول شهناً ونقل الحرف (■)
الثانى سيناً ، إن ما أقترحه على أية حال
أن ينقل هذا العلم (أوريوسوس) .

نقل هذا العلم قديماً (رومية) ،
فنقل المعرب الحرف (a) فى آخر
العلم ياء وتاء مربوطة وهذا مالا تسمح
به القواعد الصوتية ، فالحرف المقابل
للحرف (a) فى العربية هو الألف
اللينة ، وعلى ذلك فإن ما أقترحه نقلاً
لهذا العلم هو (روما) .
والآن أليس تعريب النقلة القدامى
للأعلام الإغريقية والرومانية فى حاجة
إلى إعادة النظر ؟

ولا فى اللاتينية ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا
العلم هو (برونديسيوم) .

نقل هذا العلم قديماً (شيشرون) ،
فنقل المعرب صوت الحرف (o) شيناً
ونقل الحرف (o) فى نهاية العلم واواً
ونوناً وهذا عجيب حقاً لأن النون ليست
من حروف العلم فى صيغة الرفع ؛
وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (كيكىرو) .

نقل هذا العلم قديماً (لاطيوم) ،
فنقل المعرب صوت الحرف (t)
طاء ، وصوت الطاء ، كما قلت مراراً
وتكراراً ليس صوتاً لاتينياً . وبالمناسبة
فإن (اللاتينية) بوصفها صفة مشتقة
من Latium ، ينبغى أن تنطق طبقاً
لصوت الحرف (t) فى هذا العلم الذى
أقترح نقله (لاتيوم) وعلى هذا الأساس
يقال (اللاتينية) (لا اللاتينية) .

المراجع

(أ) المراجع العربية :

- ١ - « قواعد كتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية » للأساتذة : فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ، حسن حسنى عبد الوهاب (باشا) والدكتور منصور فهمى (بك) ، محمد كرد على (بك) نلينو وجب ، وهم أعضاء اللجنة التى ألفها المجمع الموقر لوضع هذه القواعد (انظر مجمع اللغة العربية - مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، محاضر جلسات دور الانعقاد الرابع ، الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين ، ص ٤٠٤ - ٤٢٦ ، القاهرة ، ١٩٣٧) .
- ٢ - « سر صناعة الإعراب » ، صنمه الشيخ أبى الفتح عثمان بن جنى ، الجزء الأول ، تحقيق الأستاذ ابراهيم مصطفى وأساتذة آخرين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ٣ - « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية فى القديم والحديث » الأستاذ الأمير مصطفى الشهابى ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
- ٤ - « التفكير الصوتى عند العرب فى ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنى » للدكتور الأب هنرى فليش ، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ، ص ٥٣ - ٨٩ ، مقال نشر فى مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثالث والعشرون ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٥ - أرسطو طاليس (وصحته أريستوناليس) « فن الشعر » مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابى وابن سينا وابن رشد ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه الدكتور عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- ٦ - « علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب » تأليف أوليرى ، ترجمة الدكتور وهيب كامل ، راجعه الأستاذ زكى على ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

(ب) المعاجم الأجنبية :

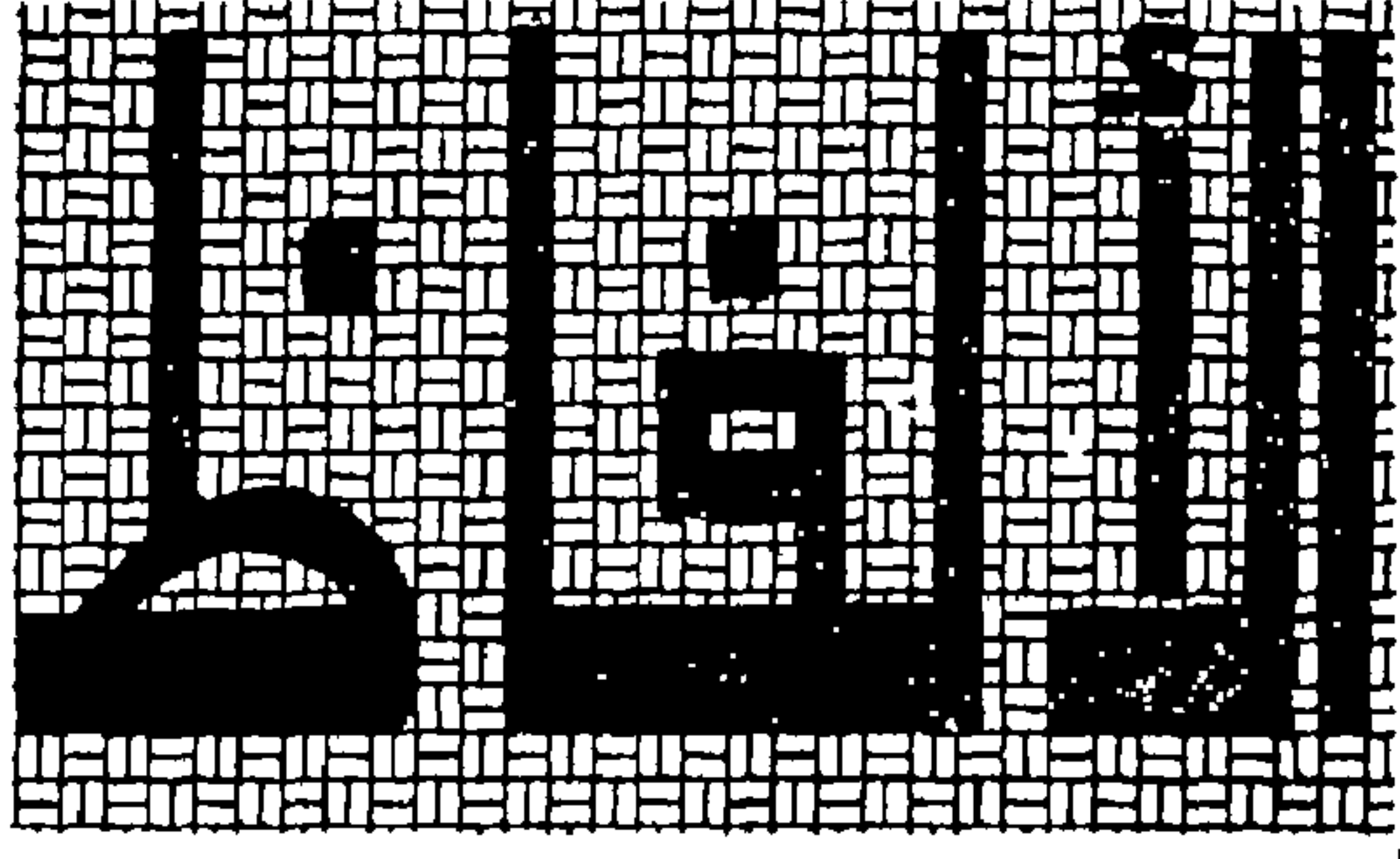
- 1.—Greek - English Lexicon, Liddell & Scott, Oxford, 1953.
- 2.—A Latin Dictionary, Lewis & Short, Oxford, 19٤7.
- 3.—The Oxford Classical Dictionary, Edited by Cary (M) & Others, Oxford, 1949.

(ج) المراجع الأجنبية :

- 1.—Atkinson (B.F.C.), The Greek Language, London, 1933
- 2.—Buck (Carl Darling), The Greek Dialects, Chicago, 1928.
- 3.— “ (“ “) , Comparative Grammar of Greek & Latin, Chicago. 1948.
- 4.—Crowford (D.S.), Greek & Latin : An Introduction to the Historical Study of Classical Languages, Cairo, 1939.
- 5.—Gildersleeve (B.L.), Latin Grammar, London, 1948.
- 6.—Giles (P.) A Short Manual of Comparative Philology, London, 1895.
- 7.—Goodwin (William W), A Greek Grammar, London, 1916.
- 8.—Niedermann (M.), Phonétique historique du latin, Paris, 1953.
- 9.—Roby (H.J.), School Latin Grammar, London, 1904.

محمد محمود السلامونى

ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية



للأستاذ نيقولا دوبريشان

نسبياً من الألفاظ التركية . ومما يلفت النظر فيما يتعلق بهذه الألفاظ أن أغلبيتها أصلها عربي . ومن المعروف - وهو جدير بالذكر هنا - أن اللغة التركية بدورها تأثرت تأثراً هاماً باللغة العربية ، إذ كانت هذه الأخيرة حاملة ثقافة وحضارة متطورة غنية ، بينما كانت لغة العثمانيين لغة فقيرة غير قادرة على التعبير عن منجزات الحياة المتحضرة لذلك العصر .

وبالإضافة إلى هذه الألفاظ دخلت في اللغة الرومانية ألفاظ عربية أخرى - وعددها

البلدان الرومانية^(١)

ما يقارب خمسة قرون



تحت نير الإمبراطورية العثمانية ، إذ يتشابه تاريخها في هذه المدة الطويلة مع تاريخ أغلبية مناطق العالم العربي ، لكنها لم تصبح أبداً أقاليم تابعة لهذه الإمبراطورية رغم أنها كانت تدفع الأتاوات ورغم أن الباب العالي كان يعيّن قادة هذه البلاد . وطوال عصور الاحتلال العثماني للبلدان الرومانية تأثرت اللغة الرومانية باللغة التركية تأثراً ملحوظاً ، فقد وصل إليها عدد كبير

(١) أراضي رومانيا الحالية كانت مقسمة إلى ثلاث دويلات : « مولدوفا » و « فالاهيا » (أو البلاد الرومانية) و « ترانسيلفانيا » .

وأتحدت « مولدوفا » مع « فالاهيا » في دولة واحدة سنة ١٨٥٩ وحصلت الدولة الرومانية القومية على استقلالها الوطني إذ تحررت من السيطرة العثمانية سنة ١٨٧٧ . ووقعت الدولة المسماة بـ « ترانسيلفانيا » لمدة قرون تحت سيطرة الإمبراطورية النمساوية الهنغارية وحصلت هذه المنطقة الرومانية على استقلالها بعد الحرب العالمية الأولى ، أي بعد انهيار هذه الإمبراطورية ، وانضمت إلى الدولة الرومانية الموحدة .

أصغر - عن طريق اللغة الأسبانية ولغات
غربية أخرى ، ولا نرغب في أن نحلل
هذه الألفاظ في مقالنا هذا لأن وضعها في
اللغة الرومانية يختلف اختلافا كبيرا عن
وضع الكلمات الدخيلة بواسطة اللغة التركية .
إن أغلبية الكلمات الدخيلة بواسطة
الأسبانية واللغات الغربية الأخرى أصبحت
مصطلحات علمية ولها مواضع ثابتة في
اللغة في الوقت الحاضر كذلك .

وأصبحت الألفاظ ذات الأصل العربي
موضع البحث من جانب الباحثين الرومانيين
في نهاية القرن التاسع عشر وبداية قرننا
العشرين ولكنهم كانوا يعتبرون جميع
الكلمات التي لها أصل شرقي (ومنها ألفاظ
أصلها فارسي أو تركي أو تترى)
« كلمات تركية » أو بمصطلح أوسع
وغير واضح « كلمات شرقية » أو
« عناصر لفظية شرقية »^(١) .

(١) ونذكر بين أهم الدراسات في هذا المجال :

(١) بحث « التأثير الشرقي على اللغة والثقافة الرومانية » للعالم الانوى « لازار شينيانو » الذي صدر في بوخارست
سنة ١٩٠٠ (العنوان باللغة الرومانية: Lazar Seineanu; Influenta orientala asupra limbei si
culturei române Bucuresti, 1900) وهو إكمال لبحث آخر عنوانه : « ألفاظ تركية في اللغة الرومانية »
صدر في سنة ١٨٥٥ (العنوان باللغة الرومانية: Elemente turcesti in limba româna, Bucuresti, 1885)
ويعتبر بحثا « لازار شينيانو » من أكمل البحوث التي وضعت حتى الآن في هذا الموضوع رغم أن مؤلفهما لم يوضح
ما هي مكانة الألفاظ العربية والتركية والفارسية بين هذه الكلمات . أما الجزء الثاني من هذا البحث ، فهو قائمة
بالكلمات الشرقية وفي هذا الجزء يشير الباحث إلى الأصل العربي لعدد من الكلمات الشرقية . أما أغلبيتها فهو يشير
إلى الكلمة التركية فقط بدون أى إشارة إلى أصلها العربي أو الفارسي . ونذكر كذلك أن « لازار شينيانو » لم
يسجل في القائمة التي حددتها عددا كبيرا من الألفاظ العربية . وهو يقع في كثير من الأخطاء لأنه لم يعرف اللغة
العربية ومن المحتمل أنه لم يعرف الفارسية ولا التركية . ولهذا السبب يعتبر عددا من الكلمات العربية فارسية أو العكس
كما أنه لا يشير بصورة صحيحة إلى اللفظ العربي الذي كان أصلا للكلمة الرومانية .

(ب) بحثا « تيوفيل ليوبيل » : « ألفاظ تركية وعربية وفارسية في اللغة الرومانية » الصادر في ليزيغ سنة
١٨٩٤ (العنوان باللغة الرومانية: Elemente turcesti arabesti si persane in limba româna, 1894)
و « اسهام في تحديد الأصل الشرقي لعدد من الألفاظ الرومانية » الصادر في بوخارست سنة ١٩٠٨
(العنوان باللغة الرومانية: Contributuni la stabilirea originii orientale a unor cuvinte românești, Bucuresti, 1908.)
ويكمل هذان البحثان عمل « لازار شينيانو » وتكون أغلبية تصحيحاته
سليمة على الرغم من أنه يقع في بعض الأخطاء كذلك . وكان « تيوفيل ليوبيل » يجيد اللغة التركية كما عرف شيئا ما
العربية . وما يشير الإهتمام أنه اعتبر الكلمات ذات الأصل العربي عريية وما كان منها تركي الأصل ألفاظا تركية
وما كان منها فارسي الأصل ألفاظا فارسية (البحث الأول ص ١٧٠ - ١٨ ، البحث الثاني ص ٣٠) =

واعتبرت «قضية الألفاظ العربية الأصل» محلولة من خلال هذه الأبحاث ولم يتناولها بالبحث اللغويون خلال نصف قرن تقريباً وأشار مؤخراً «ألكساندرو روسيتي» عضو أكاديمية العلوم الرومانية والأستاذ «بوريس كازكو» في كتابهما (تاريخ اللغة الرومانية)، أشارا إلى ضرورة إعادة بحث هذه الكلمات في ضوء الإنجازات الجديدة في ميدان علم الاستشراق^(١).

ويبدو أن عدداً من الباحثين لا يزالون يعدون جميع الألفاظ الشرقية الأصل الدخيلة إلى اللغة الرومانية عناصر لفظية تركية بصرف النظر عن أصلها العربي أو الفارسي.

إن الأصل المباشر لهذه الكلمات من اللغة الرومانية يوجد في اللغة التركية،

ولكن دراسة عميقة دقيقة لأصل الألفاظ يجب ألا تكتفى بالإشارة إلى اللغة التي جاءت الكلمة منها مباشرة، بل يجب أن تتابع الطريق الذي سارت عليه الكلمة وأن تصل إلى اللغة التي خرجت الكلمة المعنية منها. إن مثل هذه الدراسة تشير إلى إسهام اللغات في نقل منجزات ثقافة مختلف الشعوب كما تشير إلى أن لغات شعوب متباعدة ظاهرياً كانت بينها روابط ربما لا تزال قائمة، كما توضح تحقيق التبادل بين مختلف الحضارات.

وقد نبّه اللغوي السوفياتي (ر. أ. بوداغوف) - حين أشار إلى هذه الفكرة - إلى أصل مختلف الألفاظ الدخيلة، فنص على أنها تؤخذ مباشرة وغير مباشرة أي بواسطة لغة ثالثة أو حتى رابعة أو خامسة^(٢).

= (ج) بحث «بعض الألفاظ الرومانية ذات الأصل العربي والتركي والفارسي والعبري» لـ «غيورغي بوبيسكو تشوكايل»، باريس، ١٩٠٧ (المنوان باللغة الفرنسية: Quelques mots roumains d'origine arabe, turque, persane et hebraïque)

وهذا البحث يجافي المنهج العلمي الصحيح إذ يعتبر مؤلفه عدداً من الكلمات التي لا يوجد أي شك بصدد أصلها، يعتبرها شرقية انطلاقاً من التشابه اللفظي أو الدلالي فقط بدون أن يأخذ في الاعتبار تاريخها والبحوث الأخرى التي وضعت إلى ذلك التاريخ والتي تشير بوضوح إلى أصلها.

(١) ألكساندرو روسيتي وبوريس كازكو، تاريخ اللغة الرومانية ص ٣٤١٠، Al. Rosetti, B. Cazacu, Istoria limbii române literare, Bucuresti, 1961, p. 341

(٢) ر. أ. بوداغوف: مقدمة في علم اللغة (الطبعة الرومانية)، بوخارست ١٩٦١، ص ١٣٧٠.

أما الكلمات العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية فقد وصلت إلى اللغة الرومانية بواسطة لغة ثالثة أى اللغة التركية ولكن هناك كلمات عربية وصلت إلى اللغة الرومانية بواسطة لغة رابعة (العربية - فالتركية - فالبلغارية) أو (الصربية أو اليونانية) - فالرومانية (أو العربية - فاللاتينية - فالفرنسية - فالرومانية) أو (العربية - فالأسبانية - فالفرنسية - فالرومانية) .

واعتبرت المستشرق السوفيتية (ج. ف. زافا وفسكايا) الكلمات العربية الدخيلة في اللغة الفرنسية مثلاً اعتبرتها عربية - حتى لو لم تدخل إلى اللغة الفرنسية مباشرة من اللغة العربية^(١) .

وأشار (لويس ديروا) حيث تحدث عن كلمة magasin الموجودة في اللغة الفرنسية إلى أنها عربية الأصل وأصلها كلمة (مخازن) جمع (مخزن) بالرغم من أنها وصلت إلى اللغة الفرنسية بواسطة

الإيطالية أو البروفانسية^(٢) . ، وأشار في موضع آخر من نفس مؤلفه إلى أن بعض الكلمات الأجنبية قد دخلت الفرنسية عن طريق مباشر أو غير مباشر . « ومن الممكن أن نقول إن الفرنسية أخذت كلمات من جميع لغات العالم تقريباً إذا لم نأخذ في الاعتبار أن عدداً منها وصل إليها بواسطة لغة أخرى^(٣) » .

وفي رأينا أنه يجب أن نعتبر الألفاظ ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية ألفاظاً عربية لا تركية ولا شرقية تحريماً للدقة في التعبير .

وليس في نيتنا أن نتناول التغيرات الصوتية التي حدثت عند انتقال الكلمات العربية إلى اللغة التركية إذ أشار إليها اللغوي الفرنسي (جان ديوني) في كتابه « مبادئ النحو التركي^(٤) » . كما أشار (لازار شايينيانو) في كتابه (التأثير الشرقي على اللغة والثقافة الرومانية) المذكور إلى التغيرات الصوتية التي حدثت عند انتقال الكلمات من اللغة التركية إلى اللغة الرومانية^(٥) .

(١) اللغات السامية (Semitskie iaziki) « الطبعة الروسية » ، موسكو ، ١٩٦٣ ص ٩٩ .

(٢) Louis Deroy, L'emprunt linguistique, Paris, 1956, p. 20

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٨٠

(٤) Jean Deny, Principes de grammaire turque, Paris, 1955, P. 26

(٥) لازار شايينيانو ، العمل المذكور ، ص ٤١٠ - ٤٥ .

ويلفت النظر أن اللغة التركية قد أثّرت بخصائصها الصوتية في الكلمات العربية الدخيلة وعملت الرومانية بدورها نفس الشيء عند انتقال هذه الكلمات إليها . وفي حالة الكلمات الطويلة الحجم أو بعض التركيبات تم تقصيرها عند دخولها في الرومانية . وفما يلي بعض الأمثلة : ع . استفتاح < ت . siftal < ر . saftea ؛ ع . مصادرة < ت . (mu) sadere < ر . satara ؛ ع . دار الصناعة < ت . tersane < ر . tersana ؛ ع . ما شاء الله < ت . masallah < ر . masala ؛ ع . سلام عليكم < ت . selamlie < ر . selamlie .

وجرى تغيير آخر في مجال الصوتيات كذلك ، ألا وهو فقد الحروف العربية الشدّة تشديدها عند انتقالها من اللغة التركية إلى اللغة الرومانية وذلك أن التشديد ليس من خواص اللغة الرومانية ، فمثلا : ع . بطّال < ت . battal < ر . batal ؛ ع . جَلّاد < ت . gellad < ر . gealat ؛ ع . حمّال

< ت . hamma < ر . hamal ع . محلّة < ت . mahalle < ر . mahala ؛ ع . مقلّد < ت . mukallit < ر . mucalit إلى آخرها .

وهناك عدد من الأدلّة تشير إلى أن أغلبية الكلمات التي أخذتها اللغة التركية من اللغة العربية أخذتها من اللهجات الدارجة ولم تأخذها من اللغة الفصحى . والدليل الأول على ذلك أنها كلمات تحمل أسماء أدوات ملموسة لها انتشار واسع ، وقليل منها فقط يسمى عناصر للحياة الروحية .

والدليل الثاني هو فقد التنوين الذي الذي يمثل سمة للأغلبية الساحقة من الأسماء والصفات في اللغة الفصحى ، ولا يصدر إلا في حالات نادرة في اللهجات الدارجة . وقد تركت التنوين جميع الكلمات العربية الأصل التي أخذتها الرومانية بواسطة التركية ، فمثلا :

ع . بلاء < اللهجة بَلَا < ت . belä < ر . belea ؛ ع . كيف < اللهجة كيف < ت . keiyf < ر . chef ؛ ع . ترتيب < اللهجة ترتيب < ت . tertip < ر . tertip .

والدليل الثالث أنه لا يوجد هناك لفظ واحد وصل إلى اللغة الرومانية مسبوقاً بأداة التعريف (ال) ، إن كل الألفاظ من اللغة الدارجة ولها استخدام واسع وهذا مما يفسر نقص أداة التعريف ^(١) .

والدليل الرابع أن أغلبية الألفاظ التي تنتهى في اللغة العربية بتاء مربوطة قد فقدت هذه التاء عند انتقالها إلى اللغة التركية : ع . عقيدة < t . akydo < ر . academa ؛ ع . لقمة < t . lokma < ر . locma ؛ ع . نفقة < t . nafaka < ر . nafaca (وجرى عند الانتقال إلى اللغة الرومانية كما يبدو تغيير لترتيب الحروف الأصلية) .

وفي عصر التأثير التركي الطويل على البلدان الرومانية - وبالتالي على اللغة الرومانية - لم يُعَمَّس ما يسمى بالتركيب الأساسي للغة الرومانية . ونفس الشيء من

الممكن أن نقوله بصدد التركيب النحوي والتركيب الصوتي . إن الكلمات ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية والتي بلغ عددها بعض المئات ترتبط بالحياة السياسية والعسكرية والإدارية للبلدان الرومانية وبالأتاوات التي كانت هذه البلاد مضطرة إلى دفعها ، وبالتياب الشرقية الأصل من ذلك العصر .

ودخل عدد من هذه الكلمات اللغة الرومانية بالعادات والعلاقات التي كانت تسميها بينما كان عدد منها يسمى العلاقات القائمة في الامبراطورية العثمانية ولما زالت العلاقات التي كانت تسميها هذه الألفاظ وتبدلت الأدوات التي دخلت معها اللغة الرومانية ، فإن هذه الألفاظ أصبحت غير معروفة وغير مستعملة وتعتبر في عصرنا هذا كلمات قديمة لا تستخدم إلا في كتب التاريخ أو كتب الأدب ذات الطابع التاريخي .

(١) والجدير بالذكر أنه دخل في اللغة الرومانية بواسطة اللغات الغربية كثير من الألفاظ العربية التي كانت مصطلحات علمية في اللغة العربية . وقد وصلت إلى اللغة الرومانية مسبقة بأداة التعريف ومن هذه الألفاظ مثلا : alambic, alcali, alcool, algebra, alidada وغيرها ، ويبدو أن استخدام أداة التعريف كان يشير إلى أن هذه الكلمات مصطلحات علمية إذا أخذنا في الاعتبار أن هناك كلمات من اللغة الدارجة وصلت بغير أداة التعريف إلى اللغة الفرنسية ومنها إلى الرومانية ، مثل ع . فقير < ف . faguir < ر . fachir ؛ ع . مسكين < ف . mesquin < ر . meschin ؛ ع . فلاح < ف . fellah < ر . felah .

وفيا يلي قائمة بالألفاظ العربية الأصل التي كانت تسمى علاقات سياسية وإدارية وعسكرية من عصر السيطرة التركية وأدوات ملموسة لها ارتباط بهذه العلاقات. ascher, cadiascher^(١), caid, caimacam^o, calem, carar, cișt, dandana, gerid, hanger, barsa, hatiserif^o, havalea, hochim, huzmet, leafa, mazdrac, menzil, merchez, mertep^o, meterez, mucaes^o, mucarer, muchealemea, muhafiz, muhaserea, muhemat, muhur, mumbașir, murahaș, mușir, muteveliu, naip, nazir, nefer, nizam, nobet, raia, redif, regeal, reiz, rusumat, rușfet, sacat sadrazan^o, saltanat, seleaf, seraschier^o, serhat^o, sultan, tabie, taçir, talhîs, tarapana^o, teşcherea. teşrifat, umur, uşur, validea, valiu, vechil, vilaet, vizir, zabet, zaherea, zaim.

ولا يستخدم من هذه القائمة الطويلة إلا بعض الألفاظ في أيامنا ، بعضها نتيجة للتطور الدلالي وبعضها في الأدب ذى الطابع التاريخي dandana, hanger, leafa, meterez, raia, sultan, tarapana, vechil, vizir. ومن الممكن أن يجرى هذا التغير لأن العلاقات التي كانت تسميها تغيرت تغيرا مستمرا كبيرا .

ولا يزال يستخدم في عصرنا عدد من الكلمات التي كانت تسمى أنواعا من المنسوجات أو الثياب ، مثل : aba, antieru, burnuz, catifea, cutnie, fes, giubea, halat, imamea, iminei, marama, melez قد تغير في خلال القرون .

وقد وصل إلى اللغة الرومانية عدد من الألفاظ التي لها وزن « فَعَّال » الذي يشير إلى المهنة أو الحرفة : bacal, casap, cavaș, goalat, gerah, hamal, telal, zaraf وصلت إلى اللغة الرومانية بحرف عين غير مشدد . وبالإضافة إلى هذه ، وصلت كذلك كلمات أخرى تشير إلى الحرف أولها صلة بالحرف :

alvitar, calfa, hadîmb, halvagi, isnaș, māmular, nalbar, rușet, tergiman, seiz, surugiu يستخدم بعض هذه الألفاظ : casap التي اشتق منها في اللغة الرومانية الفعل căsăpi الذي له انتشار واسع و goalat, و surugiu و zaraf .

ومن الجدير بالذكر أن أغلبية الألفاظ التي لها صلة بالحياة المالية والتجارية

(١) الكلمات التي تتبعها هذه الإشارة (٥) تكونت في اللغة التركية من كلمتين عربيتين أو من كلمة عربية وكلمة فارسية

hardal, haşîş, liliac, mucava, sabur,
sidef, tahîn, zambac, zof, zambila

وكثير من هذه الكلمات يوجد في اللغة
الرومانية الحديثة ويستخدم بعضها
كمصطلحات علمية .

ويستخدم كذلك جزء من الألفاظ
التي كانت تدل على أسماء الأعيان :

alem, acaret, bagdadie, bina, cafas,
calup, canat, cherpedin, chiub, cîlf,
cubea, cula, halca, hap, havuz,
hazna, hurtum, mahmudea, macaz,
maden, magazie, mahala, maidan,
masala, matara, aba, anterior, burnuz
catifea, cutni, fes, gir.bea, halat
mehlem, merea, minaret, nastrapa,
sel, saca, satîr, zâraf, inamea,
iminei, marama, melez

ولبعض هذه الألفاظ انتشار واسع في
أيامنا أيضا .

والجدير بالذكر أن ١٥ كلمة من
مجموع الـ ٢١^(٢) كلمة التي دخلت إلى اللغة

تستخدم كذلك في عصرنا :

aiar, amanet, calp, chesat,
chila, mezat, magazie, mofluz,
musteriu, oca, raft, saftea, tarapana^o,
telal, zaraf,

كما تحتفظ اللغة الرومانية الحالية
بأغلبية الألفاظ العربية الأصل التي كانت
تسمى أطعمة ومشروبات

acadea, cafea, cataif, chebap,
ciorba halva, locma, magiun,
musaca, rachiu, rahat, serbet,
talin ، كما وصلت إلى الرومانية بعض
الألفاظ التي لها صلة بالأطعمة ومنها :
mutpah, nastrapa, sahan, satîr,
sofra, sufertas^o, tain
satîr, sufertas^o, tain. منها

ووصلت إلى اللغة الرومانية كذلك
بعض الكلمات العربية الأصل التي تسمى
نباتات ومواد مثل :

afion, cafea, cafea, cana, catran,^(١)
chibrit, chimen, cîrmîz, cubeba,

(١) دخلت كذلك بواسطة الفرنسية بشكل gudron

(٢) وسجل هذه الكلمات الـ ٢١ « الكساندرو روسيتي » و « بوريس كازاكو » في كتابهما المذكور ،

الرومانية عن اللغة التركية وكانت تحمل
دلالات مجردة أصلها عربى

bolea, berechet chef, cusur,
dandana, habar, hal haltir, huzur,
mahmur, marafet, nuri, sart, tabiet,
tertip

وبالرغم من أن مجال الديانة لم يُمسَّ
بالتأثير الإسلامى خلال القرون الماضية
فقد دخل إلى اللغة الرومانية عدد من
الكلمات التى كانت تسمى الأمور التى
لها علاقة بالدين الإسلامى . ومن الطبيعى
أن يكون أصل هذه الكلمات عربيا إذا
أخذنا فى الاعتبار أن العرب^(١) هم الذين
أُتسوا هذه الديانة . ولا تزال تستخدم
أغلبية الألفاظ التى تسمى وقائع لها صلة
بالدين الإسلامى :

cadu, Coran, geamie, gheaur, hagialic,
hagiu, hurie, imam, mecet, muezin,
musulman, rama - zan, salavat,
segedea. seic, seiton, ulema, vacuf

ومن المتوقع أنه جرت تغيرات كبيرة
فى (دلالة) الألفاظ العربية الأصل
الدخيلة فى اللغة الرومانية باعتبار أنها
وصلت إلى الرومانية بواسطة لغة أخرى
قبل قرون كثيرة . وعلى الرغم من هذه
الظروف فإن هذه الألفاظ لم تتغير معانيها

إلا فى حالات نادرة وبصورة ضئيلة .
ودخل إلى الرومانية الألفاظ التى كانت
تسمى علاقات سياسية أو شرعية أو إدارية
أو عسكرية فى عصر معين أى فى عصر
الاحتلال العثمانى فى نفس الوقت مع
العلاقات التى كانت تسميها . أما اللغة
التركية فأخذتها فى أغلب الحالات من
العربية بدون أن تحدث فيها أى تغيير
أو محدثة فى بعضها تغيرات ضئيلة
صغيرة . وأغلبية هذه الكلمات لها نفس
المعنى فى العربية والتركية والرومانية
ونذكر من بينها : *hochim* <
محافظ. < *muhafiz* ، مباشر < *mumbasir*
، محاصرة < *muhaserea* ، متولى <
muteveliu ، مسلم < *muselim* ،
، نائب < *naip* ، سلطان < *sultan*
، تقرير < *tacir* ، تذكرة < *tescherea* ،
، والى < *valiu* ، ولاية < *vilact*
، وزير < *vizir* ، ضابط < *zabet* ،
زعيم < *zaim* كما لم تحدث
تغيرات فى معنى الكلمات التى تسمى
أسماء الأعيان مثل :

acaret, alem, cafes, calup, havuz,
hurtum, musama, nastropa

(١) لم نعن هنا بالسكان الأتراك والتتار الذين يعيشون فى رومانيا حاليا والذين يتجاوز عددهم ٤٠ ألفا
والذين يعتنقون الإسلام .

وغيرها . وكذلك في معاني أسماء النباتات

والمواد مثل :

afon, cafea, cana, cafea, catran,
chimen, cîrmîz, cubeba, hardal, haşig,
liliae, sabur, sidof, sofran, tahin,
zambac

وفي المصطلحات الدينية مثل :

Cadiu, Coran, geamie, hagi, imam,
mecet, muezin, ramazan, seic, segeda,
vacuf

أما الألفاظ التي تسمى أصحاب الحرف
وأشياء أخرى تتصل بهم ، فلم تجر فيها
إلا تغييرات طفيفة

bacal (bacan), casap, cava, gerah,
halvagi, hamal, isnaf, rufet, seiz,
telal, tergiman, zaraf

وقد جرت أهم التغييرات في معاني الألفاظ
التي تسمى صفات أو عيوباً ولكن مدلولات
هذه الألفاظ أيضاً كانت أقرب إلى
المدلولات الموجودة في اللغة التركية أو في
اللغة العربية في عصر قديم من تاريخ اللغة
الرومانية . فمثلاً كلمة عجمي < acemi
بالمعاني الآتية : « فارس ؛ بربري ؛ جاهل ،
خشن ، غليظ ؛ مبتدئ ، شخص ليست
له خبرة < ageamii بالمعنى
« مبتدئ ، شخص ليست له خبرة بالحياة
أولا يحسن التصرف » ، ع . خائن < ت

hain بنفس المدلول الموجود في اللغة

العربية < ر . hain ، وكان للفظ الروماني

المعنى العام الموجود في العربية والتركية ولكنه

اكتسب كذلك معنى آخر « قاس » ؛ ع .

مقلد < ت . mukallit < ر . mucahit

وبالإضافة إلى الدلالة الأصلية تطورت هذه

الكلمة في اللغة الرومانية إلى معنى « مضحك

وهو جاد ، متندر » . وفي ع . « تلبس »

نجد أنها أصبحت في الرومانية telpiz

وأنها صفة في هذه اللغة ولها معنى « ماكر ،

متكلف ، متصنع » . [اللفظ في اللغة الرومانية]

وجرت التغييرات التي تتصل بمعاني هذه
الكلمات في اللغة الرومانية بعد أن انقطعت
علاقاتها المباشرة مع اللغة التركية . إن حالة
من حالات تطور الدلالة يمثلها فقط عدد من
المدلولات الأصلية حيث يقتصر اللفظ على
معنى واحد وحسب ، دون المدلولات الأخرى
التي كانت له في التركية أو العربية . وهذه
الظاهرة تحدث في أغلبية الألفاظ العربية
الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية . كما
يحدث في بعض الحالات أن التركية بدورها
قد اقتصرت على أحد مدلولات اللفظ دون
غيرها . وفيما يلي بعض الأمثلة :

ع . عوائد (جمع العائدة) ^(١) < ت .
 await ؛ «مداخيل ، ضرائب » < ر .
 avast «ضريبة كانت تدفع لمداخيل
 معينة » . ونلاحظ أن الكلمة «عوائد»
 التي لها معان كثيرة في اللغة العربية دخلت
 في اللغة التركية ببعضها بينما لم تحتفظ
 الرومانية إلا بمعنى واحد . ونفس الظاهرة
 جرت بكلمات أخرى : ع . قيد < ت
 kayd < ر . caid «ملف ، أرشيف» ؛
 ع . خاطر < ت . < hatin < ر .
 «رغبة» ؛ ع . مسافر < ت musafir <
 ر . musafir «ضيف» وغيرها .

وهناك طبعاً ألفاظ وصلت إلى الرومانية
 واحتفظت بمعانيها المختلفة من اللغة المانحة ،
 مثل اللفظ «حريم» الذي له في الرومانية
 المدلولان الموجودان في اللغة الأصلية :
 «زوجات رجل مسلم متعدد الزوجات»
 و «جزء من البيت الخاص بالنساء» .

ومن الطبيعي أن تتغير مدلولات كثير
 من الكلمات الدخيلة إذ أنها أصبحت ذات
 سمات جديدة تنسجم بها ألفاظ اللغة التي
 وصلت إليها وتطورت في ظروف تاريخية

جديدة تحدّد تطوّر اللغة في مجموعها . وهناك
 في اللغة الرومانية كلمات عربية الأصل
 ابتعدت معانيها عن المعاني الموجودة لها في اللغة
 العربية وحتى في اللغة التركية . وهذا ما
 حدث مثلاً في اللفظ «أبرش» الذي كان
 يشير في اللغة العربية إلى صفة من صفات
 الحصان والذي أصبح في الرومانية (وشكلها
 abraş) يشير إلى صفة أخرى بالنسبة
 للحصان ألا وهي «جامح» وبالإضافة إلى
 هذه يشير إلى صفة من صفات الإنسان ألا
 وهي «عنيف وشرير» وإلى صفة لأعمال
 الإنسان ألا وهي «فاشل وخائب» . ومن
 الملاحظ أنه بينما كان يدل في العربية
 والتركية على صفة من صفات الإنسان فقط ،
 توسع في الرومانية نطاق الدلالة وأصبح
 يشمل بالإضافة إلى صفة الحصان صفات
 أخرى خاصة بالإنسان . إن تطورا مشابها
 جرى بالنسبة لكلمة «خفيف» والتي
 أصبحت تدل في الرومانية (وشكلها ofif)
 على صفة «المفلس» .

وفي حالات أخرى لا يقتصر تطور اللفظ
 الدخيل على التعبير عن معان جديدة بل في

(١) لا تسجل هنا معاني الكلمات في العربية اعتباراً أن الباحث يجهدها في القواميس العربية .

إمكانها أن تكسب قيا بلاغية معينة وطابعا اجتماعيا معيناً . وقد أشار « لازار شاينيانو »^(١) في عمله المذكور إلى بعض هذه الكلمات ونحن نضيف إليها أمثلة أخرى :

afif (ع . خفيف) بمعنى « مفلس »
و ageamîu (ع . عجمي) بمعنى
« مبتدئ » و berechet (ع . بركة)
بمعنى « مكّار » و ciorba (ع .
شربة) في المثل a te băga în ciorba
cuiva بمعنى « تدخل في شؤون شخص آخر
و fes (ع . فاس) في المثل a turti
fesul cuiva بمعنى « خيب آماله »
و fitil (ع . فتيل) في المثل a băga
fitiluri بمعنى « دس الدسائس » و
hap (ع . حبّ) في المثل a înghiți
hapul بمعنى « فتل » إلى آخرها .

وفيا يتعلق بالقيمة الاجتماعية التي تكسبها كلمة في مرحلة من مراحل تطورها ، أبلغ مثل هو مثل اللفظ chiabur (ع . كبير) . وقد أصبح لهذا اللفظ استخدام واسع جدًا في مرحلة انتقال رومانيا من الرأسمالية إلى الاشتراكية أي في سنوات

الكفاح ضد ملاك الأراضي الكبار ومن أجل الإصلاح الزراعي والتحول الاشتراكي للزراعة . واكتسبت هذه الكلمة في تلك السنوات معنى الكلمة الروسية « كولاك » تحت تأثير اللغة الروسية طبعاً وكانت لا تدل على الإقطاعيين بالضبط ، بل على فئة ريفية أخرى - فئة برجوازية الأرياف وصغار الملاك الذين لم تقم الدولة الاشتراكية بتأميم ممتلكاتهم أو بتوزيعها على الفلاحين الفقراء ولكنها ضغطت عليهم لكي يتجهوا إلى الاشتراكية . ونتيجة لاكتساب هذا المعنى أصبح لهذه الكلمة انتشار واسع إذ كان يستخدمها جميع متحدثي اللغة الرومانية واشتق منها أحد عشر مشتقاً جديداً بوسائل اشتقاقية خاصة للغة الرومانية وهي : صفة chiaburese واسم chiaburan واسم se chiaburime وفعل se chiaburi واسم chiaburoi ومصدر deschiaburire وفعل deschiaburi ومصدر deschiaburire وصفة închiaburit .

(١) لازار شاينيانو ، الكتاب المذكور ، ص . ٤٧

ومما يلفت النظر أن الانتشار الواسع لهذه الكلمة ومشتقاتها كان محدودا زمنيا ، ولا يستخدمها متحدثو الرومانية اليوم إلا عندما يتحدثون عن وقائع تلك الفترة التي تجاوزها المجتمع الروماني .

وحصلت الكلمة vechil (وكيل) كذلك في مرحلة معينة من تاريخها على ظل دلالي اجتماعي . وكان من بين معاني الكلمة العربية معنى «منتدب» و «مفوض» و «نائب» واحتفظت الكلمة بنفس الدلالات في اللغة التركية بينابذلتها في اللغة الرومانية إذ أصبحت تعني فيها بالإضافة إلى «نائب قائد الدولة» و «المحامي» معنى آخر ألا وهو «الشخص المفوض بالإشراف على العمل في إقطاع» أي «نائب الإقطاعي» و «مشرف» . ويعرفها متحدثو الرومانية بهذه المعاني الأخيرة نتيجة لاستخدامها في فترة طويلة من الزمن بهذه المعاني .

إن كثيرا من الكلمات العربية الأصل الموجودة في اللغة الرومانية اكتسبت ظلا دلاليا فكاهيا . فمثلا كلمة berechet

(بركة) اكتسبت بالإضافة إلى معنى «زيادة الخير» الأصلي معنى «مكّار» ، شاطر» وكذلك الكلمة «fudul (فضول) التي لها بالإضافة إلى معنى يكون ممكنا تفسير ارتباطه بالمعنى الأصلي اكتسبت معنى آخر في المثل fudul de-o ureche أي «أصم» ، وكذلك الكلمة hap (حب) لها معنى جديد فكاهي في المثل a inghiti hapul بمعنى «تحمل شيئا غير محبوب» . هذا ، وقد اكتسبت ألفاظ أخرى ظلا دلاليا ممزوجا بالفكاهة ، ومنها gealat (جلاد) بمعنى «فتوة ، جدع» mahala (محلة) بمعنى «ساحة ، خاصّة في ضواحي المدن ، تجمع فيها الزبالة أو يستخدمها الأطفال للعب» . ويعرف كذلك متحدثو الرومانية هذه الكلمة في عصرنا هذا بمعانيها الجديدة هذه .

وأشار اللغوي الفرنسي «لويس ديروا» في إحصاء عامّ للكلمات الدخيلة إلى أن أغلبيتها (ما بين ٧١ في المئة و ٧٥ في المئة) أسماء وما بين ١٨ - ٢٣ في المئة أفعال ، وما بين ٣ - ٤ في المئة صفات ، و ١ في المئة حروف .^(١) ونلاحظ أن

(١) Louis Deroy ، الكتاب المذكور ص ٦٧ .

هذه الإحصائيات تؤكد كدها كذلك حالة الكلمات العربية الدخيلة إلى اللغة الرومانية: حوالى ٨٥ فى المئة منها أسماء وحوالى ١٠ فى المئة منها صفات وحوالى ١٠ فى المئة تكون حروفا وأدوات تعجب . ومما يلفت النظر كذلك أنه لم يصل إلى الرومانية فعل واحد وربما ذلك بسبب الشكل المقيد للفعل العربى .

وكثيرا ما يحدث عند انتقال لفظ من لغة إلى لغة أخرى تغير له من أجل إدخاله فى نوع صرفى معين كما يحدث تنقله من الاسم إلى الصفة أو العكس . وهناك بعض الأمثلة من هذه الناحية : اللفظ « فضول » كان اسما فى العربية والتركية وأصبحت fudul فى الرومانية صفة واشتقت الرومانية من هذه الصفة اسما جديدا حسب نظامها فى الاشتقاق fudulie . واللفظ « تلبيس » telpiz الذى هو مصدر فى العربية أصبح فى التركية اسما وصفة وفى الرومانية صفة فقط . والحالة العكسية : اللفظ chiabur الذى تحدثنا عن معانيها أعلاه .

وبين الألفاظ العربية الأصل هناك بعض الصفات التى تدل على خواص أو

عيوب . ومن الجدير بالذكر أنها كانت فى اللغة العربية أسماء ومنها hain (خائن) بمعنى « شرير » و « قاس » و mofluz (مفلس) بمعنى « غير مرض » و siret (شرة) بمعنى « ماكر » ، مخدع وغيرها .

وهناك بعض الحالات التى لا تعتبر فيها اللغة التركىة الجمع جمعا بل تعتبره مفردا وتشتق منه جمعا جديدا حسب نظام اشتقاقها للجمع كما تحدث هذه الظاهرة عند انتقال عدد من هذه الجموع إلى الرومانية . فمثلا acarot (عقارات جمع عقار) يشتق منها جمع رومانى acaroturi ، وكذلك cataif (قطائف جمع قطيفة) يشتق منها جمع cataifuri . وكذلك من havadiş (حوادث جمع حادثة) يشتق جمع havadişuri وغيرها . وهذا هو دليل آخر على أن هذه الكلمات وصلت إلى الرومانية عن طريق الحديث لا عن طريق الكتابة .

وأصبحت بعض أسماء المدن والمناطق العربية تسمى فى الرومانية بأشياء ملموسة أصلها فى هذه المناطق ، ومنها fes (مدينة فاس) بمعنى « طربوش » و misir

(مصر) بمعنى «حصان عربى» و sama
(شام) بمعنى «منسوج معين». واحتفظت
هذه الكلمات لفترة بعد دخولها الرومانية
بالمعنى الأصلي وفي مرحلة أخرى فقدت هذا
المعنى وأصبحت تعرف بمعانى هذه الأشياء
الملموسة التي اعتبر أصلها في هذه المناطق
العربية المذكورة .

كما وصل إلى اللغة الرومانية عدد من
النسب المشتقة من أسماء مناطق أو مدن
عربية كذلك . ومنها iminei (يمنى)
ويدل اللفظ على نوع خاص من الأحذية
يعتبر أصلها في اليمن و bagdadie
(بغدادى) الذى يدل على أسلوب معين في
طلاء المباني يتشابه مع الطلاء الذى كان
يستخدم في بناء البيوت ببغداد وغيرها .
وفي أغلب الحالات أصبحت هذه النسب
أسماء في الرومانية .

وليست الألفاظ التي تسمى ظروفًا أو
أدوات تعجب ليست في أغلب الحالات
كذلك في العربية ، بل هي إما أسماء وإما
مصادر وإما تركيبات لفظية ، فمثلا
اللفظ hareci (حراج) بمعنى «صوت
يستخدمه قائد بيع المزار» و masala
(ماشاء الله) بمعنى «أحسننت ، برافو

عليك» و tiptil (تبديل) بمعنى
«خفية» . ونذكر كذلك أن عددا من
الألفاظ العربية الأصل احتفظت بها
الرومانية في عبارات مركبة فقط على
الرغم من أن لها معان خاصة في العربية
وفي التركية ، ومنها : cherem (كرام)
في المثل la cheremul cuiva بمعنى
«تحت أمر شخص» و chelemet
(كلمة) في المثل a face chelemet
cu cineva بمعنى «أتصل بشخص اتصالا
وديا» و naht (نقد) في العبارة în naht
بمعنى «نقدا» و naiba (نايبة)
في العبارة la naiba بمعنى : في الداهية
وغیرها .

وتعتبر أغلبية هذه الأمثال قديمة ومن
الممكن أنه في فترة معينة من تاريخ
اللغة الرومانية كانت لهذه الكلمات معان
خاصة . ويبدو أن هذا سيكون مصير
ألفاظ لها معان خاصة وهي منفردة ولكن
أغلبية المتحدثين يعرفونها في أمثال . ومن
هذه الألفاظ : aman, abraş, habar,
hac, hal, halal, haram, hatîr, hap,
iaca, mertepca, nazar, ramazan,
safta, şart

وكان عدد الألفاظ العربية الأصل التي
دخلت في اللغة الرومانية بواسطة التركية
يتجاوز ٤٠٠ لفظا . ويحتوى هذا الرقم

şaca, safta, satîr, sidef, sofa, sufertas, şerbet, şiret, tabiot, tacîm, taman, talpiz, tertip, tiptil, vechil, zaiafet, zambila, zarzavat, zurliu.

وهناك ألفاظ أخرى تستخدم في اللغة الدارجة بصورة خاصة .

والجدير بالذكر أن عددا منها لا يزال يستخدم نتيجة للسعي الجديدة التي حصل عليها في اللغة الرومانية ،
مثل :

abras, ageamiu, avan, berechet, bina, dandana, fudul, gealat, halat, hatîr, leafa, magazie

وهناك ألفاظ أخرى بقيت في اللغة نتيجة لدخولها في أمثلة لها استعمال واسع ، ومنها : hac, habar, halal, hatîr, naiba وغيرها .

ومن أهم الملاحظات أن هناك عددا من الكلمات العربية الأصل التي وصلت إلى رصيد اللغة الأساسي أي أنها تُعدّ بين [الآلاف القليلة من ألفاظ اللغة الرومانية] التي تعتبر أساس متن اللغة وهذه الألفاظ هي cafea, chef, chirie, hal كلمة خامسة - cîntar - التي نشك في أن أصلها عرنى ولكنها دخلت بالمعنى

على الألفاظ الأصلية فقط ولا يشمل المشتقات المختلفة التي تكونت من هذه الألفاظ على التربة الرومانية ولا الأشكال اللهجية التي كانت متعددة في بعض الحالات . وتستخدم في الوقت الحاضر أغلبية هذه الألفاظ في لغة الكتابة ولكنها غير شائعة في الاستعمال العادي للغة .

إن عددا من هذه الألفاظ استخدم في قرون السيطرة العثمانية فقط وفي أغلب الحالات زالت في نفس الوقت بزوال الأدوات والمؤسسات والعلاقات التي كانت ترتبط بها .

إن كثيرا من الألفاظ التي حُلِّناها لا تزال تستخدم في عصرنا الحديث استخداما واسعا ، وهذه قائمة لها :

abras, acaret, ageamiu, bina, celp, catifea, catran, chef, chibrit, chirie, ciorba, cusur, dandana, fes, fitil, fudul, furtun, gealat, get-beget, habar, hac, hal, halal, ha'at, halva, hamal, haram, hatîr, haz, hazna, huzur, leafa, liliac, macaz, magazie, magiun, mahala, mahmur, marafot, marama, meremet, mezat, mofluz, mosor, mucalit, mucava, musaca, muşama, muşteriu, naiba, năframa, oca, rachiu, rahat, ramazan, raft,

الموجود في اللغة الرومانية من اللغة العربية بواسطة التركية وتسجل قواميس اللغة الرومانية عددا من المشتقات التي اشتقت من هذه الألفاظ إما باللغة التركية وإما بالرومانية .

إن اللفظة *cafea* (قهوة) مثلا لها ثمانية مشتقات في اللغة الرومانية :
الاسم *cafe-gi-basa* > ت .
kahvegi-basa والاسم *cafe-giu* > ت .
kahveci والاسم *cafe-gioaica* والفعل
cafe-li والاسم *cafe-luta* واسم المكان
cafe-ne > ت . *kahvehane* واسم
المكان المصغر *cafe-neluta* والصفة *cafe-niu*

أما اللفظة *chef* (كَيْفَ) فلها خمسة مشتقات ولكنها تستخدم في اللغة الحديثة استخداما واسعا إذ أن اللفظة تدل في الرومانية على الاجتماع المصحوب بالشراب والرقص، والرومانيون مشهورون بهذه الأفراح التي يَأْكُلُون فيها ويشربون الخمر ويرقصون . وهذه المشتقات هي :
الفعل *chef-ului* والصفة *chef-liu*
ت . > *keyfli* والفعل *chef-ui* واسم
التصغير *chef-ulet* واسم التصغير *chef-usor* .

أما اللفظة *chirie* (كراء) فلها تسعة مشتقات ويُعَدُّ بعضها مهجورا :
الاسم *chiriaş* والاسم *chirigiu*
> ت . *kiragy* والفعل *inchiria*
والمصدر *inchiriere* والمفعول *inchiriat*
والفعل *reinchiria* والمصدر *reinchiriere*
والفعل *subinchiria* والمصدر
subinchiriere

أما اللفظة *hal* (حال) فبالرغم من أنه ليست لها مشتقات فلها استعمال جَدُّ واسع نتيجة لدخولها في عدد من الأمثال الواسعة الاستخدام .

وفيما يخص اللفظة *cîntar* فلها ستة مشتقات وكلها تستخدم بصورة خاصة في لغة التجارة ، وهي اسم الحرفة
cantaragiu > ت . *kantaragy*
والفعل *cîntări* والمصدر *cîntărire*
والمفعول *cîntărit* والصفة *recîntărit*
والصفة *recîntărit* .

إن كثيرا من الألفاظ التي ذكرناها أعلاه دخلت في لغة الأدب نتيجة لظلالها

البلاغية أو نتيجة لقوتها التعبيرية الكبيرة ، كما دخل عدد آخر منها في رصيد الألفاظ المهجورة للغة الرومانية والتي تخرج من مخفها وتستخدم لوصف وضع خاص من ماضى التاريخ .

ومن المفترض أن جزءا من الكلمات العربية الأصل الدخيلة إلى اللغة الرومانية سوف يستمر استخدامها لمدة طويلة بعد إيمان نتيجة لأنه لا يوجد هناك مترادفات تنافسها وإمان نتيجة للظلال الدلالية الجديدة التي اكتسبتها .

هذا ، ونقدم فبا يلي قائمة كاملة بالألفاظ العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية ولأسباب من السهل فهمها نقتصر على الإشارة إلى الأصل العربى والوسيط التركى من غير

أن نشير إلى معانيها . إن الراغبين في بحث هذه الكلمات في إمكانهم أن يجدوا دلالاتها مسجلة في قواميس اللغة الرومانية . ولا نسجل في هذه القائمة كذلك إلا الشكل الأساسى لكل كلمة أى الشكل الذى يستخدم في اللغة الفصيحة أو الذى كان له أكبر انتشار في حالة الكلمات التي لا تستخدم في الوقت الحالى . ولانسجل الأشكال اللهجية الأخرى التي لها استخدام محلى أو محدود زمنيا رغم أنه في عدد من الحالات تكون هذه الأشكال أقرب من الأصل وتساعدنا في فهم التطور الدلالي . ولانتناول المشتقات الأخرى المكونة في اللغة الرومانية . ورتبنا الألفاظ في هذه القائمة حسب الحروف الأبجدية الرومانية .

اللغة العربية < التركية < الرومانية	اللغة العربية < التركية < الرومانية
عباء	عار
أبرش	علم
عقيدة	أما
عقارات	أمان
عادة	أمانة amanet, emanet
خفيف	عرب
عجمى	عرض
عجم	عرض حال
aba	aiar
abras	alem
acadea	ama
acaret	aman
adet	amanet
afif	arab
ageamiu	arz
agem	Arzihal ^o
haff, {	
afif	
akaret	
akyde	
Agem	

اللغة العربية < التركية < الرومانية	اللغة العربية < التركية < الرومانية	اللغة العربية < التركية < الرومانية
ascher(iu) asker عسكر	caid kayd قيد	
atlaz atlaz, atlas أطلس	caimacam ^o kaymakam قائم مقام	
avaet avait, avaid عوائد	caimea kayme قائمة	
avan havan خروان	calem kalem قلم	
bacal bakkal بقال	calfa kalfa خليفة	
bagdadie bagdadi بغدادى	calp kalp, kalb قلب	
batal battal بطال	canat kanat كنة	
băcan bakkal بقال	carar karar قرار	
bacan bakkam بقم	casap kasab, kassab قصاب	
becher bekâr بكر	cataif kataif قطائف	
belea belâ بلاء	catifea katifa قطيفة	
berechet bereket بركة ؛ بركات	catran katran قطران	
bidiviu bedevi بدوى	cavaf kavaf خفاف	
bina bina بناء	cavas kavas قواس	
budala budala بدلاء	căneala, cana kana حناء	
burnuz burnuz, burnus برنس	chebap kebab كباب	
cabul kabul قبول	chef kef, keiyf كيف	
cadiascher kadyasker قاضى عسكر	chelemet kelimet كلمة	
cadin kady قاضى	cherem kerem كرام	
cafas kafas قفص	cherpedin kerpedin كلبتان	
cafea kahve قهوة	chesat kesat, kesad كساد	
caiafet kiyafet كيفية	chiabur kebir كبير	
	chiafir kyafir كافر	

اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
دولة	devlet	devlet	كاتب	kyatib	chiatip
دخان	duhan	duhan	كبريت	kibrit	chibrit
دعاء	duva	duva	كيلة	kile	chila
أتباع	etba	ecpaia	غلاف	kîlîf, gylaf	chilîf
فرفرة	farfara	farfara	كراء	kira	chirie
فاس	fes	fes	كوب	kup, kub	chiup
وسوسة	fesfese, vesvese	fesfesea	شربة	ciorba	ciorba
فيل	fil	fil	قنطار	kantar	cînter
فضول	fudul	tudul	قرمز	kîrmîz	cîrmîz
خرطوم	hortum	furtum	قسط	kyst	cîştîu
جلاد	gellât, gellâd	gealat	القرآن	Koran	Coran
جمال	gomal	geamala	قبّة	kubbe	cubea
جامع	gami	geamie	كبابية	kebâbe	cubeba
جلاب	gelep	gelep	قلعة	kula	cula
جراح	gerrah	gerah	قماش	kumaş	cumaş
جريمة	gereme	geremea	قصور	kusur	cusur
جدّ بعدد	ged-bi-ged	get-beget	كسكس + كباب	kuş-kebaby	cuşkebaby
كافر	gâvur	ghiaur	قطنيّة	kutnie	cutnie
كرديّة	kurdiye	ghiordie	دهيّ	dahi	dahiu
جلّ	gul	giol	دائرة	daire	dairea
جبة	ğubbe	giubea	طنطنة	tantana	dandana
خبر	habar, haber	habar	دعوى	dava	dava
حقّ	hak	hao	دور	devir	dever

العربية <	التركية <	الرومانية	العربية <	التركية <	الرومانية
حوادث	havadis	bavadis	خادم	badym	hadim
هووى	lavayi	havaiu	حاج	hagi	hagiu
حوالة	havale	bavalea	خائن	hain	hain
حوض	havuz	havuz	حال	hal	hal
هزل	haz, hazl	haz	حلال	halâl	balal
خزينة	hazine	hazna	خلعة	halat	balat
البت	elbet, elbette	elbet	آلات	alât	halat
حكم	hüküm	hochim	حلقة	halka	halca
حورية	hurie	hurie	حلى	halva	halva
خرطوم	hortum	hurtum	حمال	hammal	hamal
خدمة	byzmet	huzmet	خنجر	hanger	hanger
حضور	buzur	huzur	حب	hap	bap
خفيف	afifli, hafifli	ififliu	خراج	haraci	haraci
إمام	imam	imam	حرام	haram	haram
يمنى	yemeni	iminei	حراج	harec	hareci
عناد	inat, inad	inat	خردل	hardal	hardal
عطر شامى	ytri-sahi	indrus aim	حريم	hareem	hareem
أصناف	esnaf	isnaf	غاشية	hasa	harşa
علوفة	olefe, ülefe	leafa	غشاء	hasa	hasa
ليلك	leylak	liliac	خط	hatt	hat
لقمة	lokma	locma	حد	hat	hat
مقعد	makat	macat	خطأ	bata	hata
مقص	makas	macaz	خاطر	hatir	hatîr

اللغة العربية <	التركية <	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
مكتوب	mektup	مادة	madde	madea
ملس	melez	معدن	meden	madem
منزل	menzil	مخزن	magaza	magazie
مركز	merkez	معجون	magun	magiun
مرعى	mera	مغمور	magmuz	magmuza
مرمة	meremet, meramet	محلة	mahalle	mahala
مرتبة	mertebe	محمود	mahmudiye	mahnudea
متاع	metah, meta	مخبور	mahmur	mahmur
متراس	meteriz	ميدان	meydan	maidan
مزداد	mezat	منصب	mansup, mansip	mansub
منارة	minare	معرفة	marifet	marafet
ميراث	miraz	محرمة	mahrana	marana
مصر	Misir	مرض	maraz	maraz
مفلس	muflus	مشعلة	masal	masala
مسلم	moslim	مسد	masat	masat
مزور	muzevvir	مسخرة	maskara	mascara
مبايعة	mubaya	ما شاء الله	masaallah	masala
مكدم	mukadim	مطرة	matara	matara
مقايسة	mukayese	معتوه	matuf, matuh	matuf
مقلد	mukallit	مزراق	mizrak	mazdrac
مكرمة	mukarreme	معزول	mazul	mazil
مقوى	mukavva	معاملة	mamele	mamular
مكالة	mukaleme	مسجد	mecid	mecet

العربية <	التركية <	الرومانية	العربية <	التركية <	الرومانية
نقش	nakaşlik	nacaşlic	مكلف	mukellef	muchelef
نقد	nakt, nakd	naht	مدير	mudir	mudir
نائبه	nayba	naiba	موذن	muezzin	muezin
نائب	naip, naib	naip	مفتى	mufti	moftiu
مشربة	meşrebe	nastropa	محافظ	muhafiz	muhafiz
نظر	nazar	nazar	محاصرة	mubasere	muhaserea
ناظر	nazir	nazir	مهمات	muhimmat	muhemat
نعل + بند	nalbant	nalbar	مهر ، مهرور	muhur	muhur
نفر	nefer	nefer	مباشر	mubaşir	mumbaşir
نتيجة	netige	netogea	مرخص	murabhas	murabaş
نصف	nisfiyet	nisfia	مساعدة	musaade	musaadea
نظام	nizam	nizam	مسقّع	musakka	musaca
نوبة	nobet, nevbet	nobet	مسافر	musafir	musafir
نور	nur	nur	مصاحب	musahip	musaip
أقّة	okka	oca	مسلم	musellim	muselim
ألماس	elmas	olmaz	مشتمع	muşama	muşama
رفت	raf	raft	مشاورة	muşavere	muşaverea
رجاء	reğa	ragea	مشير	muşir	muşir
رجال	rigal	rageal	مشتري	muşteri	muşteriu
راحة	rahat	rahat	متفرّكة	mutferrika	mutferica
راحة الحلقوم	rahatlokum	rahatlocum	مطبخ	mutbah	mutpah
رعايا	raya	raia	متولّى	mutevelli	muteveliu
رمضان	ramazan	ramazan	نفقة	nafaka	nafaca

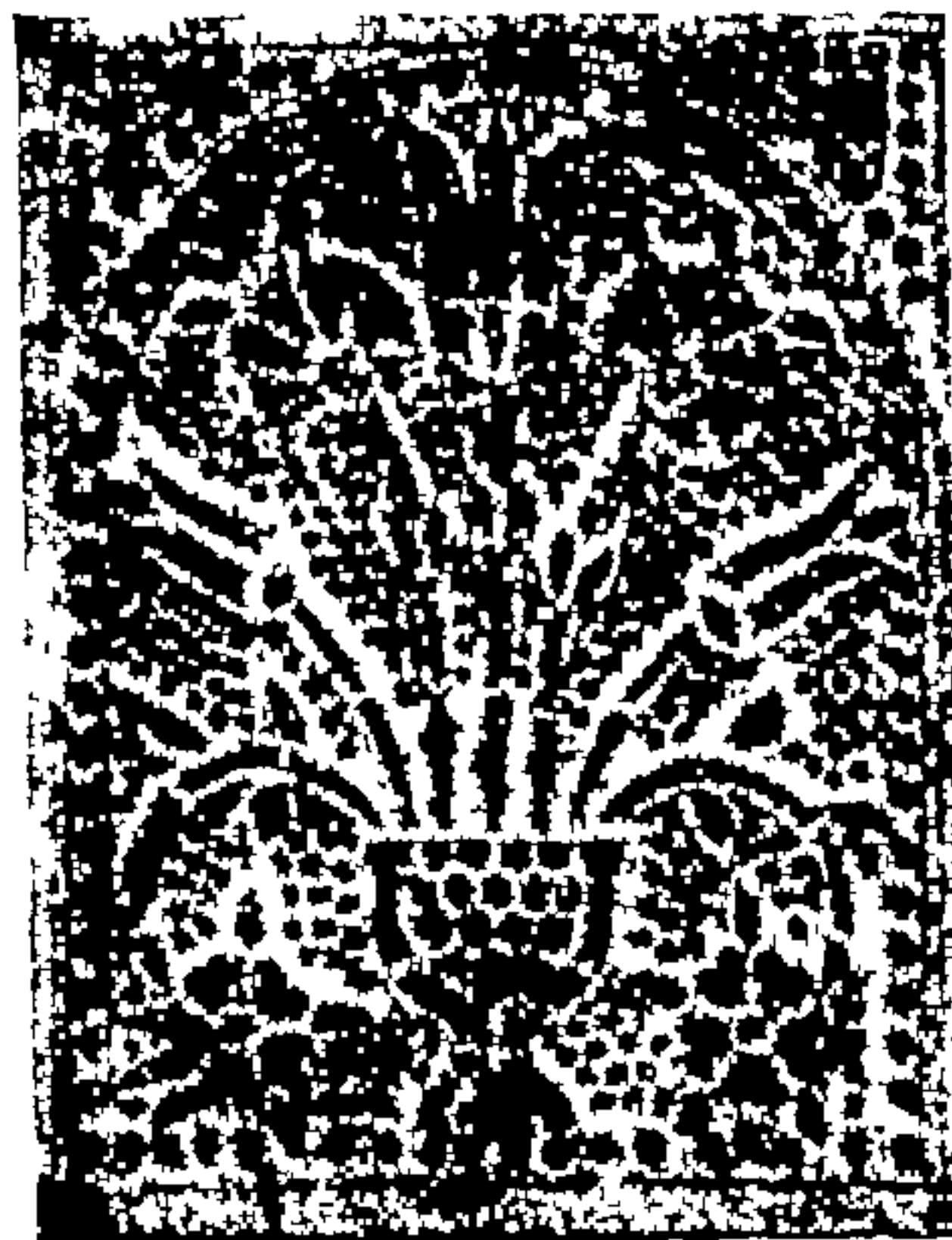
اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
ساطور	satir	satîr	رقم كاب	rakam	răcam
سائس + خانه	seysane	saxana°	ركاب	rikiab	rechiab
سجادة	seggade	segedea	رديف	redif	redif
سائس	seyis	seiz	وثيس	reis	reiz
سيل	sel	sel	ربعة	rubiye	rubia
سلام عليكم	selâmlik	selamlîc	رقعة	ruka	ruca
سلامة	selâmet	selemet	حرفة	rufet, hyrfet	rufet
سر + عسكر	serasker	seraschier°	ربع	rüb	rup
سر + حد	serhat	serhat°	رسومات	rusumat	rusumat
صدف	sedef	sidef	رشوة	rüşvet	ruşfet
سلاح	sileaf, silâh	sileaf	رتبة	rüte, rütbe	rutea
سميد	simit	simit	صبر	sabyr	sabur
سند [٤]	senet	sinet	سقاء	saka	saca
صينية	sini	sinie	سقط	sakat	sacat
زقاق	sokak	socac	صدر أعظم	sadrizam	sadrazan°
صفة	sofa	sofa	صافي	sâf	safi
سفرة	sofra	sofra	استفتاح	sefte, sifta	safta
سلطان	sultan	sultan	صحن	sahan	sahan
[صورة]	suret	suret	سلام عليكم	selamalek	salamalec°
سروجي	surugi	surugiu	صلوات	salavat	salavat
شبكة	şebeke	şabaca	سحلب	salep	salep
شاه مات	şah mat	şah mat	سلطنة	saltanat	saltanat
شام	şam	şam (ă)	مصادرة	musadere	satara

اللغة العربية <	التركية <	الرومانية <	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية <
تعليم	talim	talim	شرط	şart	şart
طمع + كر	tamakar	tamachiar ^o	شاطر	şatir	şatir
تمام	tamam	taman	شربات	şerbet	şerbet
تنور	tandur	tandur	شيخ	şeyh	şeiç
طرف	taraf	taraf	شريف	şerif	şerif
ضرب + خانة	tarabhane	tarapana ^o	شرة	şirret	şiret
تقسيم	taksim	taxim	زعفران	şafran, zaferan	şofran
تكاليفات	teklifat	teclifat	شروط	şurut	şurut
دلال	tellâl, dellâl	telal	دباغ	tabak	tabac
تلبيس	telbis	telpiz	طابية	tabiye	tabie
تمنى	temenna	temenea	طبيعة	tabbiat	tabiet
ترجمان	tergeman	tergiman	طاقم	takim	tacim
[دار صناعة]	tersane	tersana ^o	تقليد	taklit, teklid	taclit
ترتيب	tertip	tertip	تقرير	takrir	tacrir
تذكرة	tezkere	teşcherea	[طحين]	tahin	tahin
طباشير	tebeşir	tibişir	[تخمين]	tahmin	tahmin
تبدیل	tebdil	tiptil	[تحميص]	tahmis	tahmis
ثلث	suls	tult	[طائفة]	taife	taifa
علماء	ulema	ulema	[طائفة]	taife	taifas
أمور	umur	umur	[طائفة]	taife	taifet
عشر	öşur	uşur	تعيين	tayin	tain
وقف	vakuf	vacuf	تلخيص	telhis	talhiş
وعدة	vâde	vadea	طالع	tâli	tali

اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
زنبق	zambak	zambac	والدة	valide	validea
سمبل	sümbül	zambila	والى	valii	valiu
ضبط	zapt, zabt	zapt	وكيل	vekil	vechil
صراف	zaraf	zaraf	وزنة	vezine	veznea
ظرف	zarf	zarf	ولاية	vilâyet	vilaiet
ظريف	zarif	zarif	وزير	vezir	vizir
خضروات	zerzevat	zarzavat	ضابط	zabit	zabet
ذوق	zevk	zefchi	ذخيرة	zahire	zaharea
صوف	sof	zuf	ضيافة	ziyafet	zaisfet
ظلم	zulüm	zulum	ضعيف	zayif	zaif
			زعيم	zaîm	zaim

NICOLAE DOBRISAN
Section de langues orientales
Université de Bucarest
Roumanie

نيقولا دوبريشان
أستاذ قسم اللغات الشرقية
جامعة بوخارست - رومانيا



دراسة

في حركية عين الكلمة الثلاثية

في العربية ولهجائها

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقدمة :

توهم القدماء من علمائنا ضالة قيمة الحركات - وأنها أمر ثانوى بالقياس على الحروف ، وفى هذا القول بعض المغالاة ، فللحركات خطورتها فى تنويع أصل كل معنى ، وعن طريقها يتحقق تغاير المعنى الصرفى ، والدور البنائى الوظيفى . وتاريخ الحركات - جزء هام من تاريخ الكتابة العربية فى عصورها

الإسلامية ، غايتها تصوير كل صوت برمز كتابى يدل عليه . ولقد مرت العربية فى تاريخها الطويل بإصلاحات فى هذه الحركات متنقلة بين النقط^(١) وغيره حتى استقرت على يد الخليل بن أحمد - رائد هذه المدرسة العلمية بإبدال طريقة النقط التى وضعها أبو الأسود الدؤلى للدلالة على الحركات الإعرابية بجرات علوية وسفلية للدلالة على الفتح والكسر ، وبرأس واو للدلالة على الضم^(٢) ، وما قام به الخليل فى هذا الشأن يرمى إلى العبقرية العربية ، وأياً ما كان فالكتابة وحركاتها ترتبط بال عقيدة الإسلامية حيث حملت الدين الجديد على جناحيها شرقاً وغرباً ، بل كانت له خيراً من صليل السيوف ومشروعات الرماح ، كما ترتبط بالفن الهندسى الجمالى تارة أخرى .

(١) ألف فى النقط كثيرون من العلماء منهم أبو عمرو الدانى صاحب كتاب: النقط والشكل: مكتب الدراسات الإسلامية فى دمشق ١٩٤٠ م . تحدث فيه عن نقط المصاحف وكيفية ضبطها على ألفاظ التلاوة ومذاهب القراءة ، كما ذكر مواضع الحركات من الحروف ، والتنوين وتتابعه ، وعلامة السكون والتشديد ، وتحدث كذلك عن أحكام نقط ما نقص من هجائه ومازید فى هجائه بالنسبة للمصحف ...

(٢) وآخر هذه الإصلاحات فى الحركات حتى الآن ما قام به الدكتور خليل عساكر حيث أضاف خمس علامات مبتكرة وجعلها رموزاً لخمس حركات ترد فى نطق اللهجات العربية الحديثة ، وقد راعى اتفاق هذه العلامات الجديدة وانسجامها مع طبيعة الكتابة العربية . انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ . وأرى أن هذا الإصلاح هو الرابع فى تاريخ إصلاح الكتابة .

وفي العربية نجد أنماطا من الحركات المختلفة من بسيطة ومزدوجة Diphthong وممتولة ومخطوفة أو مختلصة إلى آخر ما نراه في كتب العربية وعلوم القرآن، على أن الحركات يمكن أن ترتبط بنظرية نحويى العربية الذين يرون أن الحركات الأساسية هي التي بواسطتها تحرك نهاية الكلمة في حالات الإعراب ، غير أنه يوجد إلى جانب هذه الحركات حركات أخرى نشأت بتأثير الحرف الصامت سابقا أو لاحقا ، مع بعض العوامل الأخرى .

والحركات قصيرة وطويلة وليس من فرق بينهما إلا في الكمية ، والأولى قامت بدور المخالفة بين الصيغ التي لا تفترق إلا في حركة محققة البناء الوظيفي في الصيغة ، من ذلك :

بين الظرفية والإسمية .	حفرت وسط
	الدار بئرا
بين المشاركة وبين الأمر	وحفرت وسط
	الدار بئرا
بين المشاركة وبين الأمر	قاتل فلان فلانا
	وقاتل فلانا

شاتم فلان فلانا
وشاتم فلان
بين المشاركة واسم الفاعل

سقف وسقف
ضحكة وضحكة
شربة وشربة
بين المفرد والجمع
بين الفاعلية والمفعولية
بين الوحدة والهيئة

فما رأيت من تفاوت أو تغاير في المعنى الوظيفي فمرجعه الاختلاف في الحركات دون غيرها .

حركة العين وتنويع المعنى :

قد تتوالى الحركات والسكنات على الصيغة ، وتتقاصف عليها فتألف نمطا منسجما يتواكب مع المعاني الوظيفية^(١) ، ويمكن أن نرى نموذجا لما وقع فيه التخفيف بالإسكان في عين الكلمة ، ونرصده دلالاته فإذا نظرت إلى :

(أ) ثبت وثبت ، فالدلالة في الأول على المتثبت ، وفي الثاني على زيادة التمكن في الوصف .

(ب) النفض والنفض ، والخبط والخبط ، والطرْد والطرْد ، فقد كثر عنهم مجيء المصدر

(١) انظر : الوحدات الصرفية ص ٢٥٢ (مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم) الأستاذ أحمد عبد العظيم .

على فعل سا كن العين ، واسم
المفعول منه على فعل مفتوحها^(١)
كما يمكن أن تختلف دلالة
الكلمة أيضا باختلاف أى
حركة فيها ولو كانت الحركة
غير السكون :

(١) فمن ذلك : قول ابن درستويه
« وقد يلتزمون أحد الوجهين
للفرق بين المعاني كقولهم :
ينفر - بالضم من النفار
والاشمئزاز ، وينفر - بالكسر
من نفر الحجاج من عرفات^(٢) »
إلا أن هذه المفاهيم الدقيقة قد
تجمدت فيما بعد وزالت الحدود
بينها رويدا رويدا ، خذ
مثلا قول الله تعالى : « ويهلك
الحرث والنَّسل^(٣) » فقد
روى هارون عن الحسن وابن
أبي إسحق وابن محيصن .
« وَيَهْلِك » بفتح الياء واللام
ورفع الكاف . الحرث والنسل :

رفع فيهما ، وابن مجاهد
يغلط القراءة ، وابن جني
يتصمدى للدفاع عنها معتمدا
على دربته الذهنية وأقيسته
الصناعية إذ يقول : لعمري
إن ذلك ترك لما عليه اللغة....
ثم ينقل ابن جني عن أبي بكر
(أنه كان يذهب في هذا إلى
أنها لغات تداخلت^(٤)) . وكان آ
على اللغويين أن يبحثوا في
المعنى أولا بمعنى أن الفعل هلك
- إذا جاء في قبيلة من باب
ضرب ، وفي أخرى من باب
علم - هل يكون المعنى واحدا
فيهما أم يختلف باختلاف
الصيغة ؟ وكان عليهم أيضا
أن يفتشوا عن الباب الأصلي
لهذه المادة والفرعى منها ، وهل
الأصلي يتساوى مع الفرعى
في المعنى أو يزيد أو ينقص
أو ينحرف معناه قليلا أو
كثيرا ؟ .

(١) المحتسب لابن جني ٢ / ٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) المزهر للسيوطي ١ / ٢٠٨

(٣) سورة البقرة آية ٢٠٥

(٤) المحتسب ١ / ١٣١ خط بالتمورية .

(ب) وقد كان لدى الفراء شفافية في لحظ هذه الظلال الدقيقة بين الضم والفتح ، وذلك في كتابه « المذكر والمؤنث »^(١) قال الفراء : أكثر القراء على فتح القاف في قوله تعالى : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » وقرأ أصحاب عبد الله : قرح - بالضم . وكأن القرح - بالضم ألم الجراحات وكان القرح - بالفتح الجراحات بأعيانها . على أن كثيرا من المتأخرين يملكون على مثل هذا ، ولا يكادون يقفون تلك الوقفة الرائعة التي وقفها الفراء حين نظر إلى الصيغة من الجانب الفني الدلالي لا الجانب الميكانيكي الصناعي الذي ينحصر في استبدال حركة بأخرى على حين تبقى الدلالة في الصيغة راکدة هامة .

التفريع والتفريع في عين الكلمة :

معلوم أن الثلاثي المجرد له الأوزان الآتية : فعل ، فعل ، فعل ، فعل بفتح العين وكسرها وضمها ولكن لوحظ أن الصيغتين الأخيرتين تعتورهما تغيرات عدة لا سيما في الأوزان الصرفية ، والقصد من هذه التغيرات هو التخفيف وتوفير الجهد الذي تنزع إليه القبائل العربية في أثناء كلامها ، وأمثال ذلك ما نجده في :

١- فعل : بكسر العين سواء كانت اسما أو فعلا حيث ينطق بها (فعل) بتسكين العين مثل : علم تقول فيه : علم ، وفي كتف : كتف ، وفي فخذ : فخذ ، ويظهر أن هذه التغيرات أو التفريعات تختص بلهجة تميم ، على حين لهجة الحجاز أبقتها على حالها بدون تفريع ، يقول الرضي « وجميع هذه التفريعات في كلام بني تميم ، وأما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون^(٢) » وعزاه سيبويه « إلى بكر بن وائل وأناس كثير من

(١) ٢٦ ، وانظر اللسان ٦ / ١٤٨

(٢) شرح الشافية : ابن الحاجب : ١ / ٤٠ ط حجازي .

- تميم^(١) « وبلاستقراء وجد أن صيغة :
(فعل) بكسر العين يتفرع عنها ما يلي :
- (أ) تسكين العين : مثل فعل .
- (ب) تسكينها بعد نقل حركتها إلى
الفاء فتصير (فَعَل) نحو :
شهد ، فخذ ، في حلقى العين ،
وكتف ، وكبر ، في غير الحلقى .
- (ج) التفرع الثالث : فَعِل :
بكسرتين وهذا التفرع يختص
بما كان حلقى العين نحو ضحك .
هذه هي تفرعات (فَعِل)
بكسر العين .
- (أ) فَعِل : بكسر العين وتفرعها
إلى فَعُل بسكون العين .
- ولما كانت النصوص القرآنية ، وغيرها
هي سبيلنا في إثبات كل قضية فإليك
ما يلي :
- ١- كلمة على وزن نبقة وهي الفصحى
وهي لغة الحجاز ، وبها جاء التنزيل ،
وكلمة على وزن (سدره) ، وعلى وزن
(تمرة) وهي لغتا تميم^(٢) . ويقول
المصباح بأن « الكلمة » تخفف على
لغة بنى تميم^(٣) . وفي قوله تعالى : « قل
يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء^(٤) »
قرئت كلمة - على وزن نمربة ، وكلمة
على وزن (سدره)^(٥) .
- ٢- وفي الآية « وكأين من نبي قاتل
معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما
أصابهم^(٦) . قرأ عكرمة وأبو السمال :
وهنوا بإسكان الهاء^(٧) .
- ٣- يرى الأزهري أن (الوسمة)
بكسر السين وهو كلام العرب - وعزى
كسر السين إلى لغة الحجاز^(٨) ، وقال
الجوهري تسكينها لغة^(٩) . ولا شك
أن التسكين تفرع عن الكسر وأرجح
أن التسكين لتميم .

(١) سيبويه : ٢ - ٢٥٧

(٢) ابن هشام : شذور الذهب : ١٣/١ ، وحاشية عبادة على الشذور : ١٣/١

(٣) المصباح : ٨٣١/١ ، شرح المفصل : ابن يعيش : ١٩/١ ، اللسان : ٢٨/١٥

(٤) سورة آل عمران آية : ٦٤ (٥) البحر : ٤٤٧/٢ : ٤٨٢

(٦) آل عمران آية : ١٤٦ (٧) البحر : ٧٤/٣

(٨) المصباح : ١٠٢٤/٢ (٩) اللسان : ١٢٣/١٦

٤- في قوله تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة »^(١) فقرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن وغيرهم بسكون الظاء - وهي لغة تميمية^(٢) - كما عزاها في المحتسب إلى تميم^(٣) أيضا . ولا شك أن هذا التسكين في الظاء للتخفيف من نظرة - بكسر الظاء .

٥- وما رواه ابن السكيت من أنه سمع أعرابيا من بنى تميم يقول : « نَعَمْ »^(٤) وقرأ ابن وثاب قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »^(٥) بفتح النون وسكون العين ، قال أبو حيان وتخفيف فعل لغة تميمية^(٦) .

ويظهر أن هذا التخفيف لم يكن خاصا بتميم بل شمل كثيرا من المناطق العربية ، فكانت بكر بن وائل تخفف مثل هذا فقد ذكر سيبويه في كتابه « أن من

العرب من يقول : نَعَمْ الرجل - في نِعَم - كأن أصله : نَعِم ثم خفف بإسكان الكسرة على لغة بكر بن وائل^(٧) ، وما يزيد هذا الدليل قوة ما روى عن أبي هريرة وعاصم الجحدري في قراءتهما « مَلِك يوم الدين »^(٨) في « مالك يوم الدين »^(٩) على الصفة المشبهة . وقد قرأ بها أيضا عبد الوارث عن أبي عمرو^(١٠) ، كما عزيت هذه القراءة في مكان آخر لربيعة ، واستشهد لها بقول الأعشى : فقال للملك أطلق منهم مائة رسلًا من القول مخفوضا^(١١) وما رفعا

وإذا كانت الظاهرة واحدة في بكر بن وائل وربيعة ، فذلك لأن العلاقة النسبية بينهما قائمة ، إذ أن بكرا هذه - كما ترى كتب الأنساب - بطن من ربيعة^(١٢) .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٠ (٢) ٣٤٠/٢ من البحر المحيط ، ومختصر شواذ القرآن ابن خالويه : ١٧

(٣) المحتسب : ابن جني : ١٦٤/١ مخطوطة بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير تيمور .

(٤) إصلاح المنطق : ١٠٥ (٥) سورة الرعد آية : ٢٤ (٦) البحر المحيط : ٣٨٧/٥

(٧) اللسان : ٦٦/١٦ (٨) البحر : ٢٠/١

(٩) سورة الفاتحة آية : ٤ (١٠) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ١

(١١) الاشتقاق : ١٧ ط وستفلد . (١٢) نهاية الأرب : القلقشندي : ١٧٨

وإذا كان هذا التسكين جائزا فإننا نرى بعض المتزمتين يسمونه بعدم الصحة مستدلين بقول الشاعر :

وأحفظ من أخى ما حفظ منى

ويكفينى البلاء إذا بهـلموت

فسكن حفظ - وهو غير سائغ على رأيهم !! والصحيح أنه جائز في سعة الكلام وليس من الضرورة في شيء .

والأمثلة السابقة فيها تفرعت الصيغة (فَعِلَ) إلى (فَعُلَ) بسكون العين .

وقد تفرغ صيغة (فَعُلَ) بكسر العين إلى (فِعْلَ) بسكونها ، وذلك في لهجة تميم ، ومن ذلك :

(ب) فَعِلَ : بكسر العين وتفريعها إلى فِعْلَ بكسر الفاء ، وسكون العين .

١- وذلك قوله تعالى « بثما اشتروا به أنفسهم »^(١) فأصل بثس : بثس من البؤس ، سكنت همزتها ، ثم نقلت

حركتها إلى الباء ، كما قيل : لكبد : كَبِدَ .

قال الطبري في تفسيره « وهى من لغة الذين ينقلون حركة العين من فَعِلَ إلى الفاء إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة - وذلك فيما يقال لغة فاشية في تميم »^(٢) .

٢- وقرأ الجمهور قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »^(٣) بكسر النون وسكون العين وهى أكثر استعمالاً^(٤) ، وأصلها : نَعِم ، فسكنت العين ثم نقلت حركتها إلى النون قبلها فصارت (نَعِم) .

٣- وفى المخصص أنه سمع من العرب من يقول « وَرِكَ ، و - وَرَكَ ، وَكَيْفَ وَكِفَ »^(٥) ، وَلَعِبَ وَلِغِبَ^(٦) .

والغرض من هذا التفريع المعزى إلى تميم هو كراهة الانتقال من الأخف إلى الأثقل . ولهذا آثرت تميم تسكين العين فى هذا كله ، والسكون أخف من الحركة .

(٢) تفسير الطبري : ٢/٢٣٨ دار المعارف .

(٤) البحر : ٥/٣٨٧

(٦) تفسير الطبري : ٢/٣٣٨ دار المعارف

(١) سورة البقرة آية : ٩٠

(٣) سورة الرعد آية : ٢٤

(٥) المخصص : سفر ١٤ ص : ٢٢١

وقد تنصرع صيغة : فَعِلَ إلى فِعِل ،
بكسر الفاء والعين وهذا التفريع لا يكون
إلا في الحلقى العين .

(ج) فَعِل : بفتح الفاء وكسر العين
وتفريعها إلى فِعِل : بكسر
الفاء والعين .

وهذا التفريع لا يكون إلا في الحلقى
العين كَنِعْمَ وبئس : فتقول فيها على
التفريع نعم وبئس ، بكسر الفاء والعين
في كل منهما والأصل فيهما ، نعم وبئس
بفتح فكسر ، وقد عزا صاحب التوضيح
الصيغتين نعم وبئس ، بكسر الحرفين
الأولين إلى تميم حيث قال « وكسرهما
عند بني تميم ، ولا يعجز الحجازيون فيهما
إلا الأصل »^(١) ، وقد ساق سيبويه
عدة صيغ على فعل : بكسر الفاء والعين
منها : رجل لعب : بكسر الفاء والعين ،
ورجل محك ، وهو ماضغ لهم : بكسر الفاء
والعين ، وهذا رجل وعك^(٢) .

ولقد علل الرضى هذا التفريع في تلك

الصيغة فقال « وإنما جعلوا ما قبل الحلقى
تابعاً له في الحركة ، مع أن حق الحلقى
أن يفتح نفسه أو ما قبله كما في « يد مع »
لثقل الحلقى وخفة الفتحة ، فأتبع
فاؤه لعينه في الكسر^(٣) . وعلل سيبويه
لهذا التفريع بأن حرف الحلق لا يناسبه
إلا الفتح ، ولم تفتح العين الحلقية هنا
خوفاً من أن تلتبس صيغة (فعل) بفتح
العين مع صيغة (فعل) بكسرها ، فلما
لزمت العين الكسر ، وهى حرف حلق ،
وفى ذلك شيء من الثقل - أتبعوا الفاء
العين ليحدث نوع من التخفيف بالميل
من كسرة إلى كسرة ، وذلك لأن اللسان
يعمل في جهة واحدة ، فيكون العمل من
وجه واحد^(٤) .

٢- فَعِل : بفتح الفاء وضم العين
وتفريعها إلى فَعِل : بفتح الفاء وسكون
العين . وقد جاء التفريع فيها بسكون
العين تخفيفاً ولا يكون ذلك إلا عند بني
تميم . وأمثلة ذلك : ما قرئ به في قوله

(١) التصريح والتوضيح : ٩٥/٢

(٢) كتاب سيبويه : ٢٥٥/٢ ، شرح السيراني على سيبويه : ٥-٣١٣ مخطوط بالتميمورية .

(٣) شرح الشافية : ٤٠/١

(٤) كتاب سيبويه : ٢٥٥/٢ ، وانظر : المختص لابن سيده : سفر : ١٤ ص ٢١٣

تعالى : كبرت كلمة تخرج من أفواههم^(١)

بسكون الباء في (كبر) - وعزاها

أبو حيان إلى تميم^(٢) . كما قرأ أبو السمال

قوله تعالى : « وحسن أولئك رفيقا »^(٣)

بسكون السين - وعزاها أبو حيان إلى

تميم كذلك^(٤) : ونسب ابن خالويه في

البدیع هذه القراءة إلى قعنب^(٥) .

على حين لغة الحجاز لا تفرع في تلك

الصيغة ، فقد قرأ الجمهور الآية السابقة

« وحسن » بفتح الفاء وضم العين وهي

الأصل ، قال أبو حيان : وهي لغة الحجاز^(٦) ،

ويظهر أن التفريع في تلك الصيغة لم يكن

خاصا بتميم وحدها - فقد شمل بقاعا

أخرى من الجزيرة العربية ، ومما يؤيد

هذا ما جاء عن سيبويه من أن التسكين

في العين لغة بكر بن وائل ، وأناس كثير

من تميم ، ومثل لذلك بقوله : « عَضِدْ

في عَضِدْ وفي كَرُم الرجل : كرم^(٧)

بفتح فسكون ، وقد وجدنا صدى اللهجة

بكر بن وائل في كتاب الله أذكر منها :

(١) قال تعالى : « حتى إذا ضاقت

عليهم الأرض بما رحبت »^(٨)

قرأ زيد بن علي « بما رحبت »

بسكون الحاء^(٩) .

(ب) وقال تعالى : « كبرت كلمة

تخرج من أفواههم »^(١٠) .

فقد قرئ « كبرت » بسكون الباء -

وهي لغة تميم^(١١) .

ويجوز في هذا التفريع أي صيغة

« فَعَلَ » أن تنقل ضمة عينه إلى فائه

فيكون على وزن (فَعَلَ) بضم الفاء

وتسكين العين - وعليها قرئ قوله تعالى :

« وحسن أولئك رفيقا »^(١٢) « وحسن »

بضم الحاء وسكون السين ، والذي حدث

في تلك الصيغة : أن حركة السين وهي

الضمة ، نقلت إلى الحاء قبلها - وقد

عزى هذه الصيغة المنقولة حركتها -

(٢) البحر : ٩٧/٦

(٤) البحر : ٢٨٩/٣

(٨) سورة التوبة آية : ١١٨

(١٠) سورة الكهف آية : ٥

(١٢) سورة النساء آية : ٦٩

(١) سورة الكهف آية : ٥

(٣) سورة النساء آية : ٦٩

(٥) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٧

(٦) البحر : ٢٨٩/٣ ، الدر اللقيط : ٢٩٠/٣

(٧) الكتاب : ٢٥٧/٢

(٩) البحر : ٢٤/٥

(١١) البحر : ٩٧/٦

أبو حيان « إلى لغة بعض قيس »^(١) -
ويظهر أن النقل في الحركة هنا لا يصح
إلا إذا لمحمنا معنى التعجب فيها ، لأن التغيير
في اللفظ بالنقل صحبه معنى آخر زائدا
وهو التعجب ، وهذا معنى كلام الرضى
« من أن فعل - الذى فيه معنى التعجب يقال
فيه فعل^(٢) » بسكون العين وضم الفاء .

واستشهد لذلك بقول الأخطل :

« وَحُبُّهَا مَقْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ »

ولعل ذلك دلالة على نقله إلى معنى
التعجب^(٣) .

وأصل : حُبٌّ : حَبَبٌ - بفتح العين ،
ثم حول إلى فَعُلٌ : بضم العين لإرادة
المدح والتعجب فصار « حبيب » بضم
العين ، ثم نقلت العين إلى الفاء بعد
حذف حركتها فصار : حُبٌّ بضم ففتح .

وفى نسبة البيت السابق إلى الأخطل
دليل يفيدنا فى قضيتنا ، وهو أن هذا
التفريع فى الصيغ لم يكن فى تميم فقط ،
ولكنه شمل أجزاء كبرى من الجزيرة

العربية - فالأخطل هذا من تغلب ، وتغلب
وبكر ابنا وائل من ربيعة . وفى الكامل
للمبرد نجد شيئا من التفريع فى صيغة
فَعُلٌ بضم العين ، وتحويلها إلى فَعْلٌ
بسكونها .

من ذلك قول عمران بن حطان :

من الأزْدِ إنَّ الأزْدَ أَكْرَمَ مَعْشَرِ

يَمَانِيَةٍ طَابُوا إِذَا نَسَبَ الْبَشَرُ^(٤)

ويعقب المبرد على البيت السابق بقوله :

وينشد :

(يَمَانِيَةٌ قَرَّبُوا إِذَا نَسَبَ الْبَشَرُ)

بسكون الراء .

يريد : قربوا - بضم الراء . قال
المبرد : « وهذا جائز فى كل شئ مضموم
أو مكسور إذا لم يكن من حركات
الإعراب : تقول فى الأسماء : فى فَعُذْ :
فَعُذْ وفى عَصْدٌ : عَصْدٌ بسكون العين ،
وتقول فى الأفعال : كرم عبد الله بسكون
العين أى كرم^(٥) » ، وقول المبرد « وهذا
جائز . . . » دليل على أن هذا ليس
بابه الضرورة ، بل يكون فى سعة الكلام .

(١) البحر : ٢٨٩/٣

(٢) شرح الشافية لابن الحاجب : ٤٣/١

(٤) الكامل : ١١/١٢ ط حجازى ١٣٦٥

(٣) شرح الشافية : ٤٣/١

(٥) الكامل المبرد : ١١٤/٢

ولمّا كان القصد من هذا التفريع - هو التخفيف ، لأن النطق بصيغة : فَعْل بسكون العين أخف من صيغة فعل : أى بضم العين ، ولا شك أن السكون أخف من الضم . ولو لم يسكنوا العين بل تركوها على الضم لترتب عليه أن اللسان ينتقل من الأَخَف وهي الفتحة - إلى الأثقل منه - وهي الضمة ، ولهذا سكنت الضمة في تفريعه ، لأن السكون أخف . ويظهر أن التسكين كما كان في الكلمة الواحدة عند تميم ، شمل الكلمتين أيضا ، ويظهر هذا في غير المتصل بأن تكون الكسرة أو الضمة ليست في وسط الكلمة - كما تقدم من الأمثلة - بل ينظر إليها بجانب كلمة أخرى ، ومن هذا أنهم يسكنون هاء - هو وهي ، إذا سبقتهما واو ، أو فاء ، أو لام ، وقد وردت بعض القراءات على ذلك : منها قوله تعالى : « وهو بكل شيء عليم »^(١) ، « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم »^(٢) ، « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان »^(٣)

فقد قرأ قراء عديدون بسكون الهاء من الآيات السابقة منهم أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر^(٤) ، وعزا صاحب الإتحاف هذا التسكين إلى نجد ، كما نسب التحريك فيها إلى الحجاز^(٥) .

والسبب في هذا التسكين عند نجد أو تميم أن (فُهو) على وزن (فعل) فكما جاز أن نسكن عَضْدَ - فتكون (عَضْد) ، جاز تسكين الهاء من (فهو) التي برزن (فَعْل) بضم العين فتصير (فهو) (وهو) ، بسكونها وهذا إن دل فإنما يدل على أن التسكين كان كثيرا شاملا في تميم في الأسماء والأفعال .

ومما جاء من التفريع على تلك الصيغة قوله تعالى « فخر عليهم السقف »^(٦) بسكون القاف وهي قراءة الجمهور ، وقد عزاها أبو حيان إلى تميم^(٧) ، وهي مخففة من « السقف » بضم العين ، كما عزا صاحب البحر صيغة « عَضْدَا » في قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين

(١) سورة البقرة آية : ٢٩

(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٤

(٥) المرجع السابق .

(٧) البحر : ٤٨٥/٥

(٢) سورة البقرة آية : ٢٧١

(٤) إتحاف فضلاء البشر : ١٣٢

(٦) سورة النحل آية : ٢٦

عضدا^(١) ه إلى تميم^(٢) ، وهذه اللغة قرأ عيسى^(٣) ، وفي المصباح عزيت إلى تميم وبكر بن وائل^(٤) ، على حين عزا ابن منظور ناقلا عن أبي يزيد أن صيغة « العُضد والعُجُز - بضميتين - في لغة تهامة^(٥) » وفي المصباح أن تلك الصيغة السابقة معزوة إلى الحجاز^(٦) ، وهذا يشير إلى أن التفریع لم يكن في الحجاز . ويشير إلى معنى آخر وهو أن اللهجات كان بعضها يحل مكان بعض في نظر اللغويين والرواة ، فالصيغة عزيت في كتاب إلى تهامة ، وفي كتاب آخر إلى الحجاز ولا شك أن الصيغة الأصلية هي : عضد - بفتح فضم - ثم حدث فيها التخفيف فسكنت الضاد ، فصارت : عضد : يسكون الضاد - وأما نطقها في تهامة عضد : بضميتين فهي صورة متطورة عن الأصل ، ولأنها أخف من عضد - واللغة في سيرها تميل إلى السهولة ، وقد سبق أن جاءت القراءات في تلك الكلمة

في لهجة تميم وبكر بن وائل ، أما لهجة تهامة أو الحجاز فقد قرأ بها الحسن في قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين عضدا » بضميتين^(٧) .

٣- تفریع : « فُعل » بضم الفاء وكسر العين إلى « فُعْل » بسكون العين .

وهذا الضرب خاص بالفعل المبني للمجهول ، ومن المعلوم أن الفعل في الماضي يضم أوله ويكسر ما قبل آخره في البناء للمجهول لكنه يحول إلى صيغة تفريعية أخرى عند تميم وبكر بن وائل وتغلب - وهي صيغة : « فعل » بضم الفاء وسكون العين ويمكن أن نورد الشواهد الآتية لهذه الظاهرة :

١- عزى سيبويه إلى أبي النجم قوله : (لو عُصْر منه البان والمسك انعصر^(٨)) بضم العين وسكون الصاد - وأصلها : عصر - بالبناء للمجهول .

(١) الكهف آية : ٥١

(٣) مختصر شواذ القرآن ابن خالويه : ٨٠

(٥) اللسان : ٢٨٣/٤

(٧) المصباح : ٦٣٥/٢

(٨) الكتاب لسيبويه : ٢٥٨/٢ ، شرح الشافية : ٤٣/١ ، التصريح على التوضيح : ١٩٤/١ ، المختصر :

س ١٤ ص : ٢٢٠

٢- ورد في كتاب المخصص استشهاده
بقول الشاعر : (ونفخوا في مدائنهم
فطاروا ^(١)) بسكون الفاء ، ولم يعز
البيت إلى قائل ، وفي نسخة السيرافي
المخطوطة ^(٢) على سيبويه عزى هذا البيت
إلى القطامي ، وكذلك في اللسان مادة
(ن ف خ ^(٣)) .

٣- جاء في كتاب « العققة والبررة »
ما عزى إلى معبد بن قرط العبدى في
هجاء أمه من قوله :

تلتهم الوسق مشدودا أشظته ^(٤)
كأنما وجهها قد سُفِعَ بالنار

بسكون الفاء - في « سفيع » .
وإذا بحثنا في كتب الطبقات والأنساب
وجدنا أن أبا النجم صاحب البيت الأول
من بكر بن وائل ^(٥) من بني عجل . وأن
القطامي : هو عمير بن شيم من بني تغلب ^(٦)
فيكون هذا التفریع من « فَعِلَ » إلى

« فَعِلَ » في بكر بن وائل ، وفي « تغلب »
الذي هو أخو بكر ، كما يطرد هذا التفریع
عند تميم أيضا ^(٧) .

وعلى الرغم من أن التفریع هذا في تميم
إلا أن الرضى المحقق - أخطأ عندما نسب
أبا النجم - إلى تميم ^(٨) في بيته السالف -
ولعل هذا النسب الخاطيء جاء له من شبهة
موداها : أن هذا التفریع عند تميم أيضا .

ويمكن أن تعلل صيغة التفریع السابقة
بأنهم كرهوا في « فَعِلَ » - الكسرة بعد
الضمة . فسكنوا هذه الكسرة حتى
لا ينتقل اللسان إلى الثقل ، وعلى صاحب
المخصص هذا ناقلا عن سيبويه قوله :
« كرهوا في « عُصِرَ » الكسرة بعد
الضمة ، كما يكرهون الواو مع الياء في
مواضع ، ومع هذا إنه بناء ليس من كلامهم
إلا في هذا الموضع من الفعل فكرهوا
أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال ^(٩) »

(١) المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠ (٢) السيرافي على سيبويه : ٥-٣٢٤ تيمور خط .

(٣) وفي ديوان القطامي المطبوع سنة ١٩٦٠ ص : ١٤٣ « ونحوها » .

(٤) كتاب العققة والبررة : لأبي عبيد معمر بن المثنى : ٣٦٥ من نوادر المخطوطات رقم ٧ ط أولى ، لجنة
التأليف والترجمة : ١٣٧٣ - ١٩٥٤ تحقيق عبد السلام هارون .

(٥) الشعر والشعراء : ٢٢٢ ط المعاهد ، المخصص : س : ١٤ ص : ٢٢٠

(٦) الشعر والشعراء : ٢٧٧ ط المعاهد .

(٧) شرح السيرافي على سيبويه : ٥-٣٢٣ ، كتاب سيبويه : ٢-٢٥٧-٢٥٨

(٨) شرح الشافعية : ١-٤٣ ، وانظر الهامش . (٩) المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠

وإذا التفتنا إلى كتاب الله - التمسنا في قراءته شواهد لهذا التفريع الذي جاء على لهجة تميم ، وبكر ، وتغلب :

١- قرأ أبو السمال قوله تعالى « ولعنوا بما قالوا »^(١) بسكون العين ، ولقد حسنت قراءة أبي السمال لأن الكسرة وقعت بين ضمتين^(٢) .

٢- كما قرأ مسلمة بن محارب « جزاء لمن كان كفر »^(٣) بإسكان العين في « كفر » .

٣- وجاء في شرح السيرافي مثل من أمثال العرب وهو : لم يحرم من قُصد له^(٤) : بإسكان الصاد وأصلها : فصد - بالبناء للمجهول ، ولكن جاءت صورتها بالسكون في المثل - وهي ولا شك صيغة تفريعية من المبني للمجهول .

تلك هي أهم التفريعات وكلها في تميم ومن لف لفهم من بكر بن وائل وتغلب وربيعة .

٤- أما صيغة (فَعَلَ) بفتح الفاء والعين فلا تفريع فيها ؛ لأن الفتح

خفيف فلا داعي للخروج عنه ، قال سيبويه : وأما ما توالى فيه الفتحان ، فإنهم لا يسكنون منه ، فلا يقولون في جمل (بفتح الميم) جمل (بسكونها)^(٥) .

وفي ركاب سيبويه يسير السيرافي^(٦) وابن جني حيث يقول في محتسبه معلقا على قراءة أبي السمال وأبي المتوكل وأبي الجوزاء (حتى يلج الجمل^(٧)) : وأما الجمل - بالسكون فبعيد أن يكون مخففا من المفتوح لخفة الفتحة^(٨) . وأرى أن كلا من سيبويه ومن تبعه في مذهبه من مثل السيرافي وابن جني وكثرة كاثرة من النحاة غيرهم قد جانبهم الصواب أو جانبوه لورود ذلك في القرآن المقدس وفي التراث العربي وأمثلة ذلك من القرآن :

(أ) قراءة جحفلة من القراء (حتى يلج الجمل في سم الخياط) بسكون الميم ، وذلك تخفيف من الفتح .

(١) المائة : ٦٤

(٢) سورة القمر آية : ١٤

(٣) البحر : ٣-٢٣٥

(٤) شرح السيرافي : ٥-٣٢٣ مخطوط .

(٥) شرح السيرافي على سيبويه : ٥-١٦٦ خط بالتيمورية ، الكتاب ٢-٢٥٨ ، ٢-٢٨١

(٦) شرح السيرافي على سيبويه ٥-١٦٦ (٧) الأعراف : ٤٠ وانظر المحتسب في نفس السورة والآية .

(٨) وانظر كذلك شواهد الشافية : ١٨

(ب) وقرأ أبو عمرو بن العلاء
البصري التميمي وأحد القراء
السبعة «ويدعوننا رغبا ورهبا»^(١)
بالإسكان ، ورواه عنه هارون
عن أبي عمرو^(٢) ، وبهذا يكون
قد خفف أبو عمرو المفتوح.

(ج) كما خففت الجماعة المفتوح
في «كانتا رتقا»^(٣) وقراءة
الحسن وعيسى الثقفي وأبي
حيوة (رتقا) بالفتح^(٤).

(د) وفي معاني القرآن للفراء عند
قوله تعالى «سبع سنين دأبا»^(٥)
يقول الفراء «قرأ بعض قرائنا
- دأبا - فعلا . وكذلك كل
حرف فتح أوله وسكن ثانيه
فتثقله جائز إذا كان ثانيه
همزة أو غينا أو عينا أو حاء
أو خاء أو هاء»^(٦) والنحاة
يرون أن الفتح والسكون في
ذلك لغتان ، وكانهم ينكرون

أن التيسير في ذلك تخفيف
من التحريك .

(هـ) ومن تخفيف المفتوح ما في
البديع لابن خالويه في رواية
عن الكسائي أنه قرأ في الآية
٩٢ من النساء «ومن يقتل
مؤمنا متعمدا» ساكنة التأني .
وقد حكم النحاة على تلك
القراءة بأنها في غاية الشذوذ
والوهن ، ثم يتراجعون قليلا
عن صلفهم فيقولون : (وسهله
مجاورة الفتحة للضمة) وكان
القراءات القرآنية لا تُقبل
إلا بمثل هذا التعليل .

ومن التراث :

(أ) وقد ورد تخفيف المفتوح في
قول الأنخل النصراني :
وما كل مبتاع ولو سلف صفة
براجسع ما قد فاته برداد^(٧)

(١) الأنبياء : ٩٠

(٢) شواذ القرآن : ٩٢ لابن خالويه .

(٣) الأنبياء : ٣٠

(٤) المحتسب : ٢-٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٥) يوسف : ٤٧

(٦) معاني القرآن للفراء : ٢-٤٧

(٧) سلف صفة : وجب بهمه . برداد : اسم من الاسترداد .

يقول البغدادي في شرح شواهد الشافية^(١) : أصله سلف بفتح اللام .

(ب) وقول الراجز :

على محالات عكسَنَ عكساً

إذا تسداها طلاباً غلسا

يريد غلسا بالفتح .

(ج) ونقل البغدادي عن كتاب

الضرائر لابن عصفور قول

الشاعر :

وقالوا ترابي فقلت صدقتم

أبي من تراب خلقه الله آدم

يريد : خلقه

(د) وقول أبي خراش :

ولحم امرئ لم تطعم الطير مثله

عشية أمسى لايبين من البكم

يريد : من الهكم .

وابن جني في شرح التصريف للمازني^(٢)

يرى أن تخفيف المفتوح ضرورة ، وعند

أصحابه من الشاذ ، ثم يرى رأيا آخر

في توجيه : سلف - في قول الأخطل

السابق : وهو أن يكون مخففا من فعل -

مكسور العين ، ولكنه فعل غير مستعمل

إلا أنه في تقدير الاستعمال وإن لم ينطق

به . وهذا تمحل عجيب من جني وابن جني

ثم ينقل عن سيبويه قوله (وهذا التسكين

لم نره في المفتوح البتة)^(٣) وقد وضعت

الحق في نصابه فظهر تردّيهم في الخطأ ،

ومجانبه الصواب .

مواقف متشابهة :

وموقف النحاة السابق وتزمتهم حتى

في فهم كتاب الله يذكرني بموقفهم

في إنكار بعضهم إسكان حركة الإعراب ،

حيث يرى كثير منهم عدم حذفها

مطلقا في الشعر وغيره ، وهم محجوجون

بقراءات القرآن الموثقة ، فقد حذف

الحركة في الفعل المضارع وقرأ أبو عمرو

ب حذف الحركة الإعرابية في « ينصركم »

في آل عمران والمك ، و « يأمركم » و

« يأمرهم » و « تأمرهم » و « يشعركم »

في الأنعام ١٠٩ ، « ويعلمهم » في البقرة

١٢٩ وقد عزي حذف الحركة الإعرابية

(١) ص ١٨ فما بعدها .

(٢) ٢١ - ١

(٣) شرح تصريف المازني ٢٢/١ لابن جني .

في القراءات السالفة إلى بنى أسد ونميم وبعض نجد^(١) ، كما حذفت الحركة الإعرابية في الأسماء^(٢) ، وأيلتها القراءات القرآنية الموثقة الأمينسة ، وكما جاء حذف الحركة الإعرابية في النشر ورد كذلك في الشعر^(٣) . وهذا يشير إلى أن المكان السامي الذي كان لحركات الإعراب قد هبط ، إذ الإسكان قد بدأ ينازعها في مكانها ويستولي على أمكنتها ، وكيف لا يكون ذلك وقد صار الإسكان سمة لهجية لقبائل تتم وأسد وغيرها من قبائل نجد ، وقرأ على تلك الظاهرة أبو عمرو التميمي ، بل يظهر أن الإسكان قد زحف على الأماكن التي تسيطر عليها الحركة الإعرابية ، وما يؤيد وجهة نظري ما جاء في النشر « وقد قرأ بإسكان لام الفعل ... محمد بن عبد الرحمن بن محيصن » وإذا أدرنا البحث في كتب الطبقات لنعرف إلى أي بقعة ينتمي هذا الذي قرأ بالإسكان - أفادنا ابن الجزري في طبقاته « بأنه قرشي ، ومن قراء مكة^(٤) »

فكان ظاهرة الإسكان قد زحفت من نميم حتى اقتحمت دوائر الحجاز ، فأصبح الإسكان لا يقل شأنًا عن الحركة الإعرابية خذ مثلاً - يؤكد ما سبق - على سبيل المثال لا الحصر ، قراءة نافع (والأذن بالأذن) ٤٥ من المائة . بإسكان الذال . ونافع حجازي قرأ بالإسكان كما ترى ، مخالفًا بيئته التي لا تسكن .

والغرض من ذهاب حركة الإعراب هو عامل الخفة والتيسير ، وقد فهمنا فيما تقدم أن تمها وجيرانها يخففون عين الكلمة بإسكانها ، فإذا حذفوا الحركة الإعرابية فإنهم يعملون ذلك تمهيا مع نظامهم في التيسير والتخفيف ، ومع كل هذا نرى :

١- أن المبرد يزعم بأن قراءة أبي عمرو لحن^(٥)

٢- وسيبويه يحمل ظاهرة الإسكان في قراءة أبي عمرو على الاختلاس .

(١) انحاء فضلاء البشر : ١٣٦ وانظر إبراز المعاني . ٢٣١ والنشر ٢ - ٢١٢

(٢) النشر ٢ - ٢١٤ ، والبحر ٢ - ١٨٨ ومختصر شواذ القرآن ١٤

(٣) شرح السيرافي ١ - ٢٦٧ والمصانص ١ - ٧٤ دار الكتب ، وسيبويه ٢ - ٢٩٧

(٤) طبقات القراء ٢ - ١٦٧ (٥) البحر ١ - ٢٠٦

٣- وابن جني يسير في ركاب سيبويه

بل ويشنع على القراء ويرى أن روايتهم بالإسكان جاءتهم « من ضعف دراية »^(١)

والحق أنه يجب ألا نلزم بقول النحاة وحدهم ، إذ القراء شركاء لهم في نقل اللغة ، بل قد كان من القراء أكابر النحاة .

على أنني أرجح أن الإسكان لم ينتصر على الحركة الإعرابية وحدها ، بل سيطر على حركات البناء ، ففي الخصائص^(٢)

ورد قول نهشل بن حري :

أفلما تبين غبّ أمرى وأمره

وولت^(٣) بأعجاز الأمور صدور

وقول جرير :

هو الخليفة فارضوا ما رضى لكمو

ماضى العزيمة ما في حكمه جَنَفُ

بتسكين الياء في رضى .

وقد يستطيع النحاة أن يقولوا شيئا ؛

لأن الشواهد شعرية ، ولكنهم لن يستطيعوا

أن يقرلوا شيئا في قراءة أبي « وذروا ما بقى من الربا^(٣) » بكسر القاف وسكون الياء^(٤) .

على أن السكون عنصر له قيمة يمكن أن تقارن بقيم الحركات فمثلا : هو يمثل الإمكانية الرابعة وهي الخلو من الحركة ، وله وظيفته وقيمته في التركيب المقطعى ، وله سمة هامة موسيقية وذلك في التفعيلات العروضية وله قيمة إيجابية كذلك في النظام الفنولوجي ، وله مكانته في الجانب النحوي إذ هو دليل الجزم ، كما أنه دليل إعرابي في حالة الوقف وأخيرا هو إمكانية من إمكانات البناء^(٥) .

هذا ، ويظهر أن مشكلة السكون قد أثارت نوعا من القلق في دوائر علمائنا الأقدمين ، استمع إلى ما جاء في شواذ القرآن لابن خالويه^(٦) عند قوله تعالى « ويدعوننا رغبا ورها »^(٧) يقول ابن خالويه سمعت أبا بشر النحوي يقول :

(٢) ١ - ٧٤

(١) الخصائص ١ - ٧٥ ط الهلال .

(٣) البقرة ٢٧٨

(٤) شواذ القرآن لابن خالويه ١٧ وانظر البحر ٢ - ٣٣٧ فقد حزاها إلى الحسن .

(٥) السكون . دكتور كمال بشر مجلة المجمع ج ٢٤ (٦) ص ٩٢

(٧) الأنبياء ٩٠

قال الأصمعي قلت لأبي عمرو : لم لا تقرأ
- رغبا ورهبا - بالسكون مع ميلك إلى
إلى التخفيف فقال : ويلك - أحمل
أنحف أم حمل - يعنى أن المفتوح لا يخفف
ثم يقول ابن خالويه : وسمعت ابن
مجاهد يقول : روى بالتخفيف في قوله :
رغبا ورهبا - هارون عن أبي عمرو .
ويفهم من تلك المحاوره :

(أ) أن العلاقة بين السكون والفتح
كانت غير واضحة تماما عند
الأقدمين .

(ب) وأن أبا عمرو قال : بأن
المفتوح لا يخفف ثم روى عنه من طريق
آخر تخفيف المفتوح ، ولا تعارض
ولا تناكر ؛ لأن الروايات موثقة وجاءت
على هذا .

إلا أن النظرة اللغوية الحديثة وجدت
حلا لهذه المشكلة وذلك القلق حيث رأت
أن السكون له من الناحية الصوتية
جانبان .

١- جانب النطق والتأثير السمعي .

٢- جانب الوظيفة التي يقوم بها في

النظام الصوتي ، فهو من حيث الجانب
الأول عدم أو لا شيء ، ومن حيث الجانب
الثاني فهو عنصر له قيمة تقارن بقيم
الحركات . . وقد أطلق عليه (الحركة
الصفراء) نظرا لسلبية السكون في النطق ،
وإن كانت له قيمة إيجابية في النظام
اللغوي ، وخلاصة ذلك :

١- أنه يجوز أن نسمى السكون
حركة إذا نظرنا إلى قيمته الوظيفية .

٢- وهناك نظام وظيفي للحركات
مكون من أربعة عناصر : ثلاثة منها لها
تحقق صوتي مادي وهي : الفتحة والكسرة
والضمة . وعنصر واحد وهو السكون
(لا شيء) أو (عدم) من هذه الناحية^(١)
تعقيب :

١- أرى مما سبق في إسكان حركة
البنية ، وحركة الإعراب - أنه من
خصائص تميم ، ومن جاورها كبكر بن
وائل ، وتغلب ومن لف لفهما .

٢- وأن لهجات الحجاز تحتفظ
بالصيغ دون حذف أو تغيير ، فالصيغ
ثابتة .

(١) السكون : دكتور كمال بشر مجلة المجمع ج ٢٤

٣- أن هذا التفریع فی قبائل تمیم
وغيرها - تطور عن الصیغ الجازية
الثابتة .

٤- أن ظاهرة حذف الحركات تتلاءم
وتمیم البدوية ، حيث أنهم یميلون إلى
السرعة فی النطق الذى ينتهى إلى الاقتصاد
فی الجهد العضلى ، ولا شك أن حذف
الحركات فیہ تيسير واقتصاد وهو
ما يهدف إليه البدوى - بعكس الحجاز
المتحضرة التى تهدف إلى إعطاء كل صوت
حقه من الوضوح والبيان .

ودلیل ذلك ما جاء فی الخبر « نزل
القرآن بالتفخيم » وقد اختلفت الأئمة
فی معنى هذا الحديث ، فبعضهم يرى
أنه نزل بذلك^(١) ، ثم رخص فی الإمالة
وبعضهم شرحه بأن المقصود : أنه یقرأ
على قراءة الرجال ، لا یخضع الصوت
فیہ ككلام النساء ، وآخرون بأن
المقصود منه : أنه نزل بالشدة والغلظة
على المشركين ، وبعضهم يرى أن المراد
بالتفخيم : تحريك أوساط الكلم بالضم
والكسر دون إسكانها^(٢) ، وأرجح أن

هذا المعنى الأخير هو المقصود دون غيره ،
لأن من يرى أن معنى التفخيم نزوله بالشدة
والغلظة على المشركين - مردود ، لأن
القرآن الكريم كما نزل بالغلظة نزل
كذلك بالرحمة والرأفة ، والذى يؤيد
ما أرجحه ما ورد عن أبى عبيدة من قواه
« أهل الحجاز يفخمون الكلام كله^(٣) » ،
وكان المقصود هو نطق الحركات كاملة
دون الجرر علیها بالتسكين ، وتلك
سمة حجازية .

وهناك استثناء من تلك القاعدة العامة
وهو أن أهل الحجاز يسكنون الشين من
(عشرة) فيقولون « إحدى عشرة » على
حين تميم تقول ذلك بالكسر . وهذا عكس
ما نعرفه عنهما ، لأن المعروف أن تيمما
تسكن العين من فَعِل وفَعَلَة ، والحجاز
يحركون ذلك ، ووردت نصوص تؤيد
ذلك ، منها :

قوله تعالى : « فانفجرت منه اثنتا
عشرة عينا^(٤) » فقد نسب أبو حيان
إسكان الشين إلى الحجاز ، وكسرها إلى

(١) لعله يقصد « الفتحة الصريحة » .

(٢) الإتيان : ١ - ٩٥

(٣) الإتيان : للسيوطي : ١ - ٩٥

(٤) سورة البقرة آية : ٦٠

تميم^(١) . وعن ابن خالويه - أن كسر الشين قراءة الأعمش^(٢) . كما قرأ ابن وثاب قوله تعالى : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما »^(٣) بكسر الشين وهى فى تميم ، والجمهور بالإسكان وهى لغة الحجاز^(٤) ، وفى نواذر يونس « أن تميما تثقل عشرة ، وتكسر الشين . وأهل الحجاز لا يحركون »^(٥) .

وقد يعال لكل من اللهجتين حيث خالفنا معتاد لغتها ، وذلك أن المشهور عن الحجازيين تحريك الثانى من الثلاثى إذا كان مضموما أو مكسورا - وأما تميم فتسكن ذلك - وسبب المخالفة فى العدد [أنه قد نقضت فى كثير منه العادات من ذلك قولهم فى الواحد : واحد وأحد ، فلما صاروا منه إلى العدد قالوا : إحدى عشرة - فبنوه على فعلى ، ومنه اقتصارهم من ثلثمائة إلى تسعمائة على أن أضافوه إلى الواحد ، ولم يقولوا ثلاث مئات ولا أربع مئتين^(٥) . ويرى ابن جنى « أن العدد موضع يحدث معه ترك الأصول »^(٦)

ولهذا تركت كل من اللهجتين لهجتها إلى لهجة أخرى ، فأسكن من كان يحرك ، وحرك من كان يسكن . والمقارنة مع بقية اللغات السامية فى هذا اللفظ تثبت أن اللفظ فى السامية الأم لم يكن فيه حركة بعد العين ، ففى العبرية هو לשון ومعنى هذا أن لهجة الحجاز على الأصل ، على حين (عشرة) بالكسر فى تميم من قبيل اجتلاب الحركة ، وهو ما يسمى بالقلقلة^(٧) .

٥ - كما كانت كل قبيلة تسير فى لغتها على مقدار يكافئ طبيعتها ، فما رفضته القبيلة أو قبلته فإنما يخضع لعامل الثقل حيناً والخفة أحياناً ، وهاتان الصفتان لا تجمع عليهما جميع القبائل ، لأن مراتب الثقل والخفة متفاوتة ، ولهذا قد يدعون البناء من الشئ وهم يتكلمون بمثله فى لفظ آخر ، كما يتركون صيغا سهلة لتوهمهم فيها سببا من أسباب الثقل .

(٢) مختصر شواذ القرآن : ٥ / ٦
(٤) البحر : ٤ / ٤٠٦
(٥) شرح المفصل لابن يعيش : ٦ / ٢٧
(٦) المحاسب : ابن جنى : ١ / ٣٢٥ / ٣٢٦ ، مخطوط بالتيمورية .

(١) البحر : ١ / ٢١٨
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٠
(٤) المزهر : ٢ / ٢٧٥
(٦) المحاسب : ابن جنى : ١ / ٣٢٥ / ٣٢٦ ، مخطوط بالتيمورية .
(٧) رابن : ٩٨

وقفه :

ولكن يظهر أن القبائل الشرقية - كتميم وبكر وربيعه وأسد وقيس وعقيل وغيرها من قبائل الشرق - لم تكن على درجة واحدة من الميل إلى تسكين البنية ، بل تتفاوت كل قبيلة عن الأخرى في ميلها إلى تسكين وسط الكلمة - تفاوتاً قليلاً - أمكنني أن ألاحظه ، وأن أسجل تفاوته بين هذه القبائل الشرقية ، وإن كانت السمة الغالبة عليهم جميعاً هي ميلهم إلى التسكين .

ومرادده التثقيب أى النطق بالحركات كاملة ، أى أن أسدا تنطق بالصيغة مكتملة ، على حين عزا التخفيف إلى تميم ، والمراد بالتخفيف التسكين ؛ لأن التسكين أخف على اللسان من غيره ، وقد نطقت الحجاز في هذا كـأسد^(٤) : أى باكتمال الحركات وأما بكر بن وائل فسارت سير تميم في التسكين ، قال ابن خالويه : بالبخل - (بفتح فسكون) لغة بكر بن وائل^(٥) ، وعلى هذه اللغات جميعاً قرأ القراء كما في البحر^(٦) .

١- فأسد وإن كانت تجنح إلى إسكان البنية - إلا أنها في بعض الأحيان تخالف ذلك ، فمن ذلك ما جاء في شرح السيرافي على سيبويه من أن « فعل » بضم الفاء وسكون العين تضم بنو أسد عينه اتباعاً لأوله ، على حين « فعل » بضميتين فتسكنه تميم^(١) . وفي قوله تعالى « ويأْمرون الناس بالبخل »^(٢) فقد عزا القراء : التثقيب في « البخل » إلى أسد^(٣) ،

٢- وفي كنز الحفاظ أن القراء حكى عن بنى أسد قولهم : هل رأيت عيناً؟^(٧) بفتح العين والياء في معنى : أحداً . وبعض العرب يقول : ما بها عين بسكون الياء .

٣- وجاء في اللسان أن بنى أسد تقول : في أسنانه حفر^(٨) . بفتح العين ، والحفر ما يلزق بالأسنان ، وغيرهم يقول : حفر . بسكون العين .

(٢) سورة النساء آية : ٣٧

(٤) البحر : ٣ / ٢٤٧

(٦) البحر : ٣ / ٢٤٦

(٨) اللسان : ٥ / ٢٨١

(١) شرح السيرافي على سيبويه : ٥ / ٦

(٣) البحر : ٣ / ٢٤٧

(٥) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٦

(٧) كنز الحفاظ : ٢٧٣

فالسمة الغالبة في هذه النصوص لبنى
أسد أنها آثرت الحركات على السكون ،
ولمّا قلت في هذه النصوص فقط ؛ لأن
المأثور عنها حذف الحركة مثل قراءة
« نذرا » في المرسلات ، « وعرفا » فيها
أيضا ، « وخبرا » في الكهف ، فالإسكان
كما ذكر صاحب الإتحاف لغة تميم وأسَد
وعامة قيس ، والضم لغة الحجاز^(١) ،
وأرجح أن الأصل الضم في هذه الأمثلة ،
وأمكن تخفيفا . فمن النصوص نرى
أن أسدا كانت تتردد في حذف الحركات ،
أى أنها كانت حينها تحذف ، وأحيانا
لا تحذف ، وليس هذا اضطرابا في
الظاهرة - بل يسهل علينا تعليل ذلك :
أن أسدا من القبائل الكبرى ذات البطون
الكثيرة ، والعمائر المتعددة ، فيمكن
أن نعزو صيغ حذف الحركات إلى قبائلها
المتاخمة لتميم ، والصيغ المكتملة الحركات
إلى قبائلها التي تنحدر إلى ما يقرب
البيئات الحجازية ، تلك التي كانت
تحرص على اكتمال الحركات . إلا أن
حذف الحركات في أسد أكثر من اكتمال
الحركات ؛ لأن قبائلها كانت أكثرها في

المنطقة الشرقية والوسطى من الجزيرة
العربية تلك كانت تؤثر حذف الحركات .

٢- أما قيس فقد تقدم أنها أحيانا
تسير في ركاب تميم وبكر بن وائل في
حذف الحركات القصيرة ، ولكن لانعدام
أن نرى بعض الروايات التي تنسب إليها
اكتمال الحركات مثل ما جاء في خزنة
الأدب من أن قيسا تقول « الضَّبْع »
بضم الباء ، وتميم تسكنها^(٢) ،
وورد نص مثله في المصباح^(٣) . ويرى
البغدادي أن التخفيف الواقع في الكلمة
نحو (عضد) بضم الضاد سائغ في حال
السعة ، لأنه لغة لقبائل ربيعة^(٤) ،
وأرى أن قبائل قيس كانت تتردد بين
حذف الحركة ، وبين عدم حذفها ،
وليس معنى هذا اضطراب الظاهرة ؛ إذ
أن قيسا كانت شعبا عظيما - تفرق إلى
عدة قبائل ، وتوزعت قبائلها على محيط
شاسع في الجزيرة العربية ، وبعض قبائلها
كانت في وسط الجزيرة كعقيل وغنى ،
وبعضها الآخر كان يسكن مناطق الحجاز
لذلك أرجح أن قبائلها التي كانت تسكن

(١) الإتحاف : ١٤٣

(٢) المصباح : ٥٤٥ / ٢

(٣) الخزنة : ٢ / ٣٦٩

(٤) الخزنة : ٢ / ٣٦٩ ، ٣ / ٥٣١

شرق الجزيرة ووسطها كانت تحذف الحركة القصيرة كعقيل - فقد روى اللسان أن يوم (الجمعة) بسكون الميم لغة بني عقيل، وأهل الحجاز تقول: الجمعة - مثقلة^(١) - أي مع عدم حذف الحركة والأصل فيها السكون ، فمن ثقل أتبع الضمة الضمة . ومن خفف فعلى الأصل . وعلى لغة عقيل قرأ الأعمش^(٢) . ومما يؤيدني في هذا الرأي ما جاء في الإتحاف من عزو تسكين الوسط في « نذرا » بالمرسلات ، « وخبرا » في الكهف إلى تميم ، وأسد ، وعامة قيس^(٣) . فقله « وعامة قيس » دليل على أن قيسا لم تكن جميعها تحذف الحركة ، بل قبائلها الضاربة في البادية كعقيل وغنى وغيرهما بدليل ما أوردته في عقيل . وأما بقية قيس المتصلة بالحجاز كغطفان وغيرها - فإنها لم تكن تحذف الحركة وشأنها في ذلك شأن الحجاز بدليل أن الحجاز كانت تقول « الجمعة »^(٤) بالحركات كاملة . وكلما اتجهنا إلى مناطق الحجاز وجدنا استكمال الحركات

في الكلمة والمحافظة عليها ، بدليل أن هذيل وهي في مناطق الحجاز أثر عنها كما جاء في المخصص عن أبي عبيد أنها كانت تقول : « نجد » بضمين في (نجد)^(٥) بالسكون ، والدليل على ذلك ما قاله أبو ذؤيب

في عانة بجنوب السبي مشربها
غور ومصدرها عن مائها نجد^(٦)

بضمين . وعزا الأصمعي هذه الصيغة إلى الحجاز وهذيل^(٧) ، وفي معجم البلدان أنها لغة هذيل خاصة^(٨) . وعلى أي حال فسواء كانت اللهجة هي لهجة الحجاز وهذيل . أم هذيل وحدها فإنها تؤيد ما نذهب إليه من أن الحجاز وما جاورها من هذيل وبطون قيس - كانت لا تحذف الحركات القصيرة .

وأما تميم وبكر بن وائل وقبائل ربيعة . وأكثر قبائل أسد . وعامة قبائل قيس المتاخمة لتسيم - فإنها كانت جميعا تنجح إلى حذف الحركات القصيرة ، ولعل هذا

(١) اللسان : ج ٩ مادة جمع .

(٣) الإتحاف : ١٤٣

(٥) المخصص : س ١٢ ص : ٤٨

(٧) اللسان : ٤ : ٤٢٥

(٢) المصباح ١ / ١٧٠ - ١٧١

(٤) اللسان : ج ٩ مادة جمع .

(٦) ديوان الهذليين : ١ / ٢٤ دار الكتب

(٨) معجم البلدان : ٨ / ٢٥٢ ياقوت .

يتفق مع طبيعة البدو في السرعة في نطق الكلمة ، ولهذا جانب الصواب الأستاذ عبد الوهاب حمودة في كتابه « القراءات واللهجات »^(١) حيث ذكر أن تسكين العين في « رسل » لغة أهل الحجاز والتحريك لغة بني تميم ، ويبدو أن الدكتور شوقي ضيف مال إلى ما رآه الأستاذ عبد الوهاب حمودة^(٢) أيضا .

وقد وقع أبله حيان نفسه فيما وقع فيه عند تفسيره لقوله تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول »^(٣) حيث ذكر أن قراءة الجمهور - بالرسول - بضم السين ، كما قرأ الحسن ويعحي ابن يعمر بتسكينها^(٤) « ثم قال أبو حيان « وتسكين عينه لغة أهل الحجاز ، والتحريك لغة بني تميم »^(٥) .

ومن مجانبة الصواب في حركة العين من الفعل المعتل أن رجلا أخطأ بحضرة

أبي عمرو بن العلاء حين أنشد قول المرقش الأصغر :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره
ومن يغو لا يعدم على الغنى لائما .

فقال له أبو عمرو أقومك أم أتركك
تسكع في طمّتك ؟ فقال : بل قومني .
فقال : قل : ومن يغو (بكسر الواو)^(٦)
ألا ترى إلى قوله تعالى : « وعصى آدم ربه فغوى »^(٧) . وإنما أخطأ المنشد لأن الفعل من باب : قضى يقضى

وقد نرى حذف الحركات تارة
واكتمالها تارة أخرى في اللغات السامية
أيضا كما رأينا في لهجات القبائل ففي
فني الأكديّة Uznū وهي في العبرية
Ozen^(٨) باكتمال الحركة ، ونجدها
في العربية : أذن - باكتمال الحركة تارة
وبحذفها تارة أخرى ، وذلك في قراءة

(١) ص : ٣٧ ط أولى .

(٢) تاريخ الأدب العربي ١ - ١٢٦ د . شوقي ضيف (٣) سورة البقرة آية : ٨٧

(٤) البحر المحيط ١ - ٢٩٩ (٥) البحر المحيط ١ - ٢٩٧

(٦) طبقات اللغويين ٢٩ للزبيدي . (٧) سورة طه آية : ١٢١

(٨) التطور النحوي ٤٤ برجشتراسر .

نافع « والأُذُن بالأُذُن » ٤٥ من المائدة .
ونافع بن أبي نعيم صاحب هذه القراية
مدنى حجازى ، ومع ذلك فقد خالف
بيئته التى لا تسكن .

« وعذبناها عذاباً نكراً » الطلاق : ٨ .
وذلك تحقيقاً لموسيقا السورة التى آثرت
سكون العين^(١) فى آياتها .

وقد تؤثر عين الكلمة حركة فى موضع ما
ثم ترفض نفس الحركة من الكلمة نفسها
فى موضع آخر ، وليس السبب فى ذلك
عامل الثقل أو الخفة كما قد يتوهم ،
ولمّا يرجع إلى تحقيق الموسيقى الصوتية
وانسجام النغم ، ففى قوله تعالى : « إلى
شئ نكراً » القمصر : ٦ . حرك عين
الكلمة ؛ لأن النظام العام للسورة آثر
الحركة فى آياتها ، على حين رفض
الحركة فى الكلمة نفسها فى قوله تعالى :

وفى النهاية : نرى أن نظام العربية
فى ضوء ما سبق من النصوص والشواهد
قد حقق من خلال الحركات والسكنات
وتقاصفها على الصيغ - فيضاً غامراً من
كثرة الوجوه وحركية الانتقال ، ونظاماً
منتظماً متواكباً مع الدلالة فى نسق صوتى
خاص ، وهذه المساوقة بين الصيغ اللفظية
ومعانيها يشير إلى تمدن العرب فى لغتهم
من جانب ، كما يعدُّ نمطاً فريداً لسياسة
الحروف وحركاتها من جانب آخر .

أحمد علم الدين الجندى

(١) انظر أمثلة مختلفة للموسيقا وأثرها فى :

(أ) أبو زكريا الفراء ٣٠٤ د . مكى الأنصارى .

(ب) التصوير الفنى فى القرآن .

(ج) أثر القرآن فى تطور النقد العربى ٦٣ د . زغلول سلام .

أمثال عامية..

بين القرنين: التاسع والرابع عشر الهجريين

للأستاذ محمد قنديل البقلى

هذا كله محتاج إلى الصائغ الحكيم الذى يجمع الكثير فى قليل ويختار من الكلمات أدلها ومن الألفاظ أنفذها ومن العبارات أجزلها ليجعل من حكمه آية مبنى ومعنى .

وبعيد أن يكتب لحكم البقاء ما لم تتوفر فيه الخبرة والوعى والصدق وحسن الأداء لكى يجرى على الألسنة ويعيه الناس جيلا بعد جيل يقضون به فى أمورهم المشاكلة وكأنهم فى ذلك قضية ولكن دون أن يعنوا أنفسهم بدراسة ودون أن يعنوا أنفسهم بوعى ودون أن يعنوا أنفسهم بصدق الحس ، ودون أن يعنوا أنفسهم بحسن الأداء ، بل حسبهم أن يقيسوا حاضرا بغائب ، وما أيسر ما يكون هذا القياس عليهم ، ثم بعدها يحكمون بهذه الأحكام التى حفظوها ، وحفظوا المرء لهذه الأحكام لن يكون إلا عن إيمان بها وبمدلولها

معايش صاحب تجربة يملئها مرة عملا، وعليها مرة كلمة، وإن يبلغ هذا العمل ، كما أن تبلغ تلك الكلمة مبلغ التجربة إلا حين يكون هذا العمل أو تكون تلك الكلمة حكما لا ينتزع ولا يجرح ، وإلا فقد هذا الحكم أثره . وهذا الحكم لا يبلغ أن يكون حكما إلا بعد أن تسبقه قضايا تحمل المقدمات نفسها، والملايسات نفسها، والنتائج نفسها، لا يختل من ذلك شئ وإلا اختل الحكم . واتحاد كل من المقدمات والملايسات والنتائج لا يعنى أن يكون على صورة واحدة، أو على مرتبة واحدة، بل قد تختلف صورها كما قد تختلف مراتبها . من أجل هذا كان الاستقصاء الذى يبلغ بالاستقصى إلى الحكيم يعوزه جهد كثير ونحر شاذل ، كما يعوزه رأى ثاقب وبصيرة نافذة وخبرة واسعة ، ثم بعد

ومضمونها ، وهذا الإيمان بهذه الأحكام
لن يتم للمرء إلا إذا حذر ما تحذره
الأحكام ورغب فيما ترغب فيه هذه
الأحكام ، عندها تكون الأحكام على
لسانه أنفذ وأقوى لأنه سوف يضفى عليها
من وحيه وعقيدته فيزيد الناس استمساكا
بما يستمسك به هو وبعدها عما يبتعد عنه .

وهذه الأحكام كما لم تبلغ مبلغها عبثا
كذلك لم تؤثر عبثا فهي تجربة الماضين
للاحقين وأدب من سبقوا يؤدبون به
من خلفوا .

ومن المعروف أن الأمثال التي يتداولها
الشعب هي حكم نتيجة لتجارب هذا الشعب
وتسجيل قولي لبعض ما مر به من أحداث
استخلص منها مآثر ومواعظ ، وأبى أن
يحملها أو ينساها فسجلها في هذه الكلمات
التي يتناقلها الناس بالرواية جيلا بعد
جيل وعصرا بعد عصر ، مما جعل الأمثال
تأخذ طابعا خاصا من ألوان فن القول ،
وأصبحت الأمثال مرآة للشعوب نستخلص
منها اتجاه الشعب وخصائصه الاجتماعية
مما لا نجد مسجلا في أى لون من ألوان

الأدب أو المعرفة . فالمؤرخون لا يذكرون
دقائق الحياة الاجتماعية على نحو ما تصوره
الأمثال . والشعر لا يصف إلا نواحي
خاصة من نواحي الحياة الاجتماعية هي
التي يراها الشاعر بنظره هو دون أن يراها
المجتمع نفسه . ولكن الأمثال هي التي
أجمع عليها الشعب ينطق بها الجاهل
والمتعلم والفقير والغنى . هي التي تجري
على ألسنة طبقات المجتمع ، فهي المعبر
إذن عن اتجاهات ونواحي هذا المجتمع
دون غيرها .

فمصر عرفت منذ أقدم عصورها بفن
القول ، ولها طابعها الخاص في النواحي
الأدبية التي تمتاز بها عن غيرها من البلدان .
ولها حياتها الاجتماعية الخاصة التي هي
نتيجة لتلك البيئة المصرية ، وكثرت
فيها الأمثال التي عبر عنها المصريون عن
تجاربهم الطويلة العديدة ، وعن نواحي
حياتهم المتأثرة بما كان في المجتمع المصرى
من مخطط ورضى ، وجد وهزل ، نطق
المصريون بهذه الأمثال وتداولوها منذ
أقدم عصورهم ، ولو قُدر للمصريين أن
يحفظوا أمثالهم القديمة في عصورهم
المختلفة ، ودونوا هذه الأمثال لاستطعنا

أن نرجع عددا كبيرا من الأمثال التي ننطقها اليوم إلى عصورها التاريخية .

فدما لا شك فيه أن كثيرا من الأمثال المصرية الحالية عرفها المصريون منذ قرون عديدة وخاصة هذه الأمثال التي تتحدث عن تقلبات الجو ، أو التي تتحدث في الشؤون الزراعية ، فمثل هذه الأمثال قديمة . ولكن لاندري على وجه التحديد متى ظهرت لأول مرة بين الشعب المصري . وكذلك نقول عن كثير من الأمثال التي تمس حياتنا الاجتماعية ، فمن حسن الحظ أننا نجد في كتاب مصري ينسب إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وهو كتاب « المستطرف في كل فن مستظرف » للإبشيهي ، بابا خاصا بالأمثال المصرية ، جمع فيه مؤلف الكتاب عدة أمثال تبلغ نحوا من ثلاثمائة وخمسين مثالا . إذا قرأناها سنجد أنها تتفق في كثير من ألفاظها مع ما ينطق به رجل الشارع اليوم ، وهذا إن دل على شيء فيأثما يدل على أن هذه الأمثال كانت موجودة قبل القرن التاسع للهجرة ، وأنها بقيت على حالتها يرويها الشعب جيلا بعد جيل ، ويأخذها الصغير عن الكبير

بدون تغيير يذكر لا شيء إلا لأنها ما رأت تمثل الحياة المصرية بالرغم مما أصاب حياتنا من تغيير وتطور . وهذا يدل من ناحية أخرى على أن مصر تتمتع بميزة المحافظة وبحب الجديد في الوقت نفسه .

ومن يدرس الأدب المصري في عصوره المختلفة تتضح له هذه الحقيقة ماثلة وتظهر ظهورا لافتا في مختلف حياتنا . فمصر كما لاحظها مؤرخو الأدب المصري تحب الاحتفاظ بشخصيتها وبتقاليدها ، فهي محافظة على هذا النحو ، ولكنها من ناحية أخرى تحب أن تعرف كل شيء جديد على أن تخضع هذا الجديد لمزاجها وتقاليدها .

وهكذا استطاعت مصر أن تحافظ على أمثالها بنفس الصيغ التي وردت عند المصريين في القرن التاسع الهجري ، كما أضافت إلى هذا التراث القديم أمثالا جديدة هي نتيجة لما طرأ على مصر من تطورات جديدة .

فإذا نظرنا إلى هذه الأمثال التي دونت في القرن التاسع نستطيع في سهولة ويسر

أن نقسمها إلى عدة أقسام: نستطيع أن
نلمس في بعضها أنها لا تزال مستعملة
إلى اليوم . وهذا القسم من الأمثال هو
أكثر ما جاء في هذا الباب من الكتاب
فمثل قوله :

- إذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله
- المستعجل والبطي عند المعديّة يلتقي
- إذا غاب عنه أصله كانت دلائله فعله
- إيش أنت في الحاره يا منخل بلا طاره
- والله العدو ما يبتى حبيب حتى يصير
الحمار طبيب

- تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها
- جارك مرآك إن لم ينظر وجهك نظر
قفاك

- جوزوها له مالها إلا له
- جوزوا مشكاح لريمه ما على الاتنين
قيمه

- حاجه ما تهك وصي عليها زوج أمك
- حب وداري واكره وداري

- زى ما هي ومانه إلا قلوب ملانه
- ركبتيك ورايه حطيت يدك في الخرج

- رزق الكلاب على المجانين
- راحت على جمل وجات على قُطّه مال
دى الشيلة إلادى الحطة

- سل مجرب ولا تنسى الطبيب
- شيء ما ييجى على القلب عنايته صعب
- شرى العبد ولا تربيته
- صباح الخير يا جارى إنت في دارك
وانا في دارى

- ضرب الحبيب كأكل الزبيب
- طبق وجارية على صحن بساريه
- طعامك ما جاني ودخانك أعماني

- طار طيرك وأخذ غيرك
- طول الغيبة وجه بالخيبة
- كُلْ وَبَحَلْ عنيك عزومة انْحَسِبْ
عليك

- قالوا للجمل زمر قال لاشفف ملمومة
ولا أيادى مفرودة

- قالوا للدبة طرزي قالت خنّية أيادى
- كشكال داير ولا علامة مقطوعة

- لولاك يا كُمي ما أكلت يا فُمي

- لولاك يا لساني ما انسكيت يا قفاهيه
- لو كان فيها خير ما رماها الطير

- ما شلتك يا دِمَعَتِي إِلَّا لَشِدَّتِي

- من عاشر الحداد احترق بناره

- نوايه تَسْنَدُ جِرَّه قال والزَّيِّر الكبير

- لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من

ييجي

- الكلام لك يا جاره إلا إنت حماره

- إيش تعمل الماشطة في الوش المشوم

- أرملة عدس ومزوجة عدس

- جارية وَزَبْدِيَّة على باذنجانة مقلية

- خطبوها تعزرت

- زمر بالزُميرة تبان لك العاقلة من
المجنونة

إلى غير ذلك من هذه الأمثال العديدة

التي ما نزال نرددّها إلى اليوم بنفس

الألفاظ التي كان يتحدث بها المصريون

منذ خمسمائة عام . ولا شك أن هذه

الأمثال كانت أقدم من هذا القرن

التي دوّنت فيه ، ومن يدري لعلها

ترجع إلى ذلك العصر الذي بدأ فيه

ظهور الآداب الشعبية المصرية ظهوراً

لافتاً ، وهو العصر المملوكي الأول ،

أي في النصف الثاني من القرن السادس

للهجرة ، وما بعده ، فإن بقي لنا

من أدب شعبي لهذا العصر ألفاظ

لا نزال ننطق بها إلى الآن وتعبيرات

هي نفس التعبيرات التي نستعملها

في بعض القرى المصرية وبعض الأحياء

اشعبية ، فلعل هذه الأمثال ظهرت

بهذه الصورة في تلك العصور . ولكننا

لا نستطيع أن نجزم بذلك . ولعل

أستاذة الفيلولوجي وأستاذة الأدب

المصري في العصور الوسطى يستطيعون

أن يحدثونا عن ذلك كله .

وأذكر هنا بعضاً من المؤلفات جاءت

بعد كتاب المستطرف للإبشيهي أو التي

في عصرنا ونقلت إلينا الكثير من هذه

الأمثال كما رواها الإبشيهي ومنها :

١- الشيخ محمد شكرى : مجمع

الأمثال العامية المصرية ، مخطوط

بالتيمورية رقم ٥١٩ تيمور .

٢- محمود عمر الباجورى : أمثال

المتكلمين من عوام المصريين - مصر ١٣١١ هـ

٣- كرلو لندبرج الأسوجى : الأمثال

السائرة والأقوال الدائرة عند أولاد

العرب - لندن ١٨٨٣

٤ - شرف الدين بن أسعد : جمع ،
الأمثال المصرية العامة - نشرها بوركهارت ،
لندن ١٨٣٠

James Richard Jewett : Arabic-o
proverbs and proverbial phrases,
New Haven 1890.

٦ - أحمد تيمور : الأمثال العامة
المصرية ، القاهرة ١٩٤٩

٧ - شفيقة شبير : جمعت الأمثال
الاجتماعية والفكاهية .

٨ - فائقة حسين راغب : حقائق الأمثال
العامة . القاهرة ١٣٥٧ هـ .

٩ - نعوم شقير : أمثال العوام في مصر
والسودان والشام ، مصر ١٨٩٤

١٠ - Mrs. A.P. Singir : جمعت

أمثال العوام من مصر والسودان والشام -
نشرها إنو ليتمان ، مصر ١٩١٣

١١ - محمد قنديل البقلى : وحدة
الأمثال العامة في البلاد العربية ، القاهرة
١٩٦٨

وأما القسم الثماني من هذه الأمثال التي
دونت في القرن التاسع فهي أمثال
لانسمة اليوم في مصر لا شيء إلا لأن

التطور الذي تطوره مصر في مدى هذه
القرون ، أبعدت الحياة المصرية بعض
الشيء عما كانت عليه ، فأصبحت هذه
الأمثال لا تنطبق على حياتنا الحديثة
مثال ذلك :

- بدوى مقروح لقي التمر أين يخلو
ويروح .

فهذا المثل حل محله قولهم : « رزقه
في رجليه » واختفى المثل القديم ، ومن
يدري فلعله لا يزال عند بعض الريفيين .
مثل آخر قولهم :

- ذكروا مصر والقاهرة قامت باب اللوق
بحشائشها .

هذا مثل كان يضرب عند ما كانت
منطقة باب اللوق المعروفة بالقاهرة مملوءة
بالحشائش ، وكان يخشى الناس من ارتياد
هذه المنطقة ، فلا شك أن من ينظر الان
إلى باب اللوق وهي من أعمار أماكن القاهرة
لا يستطيع أن يضرب بها المثل بما كان
فيها من خراب وحشائش . ثم قوله : ذكروا
مصر والقاهرة والمقصود بكلمة مصر في
العصور الوسطى « الفسطاط » وكانت الفسطاط
من أجمل مدن القطر المصري وكانت
تنافس القاهرة في الذكر لدرجة أن

المؤرخين عندما كانوا يؤلفون كتبهم التاريخية يذكرون مصر والقاهرة معاً، فمثلاً كتاب «لأبي المحاسن بن تغرى بردى» بعنوان «النحوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة» والسيوطى له كتاب بعنوان «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة». وعلى هذا النحو ورد هذا المثل وجعل مصر أى الفسطاط معطوفة على القاهرة لما كان بين البلدين من التنافس والرقى في التحضر. أما الآن فالفسطاط لا وجود لها، بل حل محلها مصر القديمة حتى نستطيع أن نتحدث عنها في الأمثال في جيلنا الحديث، ولذلك اختفى هذا المثل من أمثالنا الحديثة.

ومثال قوله أيضاً :

— رأوا سكران يقرأ قالوا : غن تشاكل روحك .

فالمعروف في ذلك العصر ، أى في القرن التاسع الهجرى أن كلمة قراءة كان المقصود بها قراءة القرآن الكريم وتجويده ، كما أن المعروف في كل العصور وفي كل البيئات أن السكير الذى يقرأ ويغن في قراءته كأنه يتشاجر مع نفسه ، فلا شك أن ظروف التعليم والقراءة في عصرنا هذا تختلف عما كانت عليه في العصور الوسطى ،

والقراءة الآن أصبحت ليست وقفا على تلاوة القرآن الكريم ، ومن ثم أصبح هذا المثل لا ينطبق على حالتنا الحاضرة ولذلك اختفى .

ومثل آخر ورد في هذه المجموعة هو قولهم :

— هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل .

فهذا المثل يدل على أن المجتمع المصرى في هذه العصور الوسطى كان لا يزال يحتفظ إلى حد ما بالنسبة القبلية وخاصة هذه الطبقة من المجتمع التى سماها المؤرخون طبقة الأعراب ، وكان في هذه الطبقة الأغنياء والفقراء والرفيع والذليل ، فهذا المثل يدلنا على أن بنى وائل في مصر كانوا من الطبقات الدليلة حتى ضرب بذلتهم هذا المثل ، ومن حسن الحظ أننا نعيش الآن في جو اجتماعى لإشتراكى تعاونى لانتلمس فيه أثر العنجهية القبلية ، ولا ينتسب أحد إلى طبقة دون أخرى ، فالكمل سواء ولذلك لانرى هذا المثل بين أمثالنا الحديثة .

وكذلك قولهم في الأمثال القديمة :-

بقى للكلب سرج وغاشية وغلما
وحاشية .

ذلك عندما كان الأغنياء يركبون
المطايا ذات السروج والغواشي ، ولهم
عبيد وحاشية ، أما الآن فالأغنياء
يركبون السيارات الكاديلاك بدلا من
الخيول أو البغال وليس لهم عبيد وإن كان
لهم خدم ، ولذلك لا ينطبق هذا المثل
على عصرنا الحالي .

وقولهم :-

خلت زوجها مكروب وراحت تشوف
المصلوب

فهذا المثل لا ينطبق على عصرنا
الحديث لأن الصلب لا يكون في الميادين ،
كما كان الأمر في العصور الوسطى .

أما القسم الثالث من هذه الأمثال
التي ذكرها الأبشيهي فهي هذه الأمثال
التي تتعلق ببعض النواحي الجنسية ،
التي لا نستطيع أن نذكر عنها شيئا في

هذا الغرض . ومن الغريب أن هذا القسم

من الأمثال يختلف تمام الاختلاف عن
ذلك الذي نسمعه الآن وعما يشبهه بالرغم
من أن الألفاظ تكاد تكون واحدة ولكن
مدلول المثل مختلف جدا .

ونلاحظ في هذا القسم كثرة ما يقال
عن النقاب الذي كانت تضعه المرأة
المصرية على وجهها ، وما كان يجر النقاب
من ويلات وما شئع به على كل متنقبة مما
يجعلنا نحمد الله الآن على أن تنبهنا إلى
تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، ونبذ
النقاب إلى غير رجعة حتى لا ينطبق
علينا الآن ما كان يقال عن المرأة صاحبة
النقاب في العصور الوسطى .

وهكذا أمثالنا تدل علينا قديما وحديثا ،
ولعلنا نعمل على دراسة أدبنا القومي
دراسة صحيحة شاملة ، ولعل الذين
يهتمون بأمر الفولكلور المصري ومافيه
من آداب شعبية يعملون على إيجاد هذه
العلاقة بين حاضرتنا وماضينا ، عسانا ننتفع
بالماضي للمستقبل ثم لإحياء مايفيد
في نهضتنا الحالية .

محمد قنديل البقلي